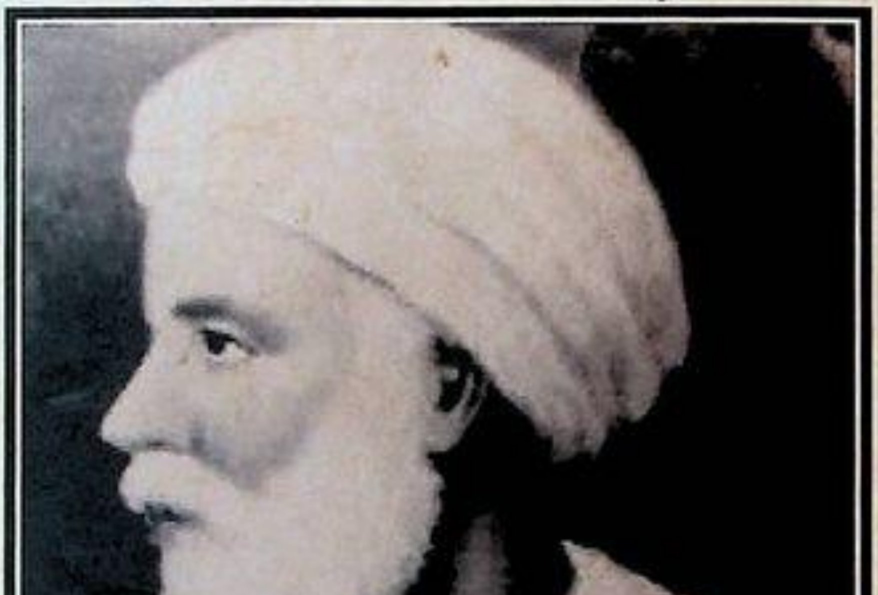
رسائل

سيدي ابي الحسن الشاذلي

(591 - 656 هـ)



اعتنى به:

وديع زرهون

للنشر والتوزيع
PUBLISHING & DISTRIBUTING

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل

سيدي أبي الحسن الشاذلي

(591 - 656 هـ)

رسائل

سيدي أبي الحسن الشاذلي

(591 – 656 هـ)

اعتنى به:

وديع زرهون

الطبعة الأولى

2023م

Rikaz for Publishing and Distribution ركاز للنشر والتوزيع
Jordan-Irbid | الأردن – اربد
E-MAIL: rikazpublisher@gmail.com
Mobile: +962797984602
@rikazpublisher

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2022/8/4339)
ISBN (ردمك): (978-9923-44-165-7)

219
الشاذلي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله بن عبدالجبار بن تميم بن هرمز
رسائل سيدي أبي الحسن الشاذلي/نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله بن عبدالجبار بن تميم بن هرمز الشاذلي (ت 656هـ)؛ تحقيق: وديع زرهون.-اربد: دار ركاز للنشر والتوزيع، 2022
( ) ص.
ر.إ.: 2022/8/4339
الواصفات: /الآداب الصوفية//الأدب الصوفي//الصوفيون//التراث الأدبي/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

بسم الله الرحمان الرحيم

المقدمة:

لا شك في أن تحقيق النصوص يعد، اليوم، رأس الأولويات التي ينبغي أن نعنى بها. إن واقعنا الثقافي، وحاجتنا البحثية، كانا، وما زالا، يستدعيان الدعوة بإلحاح إلى تحقيق النصوص، والعمل على إخراجها، لتكون منطلقا للبحث والتحليل والدراسة، إذ التحقيق هو المقدمة الصحيحة لأي دراسة جادة، وإلا ظلت البحوث كسيحة، والدراسات ناقصة، والرؤى مضببة، والأحكام متسرعة. وعلى الرغم من ظهور مبادرات إستثنائية من هنا وهناك، إلا أن هذا الميدان لا يزال يحتاج إلى المزيد من الجهد المتواصل والعمل الدؤوب.

بداية هذا ما حفزني منذ سنوات على ضرورة المساهمة في هذا المسعى، وقد تبلورت هذه الفكرة من جراء مطالعتنا للتراث المغربي. وقد ارتأينا بالنظر إلى ما سبق، أن يكون التركيز بالدرجة الأولى على تحقيق النصوص "الشعر أو الرسائل" وليس على البحوث والدراسات، ووقع الاتفاق على إخراج رسائل سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، ضمن سلسلة يعتزم "مركز الأبحاث والدراسات الأدبية المغربية بمراكش" إصدارها موصولة ومتتابعة بإذن الله تعالى؛ في سعي إلى أن تكون مستوفية للنصوص قدر الإمكان، وفي تطلع إلى تلقي كل الملاحظات والاقتراحات التي قد تبدو لقرائها الكرام. وأن يتم ذلك وفق المنهجية العلمية التالية:

- جمع النصوص وتوثيقها وضبطها.
- صنع الدواوين "الشعر أو الرسائل" كاملة منها وليس مختارات.

- فرز النصوص "الشعر أو الرسائل" وتحقيقها، وما يتطلب ذلك من مقابلة وتصحيح وغير ذلك. وقد أمكن بحمد الله جمع عدة دواوين ورسائل لمجموعة من الأدباء المغاربة، ستصدر تباعا بحول الله تعالى.

ومؤلف الرسائل التي بين أيدينا هو: نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز، بن حاتم بن قصي بن بن يوسف بن يوشع، بن ورد، بن بطال، بن علي بن أحمد، بن محمد بن عيسى بن إدريس المبايع له ببلاد المغرب بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، المعروف بالشاذلي، ولد رضي الله عنه سنة 591 هـ، بقرية اشتنواغل، من بني زرويل، من قبيلة الأخماس الغمارية قرب شفشاون بالمغرب الأقصى، ومبدأ ظهوره بشاذلة قرية من قرى إفريقية قرب تونس، سكنها مدة وإليها نسب، ونزل الإسكندرية، وحج مرارا.

وقال فيه العلامة ابن عطاء الله السكندري: هو الشيخ الإمام حجة الصوفية، علم المهتدين، زين العارفين، أستاذ الأكابر، والمنفرد في زمانه بالمعارف السنية والمفاخر، العالم بالله، والدال على الله، زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار، والقطب الغوث الجامع: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. عرف بالشاذلي. منشؤه بالمغرب الأقصى، ومبدأ ظهوره بشاذلة: بلدة على القرب من تونس، وإليها نسب. له السياحات الكثيرة، والمنازلات الجليلة، والعلوم الغزيرة، لم يدخل في طريق الله، حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة، جامعا لفنونها من تفسير وحديث ونحو وأصول وآداب، وله سياحات كثيرة، وكرامات شهيرة، ثم جاءه بعد ذلك العطاء الكثير، والفضل الغزير، واعترف بعلو منزلته من عاصره من أكابر العلماء والأولياء العارفين بالله تعالى.

وقال فيه الإمام أبو القاسم البرزلي: هو من أهل علم الحقائق، ومعرفة الدقائق وأسرار كثيرة من علم التوحيد، وممن نور الله قلبه للغوص في علم التنزيل وحكمة السنة وخصائص العلوم الربانية، وذلك محفوظ عنه، ظاهر من كلامه وأحزابه، وهو من العلماء بالله تعالى وبأمره، ومن أصحاب الأحوال، ومن رجال الآخرة وعلماء الإسلام ظاهرا وباطنا.

وقال الإمام البوصيري صاحب "البردة" من قصيدة في مدحه:

أمَّا الإمَامُ الشَّاذُلِيُّ طريقُهُ ... في الفضْلِ واضحةٌ لعيْنِ المُهْتَدِي
فانْقِلْ -ولوْ قدَمًا- علَىٰ آثارِه ... فإذا فعَلْتَ فذَاكَ أَخْذٌ باليَدِ
قُطْبُ الزَّمانِ وغَوْثُهُ وإمَامُه ... عيْنُ الوجودِ، لِسَانُ سِرِّ المُوجِدِ
سادَ الرِّجالَ فَقَصَّرَتْ عنْ شَأْوِهِ ... هِمَمُ المَآرِبِ لِلْعُلَا والسُّؤْدَدِ
وإذا مَرَرْتَ علَىٰ مكَانِ ضَرِيحِهِ ... وَشَمَمْتَ رِيحَ النَّدِّ مِنْ تُرْبٍ نَدِي
ووَجَدْتَ تَعْظِيمًا بِقَلْبِكَ لوْ سَرَىٰ ... في جَلْمَدٍ سَجَدَ الورَىٰ لِلْجَلْمَدِ
فَقُلِ السَّلامُ علَيْكَ يا بَحْرَ النَّدَىٰ الطَّـ ... ـامِي، وبَحْرَ العِلْمِ؛ بَلْ والمُرْشِدِ
وَرَأَيْتَ أَرْضًا في الفَلاةِ بِخُضْرَةٍ ... مُخْضَرَّةٍ مِنْهَا بِقَاعُ الغَرْقَدِ

توفي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله سنة 656 هـ، وهو قاصد الحج في شهر رمضان، ودفن بصحراء عيذاب بحميثرا من الصعيد المصري.

يضم هذا الكتاب باقات من الرسائل القيمة المتنوعة، التي صاغها سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، بأسلوبه المشرق البليغ الأنيق، ونفسه القوي المتألق. وتناولت مختلف المعارف وآداب التصوف وجوامع الكلم، ومن الحكم والوصايا والمنامات

والمكاتبات وغيره. وأما الأحزاب والأدعية، ونظرا لكثرتها، فستنشر فيما بعد في جزء ثاني. كما سينشر ديوان الشاذلي الشعري بشكل مستقل بإذن الله تعالى.

ومن المعلوم لدينا أن الشيخ لم يضع شيئا من الكتب، وذلك تحقيقا ومقاما وما هي إلا إملاءات من حضرة الشيخ رضي الله عنه على تلامذته فدونت عنه وحفظت. وكان يقول رضي الله عنه: كتبي أصحابي. هذا وقد قمت بالضبط والتصحيح، والتخريج والتوثيق والمقابلة، وهو إلا جهد المقل.

واعتمدت في إخراج هذا الكتاب على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة ما بين مطبوع ومخطوط، مما اشتمل على قليل أو كثير من كلام الشيخ رحمه الله، ورغم محاولاتي المتكررة لم أتمكن من الحصول على البعض، وآمل أن أتمكن من ذلك مستقبلا وأضمها إلى الطبعة الثانية من الكتاب بحول الله تعالى. والله ولي التوفيق.

وحرر بمراكش: 01/ 08/ 2022

وديع زرهون: رئيس مركز الأبحاث والدراسات الأدبية المغربية.

[آداب الحضرة]

آداب الحضرة ثلاثة: دوام النظر، وإلقاء السمع، والتوطين لما يرد عليك من الحكم. وأربعة آداب: إذا خلا الفقير المتجرد منها، فاجعله والتراب سواء: الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والإنتصاف من النفس، وترك الإنتصاف لها. وأربعة آداب أخرى إذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبأن به، وإن كان أحدهم أعلم البرية: مجانبة الظلمة الفجار، وإيثار أهل الآخرة، ومواساة ذوي الفاقة، ومواظبة الخمس في الجماعة. فمجانبة الظلمة تدل على الخوف، وإيثار أهل الآخرة يدل على المحبة، ومواساة أهل الفاقة الفقراء والمساكين بما يفتح عليه يدل على الرجاء، ومواظبة الخمس في الجماعة يدل على الشوق. وينبغي له أيضا أن يتأدب بآداب المتجردين إذ هو كمال في حقه.

فالفقير إذا انتصر لنفسه فقد نقض العهد مع ربه، فيجب عليه التوبة. وقالوا: الصوفي دمه هدر، وعرضه وماله مباح. يعني: أنه لا ينتصر لنفسه، فكل من آذاه لا يخاف من جانبه فكأنه مباح، مع كونه حراما بالشريعة، بل هو أشد حرمة من غيره. والله تعالى أعلم.

ولا تكمل عبادة فقير حتى يصير يشاهد الشرع في كل عبادة عملها، يعني يعملها بحضرته على الكشف والمشاهدة، لا على الإيمان والحجاب، فإن قال قائل: ما دليلك على ذلك؟ قلنا له: قد رأيت النبي ﷺ في واقعة من الوقائع فقلت له: يا رسول الله ما حقيقة متابعتك في العمل على موافقة شريعتك، فقال: «هي أن تعمل العمل مع شهودك للشرع حال العمل وبعد العمل».

وأيعجز أحدنا أن يكون كالسلحفاة؛ فإنها تربي أولادها بالنظر، فما دامت تحدق ببصرها إلى فرخها فهو في غاية النجابة، فإن توارى عنها مات، أو كأن بيضه فسد، فنحن

أولى بذلك من السلحفاة، ولا والله ما بيني وبين المريد الصادق إلا أن أنظر إليه وقد كفيته. فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه، فإنه من فعل الرجال الأكابر، فيصير الفقير يربي كل من وقع بصره عليه من غير أن ينسبه أحدا إليه.

[آداب السؤال]

منازل السائلين ثلاثة: سائل يسأل عن التصديق بتحقيق القرب، وسائل يسأل عن عين التحقيق برفع الحجاب، وسائل يسأل عن النيابة بالفناء عن نفسه.

وإذا سألت فاسأل الله، فإن أعطاك فاشكر الله، وان منعك فارضى عنه، وإياك وكزازة النفس وسوء الظن وغلبة الشهوات، فتحرم المحبة والمعرفة والرضاء والمغفرة، وتحجب عن الله، وتطرد عن المحل الأعلى إلى أسفل من ذلك، ولست تدري أين يرميك في حدود أسفل السافلين والعياذ بالله، يا رب سلم واستر وألطف.

وقد أردت أن أمشي إلى بعض الظلمة في الدفع عن رجل مسلم من الصالحين فقلت: اللهم اجعل مشيي إليهم تواضعا لوجهك، وابتغاء لفضلك ورضوانك، ونصرة لك ورسولك ﷺ، وزينني بزينة الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، وخصني بالمحبة والإيثار ورفع الحاجة من الصدور في الليل والنهار، وقني شح نفسي، واجعلني من المفلحين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

وإذا أردت أن تسأل حاجة من الناس فارفعها إلى الله تعالى قبل أن ترفعها إليهم، فإن قضاها لك منهم فاشكره واشكرهم، وإن لم يقضها لك منهم فارض عن الله، ولا تنسب إليهم شيئا، ولا تذمن أحدا منهم إلا بما ذمه الله تعالى، ولا تمدحن أحدا إلا بما مدحه

الله، وإلا فأمسك، فهو أسلم لك وأهيأ للرضى من الله عنك، واعبد الله باليقين ترفع إلى الدرجات العلى، وإن قل عملك.

واعلم يا ولدي أيدك الله بروح منه، أن أفضل ما يسأل العبد من الله تعالى خيرات الدين، ففي خيرات الدين خيرات الآخرة، وفي خيرات الآخرة خيرات الدنيا، وفي خيرات الدنيا ظهور خصائص الأولياء، وخصائص الأولياء أربعة: أوصاف العبودية، ونعوت الربوبية، والإشراف على ما كان ويكون، والدخول على الله تعالى في كل يوم سبعين مرة، والخروج كذلك، فيكسى في كل مرة حللا من الأنوار والتقريب.

وأخس الناس منزلة عند الله من جعل دينه سببا لقضاء حوائجه، وإذا كانت لك حاجة وأردت أن تقضي حاجتك، فأثبت الملك والقدرة والعلم والإرادة والمشيئة لله تعالى، واجعل فقرك إليه وحاجتك عنده، واحذر أن يمتد بصر قلبك إلى غير الله فتحجب عن الكل، بل فوض أمرك إليه، ولا تفرح ولا تحزن، ولا تخاف ولا ترجوا، ولا تذل، والمؤمن لا يذل نفسه، وقل: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

وحدثتني نفسي يوما أن في التعرض لحاجات الخلق شغلا عن الحق والخلوة بحضرته، وإذا بي أرئ نفسي في بحر عميق تحيط بي المياه من كل جانب ولا أرئ برا في أي جهة من الجهات أستطيع أن أخرج منه فوقفت صلبا والأمواج تحيط بي ولكن ثبتني الله فلا أستطيع أن أخرج ولا تستطيع الأمواج أن تغرقني وإذا بقائل يقول لي: إن من أجل أعمال أهل الفتح قضاء حوائج الخلق طلبا لمرضاة الله عز وجل.

[آداب العزلة]

ثمار العزلة الظفر بمواهب المنة، وهي أربعة: كشف الغطاء، وتنزل الرحمة، وتحقق المحبة، ولسان الصدق في الكلمة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: 49].

واعلم أن آفات العزلة في العوام القاصدين إلى الله تعالى على سبيل المعرفة، والاستقامة في سلوك العلم إلى الله تعالى أربع: تعلق النفس بالأسباب، وركون القلب إلى الجهة المخصوصة من الاكتساب، واكتفاء العقل بما يحصل له من الاقتراب، وخطرات العدو بالأماني الصادرة عن المراد.

واعلم أن آفاتها في خواصهم أيضا أربعة: الإستئناس بالوساوس، والتحدث بالرجوع إلى الناس، والتحديد في الوقت وهو من علامات الإفلاس، وملاقات هواتف الحق على زعمه بالمعهود من الحواس.

ولكل آفة سبيل في الجهاد بالرد إلى أصل التوحيد والمعرفة، والحمل على سبيل الاستقامة، فإذا عرض لك عارض من جهة التعلق بالأسباب؛ أو الركون إلى الجملة المخصوصة في الاكتساب، فأرجعها إلى أصل المعرفة بالسوابق فيما قسم لها، وأجري عليها. وقل لها: أتخذت عند الله عهدا، أو أنك لن ترزقني إلا بهذا السبب، أو من هذه الجهة، وضيق عليها بالمعرفة، وأغرقها في بحر التوحيد، وقل: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكذاك قالوا: أغرق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تغرقك.

وإن عرض لك عارض جهة اكتفاء العقل بما حصل من له من علم، أو عمل، أو نور، أو هدى، أو خطاب تتحرى فلا تغفل عن السابقة أو الخاتمة، ولا عن فعل الواحد المختار الذي يفعل ما يشاء، ولا يبالي بحسنة المقبل، ولا بسيئة المدبر، وإن عرض لك عارض من خطرات العدو بالأماني الصادة عن المراد، وهي من ثلاثة أوجه: إما جهة من الدنيا،

وإما من جهة الآخرة، وإما من جهة الألطاف والمنازل والأحوال في الدرجات، فهي صادة عن المراد، والمراد العبودية المحضة، ووجود الحق بلا سبب من الخلق، فالله تعالى يقتضي منك أن تكون له عبدا، أو تحب أن يكون لك ربا، فإذا كنت له عبدا كان لك ربا، وإذا كان لك ربا من حيث يرضاه كنت له عبدا، ولا يدعك لغيره من طريق الحقائق فكيف بالأماني، فاعلم هذا الباب، وأتقنه جدا، واستعن بالله واصبر ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

وإذا كنت في درجة الخواص ومن الصديقين القاصدين وعرض لك في عزلتك الوسواس بما يشبه العلم من طريق الإلهام والكشف من حيث التوهم، فلا تقبل، وارجع إلى الحق المقطوع به من كتاب الله، وسنة رسوله، واعلم أن الذي عارضك لو كان حقا في نفسه، وأعرضت عنه إلى حق بكتابه أو سنة رسوله ﷺ لما كان عليك عتب في ذلك؛ لأنك تقول: إن الله قد ضمن لي العصمة في جانب الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام والمشاهدة. فكيف تقبل ذلك؟ ولو قبلت ذلك من طريق الإلهام لم تقبله إلا بالعرض على الكتاب والسنة، فإذا لم تقبله إلا بهما فما بالك تأنس بالوساوس المتوهمة، فاحفظ هذا الباب حتى تكون على بينة من ربك، ويتلو الشاهد من ذلك. والبينة لا خطأ معها ولا إشكال والحمد لله.

وإذا عارضك فيها عارض بالتحدث بالرجوع إلى الناس لتعرض عليهم ما أنت فيه فأنت معهم لم تخرج عنهم بشيء، ولا تغتر باعتزال بدنك والقلب معهم، فاهرب إلى الله تعالى فإن من هرب إلى الله آواه الله، وإن صفة الهروب إلى الله بالكراهة لجانبهم، والمحبة لجانب الحق باللجوء إليه والاعتصام به: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 11].

وإذا عرض لك عارض التحديث بالرجوع، فجاهده بالعوارض الممكنة في العلم، الحائلة عن ذلك مما يجوز أن يكون، واصرف همتك إلى الله بالتقوى كي يجعل لك من أمرك مخرجا ويرزقك من حيث لا تحتسب، فإن جذبتك هواتف الحق، فآفاتها الاستشهاد بالمحسوسات على الحقائق الغيبيات، ولا تردها إلى ذلك فتكون من الجاهلين، ولا تدخل في شيء من ذلك بعقلك. وكن عند ورودها كما كنت قبل ظهورها حتى يتولى الحق بيانها وإيضاحها ويتولى هداك ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 196].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]، فعزة المؤمن أن يمنعه الله منا لتعبد للنفس والهوى والشيطان أو لشيء من المكونات في الغيب والشهادة والدنيا والآخرة، والمنافق لا يعلم العزة إلا بالأسباب والتعبد للأرباب، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ. وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: 192-193].

ومن أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا هذا يومين، وقيل لي: كيف لي بذلك؟ قلت: فرق الأصنام عن قلبك وأرح من الدنيا بدنك ثم كن كيف شئت فإن الله لن يدعك فإن جاءك شيء من الدنيا بعد فلا تنظر إليه بعين الرغبة ولا تصحبه إلا بالرهبة ولا تجلس معه إلا بالواجب في صرفه أو إمساكه وإن طلب شيئا منها يوما فاشهد طلب الله لك في طلبك له، فأنت مطلوب بالطلب فإن خرج لك الطلب منه مخرج الرضى فادخل ولا تعلق قلبك بالظفر به ولابد فإنك لا تدري أتصل إليه أم لا وإن وصلت إليه فلست تدري ألك هو أو لغيرك فإن كان لك فليس تدري فيه الخير أم فيه الشر وإن كان لغيرك فليس لك به علم هل هو لحبيبك أم لعدوك وعلى الجملة فكيف يسكن القلب إلى موهوم ويتصور فيه

كلها وأكثر من ذلك فاطلبه وأنت معلق بالله وناظر إليه واستعمل الشكر إذا ظفرت به والصبر أو الرضى إذا لم تظفر به بل الحمد والثناء على الله أجمل.

واعلم أن الحق تعالى إذا منعك لم يمنعك عن بخل، وإنما يمنعك رحمة لك، فإذا منعك فقد أعطاك، ولكن لا يفقه العطاء والمنع إلا الصديقون، وإذا منعك ما تحب، وردك إلى ما يحب فهي علامة محبته لك. أو خرج لك الطلب مخرج السخط بدلالة مخالفة العلم أو ما يكاد فالجأ إلى الله حتى يكون هو الذي يخلصك ويفعل الله ما يشاء والعاقبة للمتقين.

[آداب الفقد والوجد]

اعلم أن الفقد والوجد يتعاقبان علينا كتعاقب الليل والنهار، ومدار هذا الأمر على أربعة أشياء: كن شاكرا لأنعم الله إذا وجدت، وراضيا عن الله إذا فقدت، وباذلا للفضل إذا رزقت، ولا تحزن على الشكر فيحزن عليك، واحزن بالأمانة إذا أردت، واسلم وجهك إلى الله في كل أمر قصدت، فإن حاجوك من داخل أو من خارج كان المحاجج من النفس أو من الجن أو من الإنس فقل كما أمرت في التلاوة بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 20] ولا تكن عابدا مكابدا، ولا زاهدا معاندا، ولا عاصيا متمردا، ولا مفتونا جاحدا، فإن حظيت بالأربع كالأول فقد دخلت في ثناء الله عز وجل بقوله: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 121].

[آداب القبض والبسط]

القبض والبسط قلما ما يخلو العبد منهما، وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار، والحق سبحانه يقتضي منك العبودية فيهما، فمن كان وقته القبض فلا يخلو أن يعلم سببه أو لا يعلمه.

وأسباب القبض ثلاثة: ذنب أحدثته، أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك، أو ظالم يؤذيك في مالك أو نفسك أو عرضك أو ينسبك لغير دين، أو غير ذلك، فإن كنت أذنبت فاستغفر، وإن كنت ذهبت عنك الدنيا فارجع إلى ربك، وإن كنت ظلمت فاصبر، واحتمل هذا دواؤك، وإن لم يطلعك الله تعالى على سبب القبض فاسكن تحت جريان الأقدار؛ فإنها سحابة سائرة.

فإذا ورد عليك القبض من أحد هذه الأسباب، فالعبودية أن ترجع إلى العلم مستعملا له كما أمرك الله، أما في الذنب فبالتوبة والإنابة وطلب الإقالة، وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فبالتسليم والرضى والاحتساب، وأما فيما يؤذيك من ظالم فبالصبر والاحتمال. واحذر أن تظلم نفسك فتنتصر لها فتتعدى الحق في حق الظالم فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك، فإن فعلت ما التزمت به من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح، وربما أتاك من نور الرضى ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه عدوتك، وما أحسن حالك إذا رحم الله ربك من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

وأما إذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا، فالوقت وقتان: ليل ونهار، فالقبض أشبه شيء بالليل، والبسط أشبه شيء بالنهار، فإذا ورد عليك القبض بغير سبب تعلمه، فالواجب عليك السكون، والتسليم والرضى، والسكون عن ثلاثة أشياء: عن الأقوال،

والحركات، والإرادات، فإن فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك أو يبدو لك نجم تهتدي به أو قمر تستضيء به، أو شمس تبصر بها، والنجوم نجوم العلم، والقمر قمر التوحيد، والشمس شمس المعرفة، وإذا تحركت في ظلمة ليلك فقلما تسلم من الهلاك، واعتبر بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: 73] فهذا حكم العبودية في القبض جميعا، وأما إن كان وقتك البسط فلا يخلو من أن تعلم له سببا أو لا تعلمه فالأسباب ثلاثة: السبب الأول: زيادة بالطاعة، أو نوال من المطاع كالعلم، والمعرفة، والسبب الثاني: زيادة من الدنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة، والسبب الثالث: بالمدح والثناء من الناس وإقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك، فإذا ورد عليك البسط من أحد هذه الأسباب فالعبودية تقتضي منك أن ترى النعمة والمنة من الله عليك في الطاعة والتوفيق فيها وتيسير أسبابها.

واحذر أن ترى شيئا من ذلك من نفسك، وحصنها أن يلازمك الخوف، خوف السلب مما أنعم عليك فتكون ممقوتا، هذا في جانبي الطاعة والنوال من الله تعالى، وأما الزيادة من الدنيا فهي نعمة أيضا كما الأولى، وخف مما بطن من آفاتها وعوائلها، وأما مدح الناس لك وثناؤهم عليك وتقبيل يدك وامتثال أمرك، فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر الله عليك، وخف من الله أن يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس إليك.

وأما البسط الذي لا تعلم له سبب فحق العبودية فيه ترك السؤال، والإذلال، والصولة على النساء والرجال، اللهم إلا أن تقول: رب سلم سلم إلى الممات.

وإن مريم عليها السلام كان يتعرف إليها في بداياتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لإيمانها وتكميلا ليقينها، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا. فلما قوي إيمانها ويقينها ردت إلى السبب لعدم وقوفها معه، فقيل لها: وهزي إليك بجذع

النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. قال تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106] ومعناه: ما ذهب الله بولي إلا أتى بخير منه أو مثله. وإذا ضيق الله عليك أيها المريد وسد عليك أبواب الرزق وقسى عليك قلوب عباده، فاعلم أنه يريد أن يواليك فاثبت ولا تضجر، فهذا أدب القبض والبسط في العبودية جميعا إن عقلت، وبالله التوفيق والسلام.

[آداب المجالسة]

مجالسة الأكابر أربعة أوصاف: بالتخلي عن أضدادهم، والميل، والمحبة، والتخصيص لهم، الثاني: إلقاء المسلم بين أيديهم، وترك ما تهوى لما يهوون، الثالث: إيثار أقوالهم وأفعالهم، وترك التجسس على عقائدهم، الرابع: الهمة بما تعلقت به هممهم بشرط الموافقة لهم في أفعالهم.

وأشياخ الناس في كل زمان، علماء، وعباد، وزهاد وعارفون بأدب الشخص مع أمثاله، وإذا جالست العلماء فجالسهم بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة، فإما أن تفيدهم و إما أن تستفيد منهم، وذلك غاية الربح منهم، وإذا جالست العباد والزهاد، فاجلس معهم على بساط الزهد والعبادة، وحل لهم ما استمرؤوه منهما، وسهل عليهم ما استوعروه، وذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه، وافتح لهم شيئا من معرفة طريق العارفين التي هو فيها ليرفع همتهم عن الاعتماد على أعمالهم واستبعادهم أنهم يدخلون النار. وإذا جالست العارفين والصديقين، فاجلس معهم على أن تحفظ لسانك وقلبك، قياما بواجب حقهم وإن لم يأخذوه هم بذلك، وفارق ما تعلم ولا تنتسب لما لا تعلم تظفر بالعلم المكنون، وببصائر وفوائد أجرها غير ممنون.

[آداب المريد]

مجالسة الأكابر المشايخ الكمل بأربع أوصاف: بالتخلي عن أضدادهم كن فقط مع شيخك وانسى غيره بدون غيبة ونميمة وقدح وشتم وتصغير وتحقير والميل والمحبة والتخصيص لهم لا تنسى شيخك ولا تهجره بل تشاوره وتتقرب إليه في كل شيء يحبه، وإلقاء السلم بين أيديهم ولا تغش شيخك ولا تخدعه وكن معه في الوضوح والصراحة بغير لعب بالألفاظ والكذب والتصنع وترك ما تهوى لما يهوون تقدم شيخك على نفسك وعلى جميع أحبابك وأصدقائك ووظيفتك ومالك، وإيثار أقوالهم وأفعالهم وترك التجسس على عقائدهم ولا تلعب مع شيخك حتى لا يتعبك ويتركك لتتعلم بالصعب والخوف والتعب وعلق وارفع همتك بما تعلقت به همتهم ومنهم شيخك ومربيك بشرط الموافقة لهم في أفعالهم. إذا فعلت ذلك واستطعت فقد فزت ونجحت وجزت وفلحت. والجمعية هي مراقبة صورة شيخك، والاستمداد منه، والعلم بأن رسول الله محيط بكماله، والله تعالى محيط بالكل، وبها يتم الفلاح.

ولا تصحبوا الأشياخ إلا بصدق وإذعان وصبر على جفائهم لكم بغير سبب ظاهر، ولا تأتوهم إلا بهمة وقادة، فإنه أسرع في قبول الشيخ لكم، وما قال شيخ قط لمريد جاء يطلب الطريق اصبر يوما أو يومين أو ساعة إلا لما يراه من فتور همة ذلك المريد وسوء أدبه، ولو أنه رأى عنده أدبا لبادر لأخذ العهد عليه، ولم يجز للشيخ أن يقول قف ساعة لأن ذلك يطفئ نار عزم المريد.

وينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا إلا بعد أن يمهد له بساطا قبل ذلك يذكر له فيه ما يحصل له من أنواع التقربات الإلهية واللطائف الربانية والعلوم اللدنية، وهنالك يتنبه المريد لطلب ما يدعوه الشيخ إليه، ويبادر لامتثال أمره، وتهب عليه ريح التوفيق، فلا يقف مع شيء يحجبه عن حضرة ربه عز وجل، فإن مثال من لا يرى ما يدعوه الشيخ إليه

من الخير مثال قوم ركبوا سفينة ومعهم أموالهم وأمتعتهم فيخبرهم رئيس المركب: إن في غد يهيج ريح شديدة كل من لم يرم متاعه غرق فارموا متاعكم في البحر في هذا الوقت فلا يجيبه أحد، ثم إذا جاء الغد وهاجت الريح يصير كل واحد يرمي متاع نفسه طلبا لسلامته من الغرق، ولو أنك قلت له: لا ترم متاعك في هذا الوقت فلا يجيبك.

وإياك أيها المريد أن تستصغر شيئا من أعمال شيخك، فإن ورد الأولياء الأكابر إنما هو إسقاط الهوى، ومحبة المولى، ورد النفس عن الباطل في عموم الأوقات، وللمريدين قدم في مثل ذلك. وأبق لك أيها المريد شيئا من الدنيا يكفيك عن سؤال الناس وعن أكل الصدقات، ولا تسرف في ترك الدنيا بالكلية فربما تغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها قهرا فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها، إما بالهمة، أو بالفكرة، أو بالإرادة، أو بالحركة. وحقيقة الشيخ مع الأصحاب أن تكون يد الشيخ عليهم تحفظهم أينما كانوا غائبين أو حاضرين. ومثال من وقف على قدم الحجاب من الفقهاء وغيرهم.

ومن أراد الترقي على يد شيخه فلا يدخل عليه قط إلا وهو تارك لمعلوماته الدنية ليدله على المعلومات العلية. أعني بالعلية دقائق العلوم وبالدنية ما كان سهل التناول قريبا من الأفهام، وإلا فالعلوم ليس فيها شيء دني، و إنما تخفض العلوم أو ترفع بالنية لأنها كلها هي علم رسول الله ﷺ المشار إليه بقوله: «فعلمت علم الأولين والآخرين».

وإياكم والإعراض على الأشياخ واصبروا تحت جناحهم لكم وما قال شيخ لمريد قط جاء يطلب الطريق قف ساعة إلا لما رآه من قلة أدب المريد ولو رآى عنده أدب لبادر لأخذ العهد عليه فإن المريد لو أتي الشيخ بهمة وهي متوقدة لم يجز له أن يقول له قف ساعة لأنه ينطفي نار غرامه.

ومن علامة المريد كثرة العمل على الصدق والإخلاص وعدم طلب العوض من الله على عبادته، فإن عبد الأجرة لا قيمة له، ولا يمكنه المؤجر من الدخول على حرمه في

غيبته، وبمجرد ما يأخذ أجرته يفارق السيد ويذهب، ولا هكذا عبد الرق. وينبغي للمريد أن لا تمر عليه ساعة إلا وهو قائم بما لله عليه فيها.

وإذا غفل مريد عن الذكر نفسا واحدا صحبه الشيطان فهو قرين، إذ الشيطان بالمرصاد لمن أقبل على الله عز وجل، فهو واقف تجاه قلبه فمتى رأى الغفلة دخلت قلبه دخل، ومتى رأى الذكر دخل قلبه خرج، فمن لم يداوم على ذكر الله تعالى فهو ملعبة للشيطان، وإذا كان الشيطان يدنس قلب المريد وينجسه إذا دخل في النهار مرة واحدة، فكيف بقلب باض الشيطان فيه وفرخ أو كان مريد طول نهاره يدخل فيه الشيطان ويخرج، فضلا عن كونه مستقرا فيه؟ ومن شأنه أن لا يتقلق من تنكرات الأحوال عليه أول دخوله في الطريق.

وكل مريد ادعى فتح بصيرته وعنده بقية طمع فيما بأيدي الناس فهو كاذب، وبصيرة المريد كالبصر أدنى شيء يقع فيها يعطل النظر، فإن من فتح الله عين بصيرته لا يصح أن يعلق قلبه بمخلوق، لأنه يجد الخلق كلهم فقراء لا يملكون شيئا مع الله تعالى.

ومن أضر شيء على المريد الإكثار من الأعمال الصالحات ليحمد على ذلك، فلا يزداد بكثرتها إلا طردا ومقتا، وهذا أمر يخفى على كثير من المريدين، ومن هنا أوجبوا على المريد الإسرار بأعماله حسب الطاقة حتى يقوى ويتمكن. وربما يفعل المريد أمرا يحمد عليه ولا يقصده فيظن أنه مخلص فيه، والحال أنه من وجه آخر مرائي. وذلك كأن يرد مثلا ما يعطيه له الناس تعففا، فيحمده الناس على ذلك، فيصغي إلى مدحهم فيرجع عمله إلى الرياء ولو لم يقصد ذلك أولا.

ولا يكون المريد صادقا حتى يترك المعاصي جملة وتفصيلا ويترك الميل إلى الدنيا صورة وتمثيلا، وكل مريد تهاون بارتكاب معصية واحدة لا يجيء منه شيء في الطريق، وربما ردته تلك المعصية إلى حالة أنزل مما كان فيه قبل دخوله الطريق. وإذا كان المريد

الصادق يعمل على الوفاق، ولا يسلم من النفاق، فكيف بالكاذب يسلم من النفاق من يعمل على الخلاف؟.

ولا يترقى مريد قط إلا إن صحت له محبة الحق تعالى له، ولا يحبه الحق تعالى حتى يبغض إليه الدنيا وأهلها ويزهد في نعيم الدارين، وفي كل شيء يشغله عن مشاهدة ربه، فكل مريد أحب الدنيا فالله تعالى يكرهه على حسب محبته لها كثرة وقلة، فيجب على الفقير المريد أن يرمي الدنيا من يده ثم من قلبه والزهد فيها أول دخوله في سلوك الطريق، ليخلص من محبة ما سوى ربه بحكم الطبع، فإذا تخلص لمحبة ربه وحده، وسكنت محبته في قلبه، قيل له: خذ برنا وفضلنا وحسنتنا لك بشدة وعزم ومزاحمة عليها، واستعمل ذلك فيما خلقناه لأجله من القربات الشرعية، فكما ألقاها أولا بإذن كذلك أخذها آخرا بإذن.

ومتى أقبل المريد على الوقوف مع مراعاته من الخلق قبل بلوغه درجات الكمال سقط من عين رعاية الله عز وجل، ومتى أصغى إلى مجرد مدح الناس له فتلذذ أهلك مع الهالكين. وكثيرا ما تتحول الدنيا من يد المريد أول دخوله الطريق، فيقول في نفسه: ما كان من حاجة بالطريق، فينتقض عهده، فلا يفلح أبدا. وعز المريد على قدر ترك هواه، فتارك نصف أهويته له نصف العز، وكذلك الثلث، والربع، وغيرها، فمن طلب العز الكامل ترك الكل. وخصلتان إذا فعلهما المريد صار عن قريب إمام الناس في عصره: الإعراض عن الدنيا، واحتمال الأذى من أهلها. وإذا انتصر المريد لنفسه وأجاب عنها، علمنا أنه تعالى لم يؤهله لكونه من حضرته.

ومتى تلقن على شيخ أو أخذ عليه العهد وهو يميل إلى الدنيا، فلا بد أن يرجع من حيث جاء وترفضه الطريق، ومحال أن يقدر أحد على إدخال فقير حضرة الله عز وجل ومعه علاقة دنيوية، إذ جميع أهل حضرة الله عز وجل مطهرون من محبة الدنيا وشهواتها،

لأنهم أنبياء وأولياء وملائكة، ولا أحد من هؤلاء يحب الدنيا لغرض فاسد، وإنما يحبها لله عز وجل بالإجماع، فإن أقل أساس يضعه المريد في الطريق: الزهد في الدنيا، فمن لم يزهد في الدنيا لا يصح له بناء شيء في الآخرة. وإذا انتصر الفقير لنفسه وأجاب عنها، فهو والتراب سواء، وإذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعات، فلا تعبأن به.

وكل مريد أحب نعيم الآخرة سوى شهود الحق واقتصر على ذلك النعيم بقلبه، حجب عن الله عز وجل، فإن نهاية الدار الآخرة أن فيها الأكل والشرب واللباس والنكاح وغير ذلك كعلف الدابة حقيقة، فليقدر العبد نفسه دابة، فإنه يجد سيده لا ينساه فهو حاصل له، وطلب الحاصل تضييع للوقت، إنما الشأن أن يطلب مجالسة ربه عز وجل في الدنيا والأخرة، فهذا هو النعيم المطلوب للعارفين في الدارين.

[آداب صحبة الخلق]

لا تصحب إلا من تكون فيه أربعة خصال: الجود من القلة والصفح عن المظلمة والصبر على البلية والرضى بالقضية، وطالب نفسك بإكرامك للناس ولا تطالبهم بإكرامهم لك لا تكلف إلا نفسك.

وأشياخ الناس في كل زمان، علماء، وعباد، وزهاد وعارفون بأدب الشخص مع أمثاله، فأدبه مع العلماء ألا يجالسهم إلا بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة، فإما أن يفيدهم وإما أن يستفيد منهم، وذلك غاية الربح معهم. وأدبه مع العباد والزهاد أن يرغبهم ويجالسهم على بساط الزهد والعبادة، ويحلي لهم ما استمدوه منهما، ويسهل عليهم ما استوعروه، ويذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه، وليفتح لهم شيئا من معرفة طريق

العارفين التي هو فيها ليرفع همتهم عن الاعتماد على أعمالهم واستبعادهم أنهم يدهلون النار.

وأدبه مع العارفين والصديقين أن يحفظ لسانه وقلبه، قياما بواجب حقهم وإن لم يأخدوه هم بذلك. ومن شأنه أن يلزم الأدب مع شيخه، ولا يطلب منه قط كرامة ولا وقوع خارقة ولا كشفا ولا غير ذلك، فمن طلب من شيخه كرامة حتى يتبعه فهو إلى الآن لم يؤمن بكون أستاذه من أهل العلم بطريق أهل الله. ففارق ما تعلم، ولا تنتسب لما لا تعلم تظفر بالعلم المكنون، وببصائر أجرها غير ممنون.

ولما علم الله عز وجل ما سيقال في أنبيائه وأصفيائه، فبدأ بنفسه فقضى على قوم بالشقاء، وأعرض عنهم فنسبوا له تعالى زوجة وولدا، وقالوا: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: 64]. وقالوا: ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: 181] حتى إذا ضاق ذرع النبيﷺ، أو الولي من كلام قيل فيه، نادته هواتف الحق تعالى: أما لك بي أسوة، فقد جعلوا لي زوجة وولدا، ونسبوا إلي ما لا يليق بجلالي وعظمتي، وأنا خلقتهم، ورزقتهم فلا يسع ذلك النبي أو الولي إلا التأسي، ولذلك تحمل الأنبياء والأولياء ما يرميهم به قومهم من الزور والبهتان والجنون والسحر وغير ذلك، مما هو مشهور في الكتاب والسنة.

فإذا قيل في صديق إنه زنديق وقيل في ولي إنه غافل عن الله تعالى غوى، فإن ضاق الولي والصديق بذلك ذرعا قيل له الذي قيل فيك هو وصفك لولا فضلي عليك وقد قيل في ما لا يستحق جلالي وإذا قيل فيك ما ليس فيك فقل الله يعلم مني ما يعلم وإلى الله عاقبة الأمور.

[الأدب]

الأدب نوعان: أدب السنة، وأدب المعرفة، فأدب السنة الأخذ بالعلم على سبيل القصد وحسن النية، وأدب المعرفة مصحوب بالإذن والأمر والقول والإشارة الثابتة من الله، فالإشارة: تفهيم من الله لعبده عن نور جماله وجلاله.

وعنوان الطريق الأدب ومن لا أدب له لا سير له، وما نال من نال إلا بالأدب وما حرم من حرم إلا بترك الأدب.

ولا يمكن أن تتعرف على الله إلا من باب رسول الله ﷺ، ولا يمكن أن تتعرف على رسول الله ﷺ إلا من باب الأدب مع وارثه.

وكل سوء أدب يثمر أدبا فليس بإساءة أدب؛ يعني من حيث الواقع لا من حيث القصد، فتأمل ذلك وبالله التوفيق.

[آدم عليه السلام]

آدم عليه السلام خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته نصف يوم: خمسمائة عام، ثم نزل به إلى الأرض، والله ما نزل الله بآدم عليه السلام إلى الأرض لينقصه، ولكن نزل به إلى الأرض ليكمله، ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 28]. وما قال في الجنة ولا في السماء، فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة، لا نزول إهانة، بالخلافة والإمامة، فإن الأنبياء عليهم السلام لا ينقلون قط إلى حال إلا لأعلى منها؛ لدوام ترقيهم وعصمتهم، ولكن تارة يكون ترقيهم بالقرب والتخصيص، وتارة بالذل والمسكنة، وهذه في التحقيق أتم مما قبلها؛ لأنها صفة كمل العبيد، فحصل لآدم بذلك عبوديتان؛ عبودة التعريف السابق، وعبودة التكليف اللاحق، فعظمت بذلك منة الله تعالى. فانه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف، فأنزله الله

الأرض ليعبده بالتكليف، فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة، وأنت أيضا لك قسط من آدم، كانت بدايتك في سماء الروح في جنة المعارف، فأنزلت إلى أرض النفس لتعبده بالتكليف، فلما توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة.

وآدم عليه السلام لم يخطر بباله في تلك الحضرة أن يكون هناك من يكذب على الحق، وإن كان في تبصر تام باستحضار باله في ما يصدر له من هذا العدو الذي ينصب له فخ المكايد ليقع فيه، ولم يكن إلا ما أراد الحق مما أخبره به حالة تحذيره منه، فإن أول تكليف في الوجود للنوع الإنساني هو أمره بالتكوين طبق الأمر بقول الحق: ﴿كن فكان﴾ ثم الأمر بسكون الحجة. وأول نهي صدر له هو تكليفه بعدم قرب الشجرة التي أكل منها. واعلم أن أكل آدم عليه السلام الشجرة لم يكن عنادا ولا خلافا، فإما أن يكون قد نسي الأمر فتعاطى الأكل وهو غير ذاكر، ويحمل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115].

وقد كان آدم عليه السلام متوقعا الوقوع فيما حذره منه مولاه، حتى وقع ما وقع في الأكل والخروج من الجنة، وحصل له ندم عظيم بمفارقة الوطن الذي صار يحن إليه عند مقامه في الأرض، حتى ذاق طعم فراق الأحبة، وتوفاه الله بعد مقاساته لأنواع المشاق التي هي من الشقاء الذي ألم به، الموعود به في قوله تعالى: ﴿فتشقى﴾ ولا زال يتحمل نوعا منه ما دام الخلق لم يتميز سعيدهم من شقيهم في دار القرار، وأيس من سهم النار المستوجب لما أمضاه المولى في تلك الدار.

وليس المراد بالشقاء ضد السعادة، لأن ذلك من قبيل المحال القطعي، فلا يخطر بباله ولا ببال من يعرف السعادة الذاتية المنوطة بالنبوة التي لا دخل للكسب فيها، وإنما المراد به الإمتحان الذي صادفه أيام حياته، وما يراه بعدها في تسليه، مما يضحكه أو يبكيه، كلما نظر إلى من عن يمينه وشماله، إلى أن يحصل اليأس من سهم الشقاء بالخلود في ما قدر

عليهم الله، والله يفعل ما يشاء. فلم يزل آدم عليه السلام صلوات الله عليه وسلامه راقيا إلى الله تبارك وتعالى، تارة على معارج التعريف والتخصيص، وتارة على معارج الذلة والمسكنة، وهو التحقيق الأتم، ويجب على كل مومن أن يعتقد أن النبي والرسول لا ينتقلان من حالة إلا إلى حالة أكمل منها. وافهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: 4].

وإذا عرفت هذا فاعلم أن الحق سبحانه وتعالى له التدبير والمشيئة، وكان قد سبق من تدبير مشيئته أنه لا بد أن يعمر الأرض بنو آدم، وأن يكون منهم كما شاء محسن وظالم لنفسه مبين. وكان من تدبير حكمته أن لابد من تمام ذلك وظهوره إلى عالم الشهادة، فأراد الحق سبحانه وتعالى أن يكون تناول آدم عليه السلام من الشجرة سببا لنزوله إلى الأرض، ونزوله إلى الأرض سببا لظهور مرتبة الخلافة التي من بها عليه.

ورأيت آدم عليه السلام ينظر عن يمينه وينظر عن شماله، فهناك سبب الضحك والبكاء، ورأيت الجنة عن يمينه والنار عن شماله، ورأيت الناس يتنعمون في الجنة منه، ورأيت الناس يعذبون في النار منه، فقيل لي: أعرف حقيقة اليمين وحقيقة الشمال عن أبيك آدم، وبقي لك أن على يمين اليمين، وعلى شمال الشمال، وعلى فوق الفوق، وعلى تحت التحت، وتطلع على البرزخ الأعلى، وعلى البرزخ الأدنى وعلى البرازخ المائلة من ذلك البرزخ وهو البرزخ الذي بين الحق والخلق.

وكل شيء نهاك الله عنه فهو في معنى شجرة آدم عليه السلام لكنا افترقنا فإن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة نزل إلى أرض الخلافة، وأنت إذا أكلت من شجرة النهي نزلت إلى أرض القطيعة، فإياك ثم إياك.

وهناك من خلقه الله بيد: إما جمال محض، أو جلال محض. وهناك من خلقه الله بيدين: الجمال والجلال، فهو الخليفة، كآدم عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ

مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75]. فكل من جعله الله خليفة يكون مخلوقا باليدين جسما وروحا، وله تسجد الملائكة كآدم عليه السلام.

وقيل لإبراهيم ابن أدهم قدس الله سره: لو جلست لنا في المسجد حتى نسمع منك شيئا فقال: إني مشغول عنكم بأربعة أشياء فلو تفرغت منها لجلست معكم، قيل من هي يا أبا اسحق؟ قال: أولها أني تذكرت حين أخذ الله الميثاق على آدم عليه السلام فقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي فلم أدر من أي الفريقين كنت. الثانية: أني تفكرت أن الولد إذا قضى الله سبحانه بخلقه في بطن أمه ونفخ فيه الروح فيقول الملك الموكل به يارب أشقي أو سعيد فلم أدر كيف خرج جوابي في ذلك الوقت، الثالث: حين ينزل ملك الموت فإذا أراد أن يقبض الروح فيقول: يا رب أقبضها مع الإسلام أو مع الكفر فلا أدري كيف يخرج جوابي في ذلك الوقت، الرابع: تفكرت في قوله تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ فلا أدري من أي الفريقين أكون ففي هذا شغل شغلني عن الجلوس لكم والحديث معكم.

[الأسباب]

عليكم بالسبب والسعي على العائلة وعلى أنفسكم، ومن فعل ذلك وأقام بفرائض ربه عز وجل عليه فقد كملت مجاهدته.

وليجعل أحدكم مكوكه سبحته، أو تحريك أصابعه في الخياطة أو الضفر سبحته. وللناس أسباب وسببنا الله. ولكل ولي حجاب، وحجابي الأسباب.

[الأسرار]

الأسرار أربعة: سر قائم بذاته متصل بذات رسوله ومحيط بنبوة أنبيائه وهوالذي ترجم به بشهادته وتنزل به الأمر إلى ملائكته ونزل من سمائه إلى أولى العلم من خلقه وأمر به جميع مخلوقاته في السر الأول، والثاني والثالث هو ما يطلع العبد عليه من الغيوب، والرابع سر القلب وهو المعرفة. وسر الأسرار مدد العلم والمعرفة وروح القربة والمحبة والاصطفاء به والتخصيص والتولية.

[أسماء النصرة]

أسماء النصرة عند الدخول في العزلة، فاستمسك بها، ولا تعجل في شيء من أمورك، وقل: بسم الله، وبالله، ومن الله، وإلى الله، وعلى الله، فليتوكل المتوكلون. وهذه الأسماء مما تثمر الرضى وسعة الصدر، وفيما يرد عليك من الضيق في العزلة، قل: حسبي الله، آمنت بالله، ورضيت بالله، وتوكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقل في بعض مناجاتك وسؤالك: يا من وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم، أسألك الإيمان بحفظك، إيمانا يسكن قلبي من هم الرزق، وخوف الخلق، وأقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك، ولا لسؤاله منك، وحجبته بذلك عن نار عدوك، وكيف لا تحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن نفقة الأحباء، كلا إني أسألك أن تغيبني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني، إنك على كل شيء قدير.

[الأسماء]

قيل لي: أثبت لي ما هو حق لي، أثبت لك ما هو حق لك، وأبقيك بما حق لي، ثم أخذك عما هو حق لك، وقل: يا موجود قبل كل موجود وهو الآن على ما هو عليه موجود، يا سميع، يا قريب يا مجيب، يا علي يا عظيم، يا حليم يا عليم، يا سميع يا بصير، يا مريد يا قدير، يا الله يا حي يا قيوم، يا رحمان يا رحيم، يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، يا متكبر يا غفور يا غفار، يا تواب يا رحيم، يا غني يا كريم، يا واسع يا عليم، يا ذا الفضل العظيم، ضاقت علي الأرض بما رحبت وضاقت علي نفسي ولا ملجأ منك إلا إليك فتب علي لأتوب إنك أنت التواب الرحيم.

وقيل لي: إن أردت رضاي فمني وإلي لا من إسمي ولا من إسمك إليك. قلت: وكيف ذلك؟، قال: سبقت أسمائي عطائي، وأسمائي من صفاتي، وصفاتي قائمة بذاتي، ولا يتحقق ذاتي غير ذاتي، وللعبد أسماء دنية وأسماء علية؛ فأسماؤه العلية قد وصفه الله تعالى بها في قوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 122]. وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

وأسماؤه الدنية معروفة كالعاصي والمذنب والفاسق والظالم وغير ذلك، فكما تمحق أسماؤك الدنية بأسمائه العلية كذلك تمحق أسماؤك بأسمائه وصفاتك بصفاته لأن الحادث إذا قورن بالقديم فلا بقاء له، فإذا ناديته باسمه كقولك: يا غفور يا تواب، يا قريب يا وهاب، فاستدعيت بها العطاء لنفسك، فقد تنزلت من أسمائه إلى نفسك، وكذلك إذا

لاحظت أسمائك الدنية من المعاصي والظلم والفسق فاشتغلت بسترها ومغفرتها فأنت باق مع نفسك، وإذا ناديته بإسمه العلي ولاحظت صفته العلية قائمة بذاته محقت أسماؤك كلها وانعدم وجودك، فصرت محوا لا وجود لك البتة، فذلك محل الفناء والبقاء بعد الفناء: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

ومن تعلق بأسماء الله تعالى من جهة المسميات فالشرك وطنه، فيكف بمن تعلق بأسماء فليس ذلك من التوحيد؛ الحق المتجرد عن التعلق بالله والخلق، وكل إسم تجلب به نعمة أو تستكفي به نقمة فهو حجاب عن الذات وعن التوحيد والصفات، ومن أحاطت به صفة من الصفات ألجمته عن الاستعانة بالأسماء والصفات، ولا تطلب ما هو لك بما ليس لك، ولا تتمن ما فضل الله به غيرك، ولتكن عبوديتك التسليم والرضى والقبول لما تؤتى؛ وحسن الظن بالله تعالى فيما تلقى ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

وهذه المخاطبات هي المقامات والدرجات والأحوال، وأما أهل الغايات والتكسب بالحركات والأقوال والأفعال فهم عن ذلك معزولون وإلى حدودهم يرجعون، ومن الأجور من الله لا يخسرون؛ هذا إن سلموا من بقبقة الكلام وأخذ الرشا على الصلاة والصيام ومن التنعم بملامح تلك الأبصار؛ وإن جناياتهم بالإضافة ورؤية الطاعات أكثر من جناياتهم بالمعاصي وكثرة المخالفات؛ وحسبهم ما يبدو لهم وعليهم من الطاعات في الدعوات والمسارعة إلى الخيرات.

[الأعمال]

مدار الأعمال على أربعة أشياء: المحبة، والإخلاص، والحياء، والإيمان، والمحبة بالخوف، والإخلاص بالعلم، والحياء بالتعظيم، والإيمان بالصدق. ومن أفضل الأعمال العزائم واقتضاء الوفاء.

ومن غلب عليه شهود الإرادة تفسخت عزائمه؛ لسرعة المراد وكثرته واختلاف أنواعه، وأي وقفة تسعه حتى يحل أو يعقد أو يقوم أو ينوي شيئا من أموره مع تبدد إرادته، واضمحلال صفاته. أين أنت من نور من نظر، واتسع نظره بنور ربه، ولم يشغله المنظور إليه عمن نظر به؟ فقال ﷺ: «ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار» (البخاري: 1053، ومسلم: 953).

ومن شرط الأعمال الوقفة والنظر والنفرة والإخلاص والعمل والثبوت والظفر بالشهادة ودخول الجنة وتقسيم الغنائم.

وقال لي أستاذي: أفضل الأعمال أربعة بعد أربعة: المحبة لله، والرضى بقضاء الله، والزهد في الدنيا، والتوكل على الله، أما الأربعة الأخرى فهي: القيام بفرائض الله، والاجتناب لمحارم الله، والصبر عما لا يعني، والورع من كل شيء يلهي. والله ما يملك أخوك لنفسه نفعا ولا ضررا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فكيف يملكها للغير، كان ذلك في الكتاب مسطورا.

وخصلة واحدة تحبط الأعمال، ولا يتنبه لها كثير من الناس، وهي سخط العبد على قضاء الله تعالى، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 9]. وخصلتان لا يضر معهما كثرة الذنوب: الرضى بالقضاء، والعفو عن العباد. وذرة من عمل القلوب خير من مثاقيل الجبال من عمل الأبدان.

وقال رجل لي: بما فقت الناس، ولم أر لك كبير عمل؟ قلت: بواحدة افترضها الله على رسوله، الإعراض عنكم وعن دنياكم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: 29]. اللهم إنا نسألك حسن المآب، ودوام الذكر، والتفكر، واللجأ، والافتقار إليك، والدعاء لك، والاستجابة منك، والثقة بك، والتوكل عليك، والزهد الواقع على البرد القاطع، والمحبة، والرضى، وهذه أعمال الصديقين في بداية أمورهم.

وتنسكت ببعض الجبال، فألقي في سري: من سكن خوف الفقر في قلبه قل ما يرفع له عمل، فضقت بذلك ذرعا، وأقمت على ذلك عاما، فرأيت النبي ﷺ وهو يقول لي: «يا مبارك يا مبارك، أهلكت نفسك، فرق بين سكن وخطر، فالمؤمن يخطر به ولا يسكن»، فسكن ما بي. وإذا استحسنت شيئا من أحوالك الظاهرة أو الباطنة، وخفت زواله، فقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

وقيل لي: كيف حالك يا سيدي، فقلت: إني نظرت الخلق وقسمتهم قسمين: أعداء وأحباء فتحرزت من الأعداء فرأيت أن أحدهم لا يقدر أن يشوكني بشوكة لم يردن الله بها. ثم تعلقت بالأحباء فرأيت أن أحدهم لا يستطيع أن ينفعني بشيء لم يقدره الله لي فصرفت نظري عنهم.

[الأنوار]

إذا امتلأ القلب بأنوار، وامتلأ السر بأنوار الأعلى عجبت بصيرته عن المذام والنقائص المقيدة لعباده من المؤمنين لما أطلق عليه من الثناء الأعلى الذي لا غاية له أبد الآبدين.

وإذا حجب العبد عن النور الأعلى وتقيد بالنور الأدنى وتغير لتغيره وتكدر لساكن ليله، وظلمة وقته فحسبه أن وفق للقيام بأمره ونهيه.

[الأوراد]

أوراد الصديقين عشرون: الصوم، والصلاة، والذكر، والتلاوة، وحفظ الجوارح، وذم النفس عن الشهوات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على أصول أربعة: الزهد في الدنيا، والتوكل على الله، والرضا بقضاء الله، والحب الصافي على مباني أربعة: الإيمان، والتوحيد، وصدق النية، وعلو الهمم. ومن لم تكن فيه أربع خصال فلا ترجو له فلاحا: العلم، والورع، والخشية لله، والتواضع لعباد الله.

وسمعت أستاذي يقول: عبادة الصديقين عشرون: كلوا، واشربوا، واكتسبوا، والبسوا، واركبوا، وأنكحوا، واسكنوا، وضعوا كل شيء حيث أمركم الله، ولا تسرفوا، واعبدوا الله، واشكروه، وعليكم بكف الأذى، وحمل الأذى، وبذل النداء والكرم والجود بالموجود فإنها نصف العقل.

وأما النصف الثاني: أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والرضا بالقضاء، وإن عبادة الله هي: التفكر في أمر الله، والتفقه في دين الله، وأساس العبادة الزهد في الدنيا، ورأسها التوكل على الله، فهذه عبادة الأصحاء من المؤمنين. وإن كنتم مرضى فاستشفوا واسترقوا بالعلماء، واختاروا منهم الأتقياء الهداة، المتوكلين على الله تعالى.

وسألت أستاذي رحمه الله عن ورد المحققين؟ فقال: عليك بإسقاط الهوى، وبمحبة المولى، وأبت المحبة أن لا تستعمل محبا لغير محبوبه. والورد رد النفس بالحق عن الباطل في عموم الأوقات.

وسأل رجل أستاذي رحمه الله فقال: يا سيدي وظف علي وظائف وأورادا أعمل بها. فغضب منه الأستاذ رضي الله عنه وقال: أرسول أنا، فأوجب الواجبات؟ الفرائض معلومة، والمعاصي مشهورة، فكن للفرائض حافظا، وللمعاصي رافضا، واحفظ نفسك من إرادة الدنيا، وحب النساء وحب الجاه، وإيثار الشهوات، واقنع من ذلك كله بما قسم

الله تعالى لك، وإذا خرج لك مخرج الرضى، فكن لله فيه شاكرا، وإذا أخرج لك مخرج السخط، فكن عنه صابرا، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات، وأصل جامع لأنواع الكرامات، وحصر ذلك كله أربع: صدق الورع، وحسن النية، وإخلاص العمل، وصحبة أهل العلم؛ ولا تتم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح، أو شيخ ناصح.

وسمعت أستاذي يقول لرجل إستأذنه في المجاهدة لنفسه، فأجابه بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 44].

[إجابة الدعاء]

إذا أردت أن يستجاب لك في أسرع من لمح البصر فعليك بخمسة أشياء: الإمتثال للأمر، وإجتناب النهي، وجمع الهمة، وتطهير السر، والإضطرار، وخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62]. فالمحروم من يدعوه وقلبه مشغول بغيره، فاحذر هذا الباب جدا، فإن لم تستطع أن تتصف بالخمسة أشياء، وما أراك إلا كذلك، فعليك بالخلوة عن الناس، واذكر ما شاء الله من قبائحك وأفعالك، واحتقر جميع أعمالك، وقدم إليه جميع ما علمت من جميل ستره عليك، وقل: يا الله يا منان يا كريم يا ذا الفضل العظيم، من لهذا العبد العاصي غيرك، وقد عجز عن النهوض إلى مرضاتك، وقطعته الشهوة عن الدخول في طاعتك، ولم يبق لي حبل أتمسك به سوى توحيدك، وكيف يجترئ على السؤال من هو معرض عنك، أم كيف لا يسأل من هو محتاج إليك، وقد مننت علي الآن بالسؤال منك، وجعلت حسبي الرجاء فيك، فلا تردني خائبا من رحمتك يا كريم.

وقد جعلت لأسمائك حرمة، فمن دعاك بها لا يشرك بك شيئا أجبته، فبحرمة أسمائك: يا الله يا مالك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر يا خالق يا باريء يا مصور، قني من الهم والحزن، والعجز والكسل والجبن والبخل، والشك وسوء الظن وضلع الدين وغلبته، وقهر الرجال، فإن لك الأسماء الحسنى، وقد سبح لك ما في السماوات والأرض، وأنت العزيز الحكيم. اللهم إني أسألك خيرات الدنيا وخيرات الدين، خيرات الدنيا: بالأمن، والرفق، والصحة، والعافية وخيرات الدين، بالطاعة لك والتوكل عليك، والرضا بقضائك، والشكر على آلائك ونعمك، إنك على كل شيء قدير.

[الإحسان]

نحن قوم لا نرى محسنا إلا الله وهذا في بساط الخاصة، وأما محلنا نحن فهو المشهد الأول وهو أن نحسن إلى من أحسن إلينا وإن لم نجد فبكلمة طيبة وهو الدعاء له في ظهر الغيب.

وقال رجل لي: أبى جدك ﷺ يا سيدي بقوله: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها». فقلت: إنا لم نرى محسنا غير الله لم نحب سواه.

فالواجب على كل من أراد تقريبه إلى حضرات القرب من الحق تعالى و رسله و أوليائه أن لا يبحث و لا يجادل في كلامهم بل يقبل على العمل بكل ما أمروه به و يقبله قبول العبد الصالح.

وهذا من توحيد أهل الإيقان المتمكنين بالشهود في العرفان وبذلك تمت كلمة الله عندك وقمت في حماية الملة والذب عنها جهدك فعم سلطانك الحرمين والحجاز بأسره واليمن عموما مستوى الطرفين فاستزيدوا نعم الله عليكم بشكركم لأنه القائل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]، ومن الشكر على هذه النعم وهو لبيت

دوامها كالركن الأعظم الزيادة في حسن الخلق مع الخلق الذين هم عيال الله الملك الحق فإن حسن الخلق خلق الله الأعظم ولك فيه أسوة بالنبي ﷺ.

[الإخلاص]

الإخلاص: نور من نور الله تعالى استودعه قلب عبده المؤمن، فقطعه به عن غيره فذلك هو أصل الإخلاص الذي لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

ويتشعب عنه أربع إرادات: إرادة الإخلاص في العمل على التعظيم لله، وإرادة الإخلاص على التعظيم لأمر الله، وإرادة الإخلاص لطلب الأجر لقدر الآخرة والثواب، وإرادة الإخلاص في تصفية العمل من الشوائب لا ما يراعي فيه غير ذلك.

وكل هذه الإرادات استفدنا بها، فمن تمسك بواحدة منها فهو مخلص ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 163] وإلى ذلك الإشارة بقوله جل وعلا فيما يحكي عن جبريل عليه السلام لرسوله ﷺ: «الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي» (العراقي: تخريج إحياء علوم الدين: 4/ 365). والرياء تبرئة القلب بالعمل لغير الله، من حيث لم يأذن الله تعالى.

وأما هو أربعة: إخلاص من مخلص بمخلص به لمخلص له، وهو على ضربين: إخلاص الصادقين، وإخلاص الصديقين، فإخلاص الصادقين لطب الأجر والثواب، وإخلاص الصديقين بنظر وجود الحق مقصودا به لا بشيء من عنده، فمن استودع ذلك في قلبه فهو المستثنى على لسان عدوه الشيطان الرجيم بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: 39- 40]. وإن أردت السلامة من العدو فاخلص العمل لله بشرط العلم، ولا ترضى عن نفسك بشيء.

ورأيت كأني أطوف بالكعبة، طالبا من نفسي الإخلاص، وأنا أفتش عليه في سري؛ فإذا النداء علي: يا علي كم تدندن مع من يدندن، وأنا السميع القريب العليم الخبير؟ وتعريفي يغنيك عن علم الأولين والآخرين معا، ما خلا علم الرسول ﷺ، وعلم النبيين عليهم السلام.

وصفات المخلصين: رجال جبلهم عن حصن عبوديته، وأخلصهم لإخلاص توحيد ربوبيته واتباع شريعته، فيما متع به أسرارهم من أنوار حضرته، وأمد أرواحهم بمعاني المعارف وخصائص عنايته وأجال عقولهم في آلاء عظمته وزكى نفوسهم فأحرزها وأخرجها من ظلمة الجهل، وهداهم بنجوم العلم وشمس معرفته وأيد عقائدهم ببرهان كتابه وسنته، ومحا عزائمهم بتحقيق غلبة مشيئته، طوى إرادتهم بيقين وقفها على إرادته، وزينهم بزينة الزهد، وحلية التوكل وشرف الورع، ونور العلم، وضياء المعرفة، وألهمهم لفضله وطوله. وتولاهم فأغناهم به عن غيره. وجعل منه مفاتيح لقلوب الورى، وينابيع الحكم الكبرى. يتلقونها شرعا، ويلقونها لأهلها سرا وجهرا، ومنه من سترته الأقدار، وحجبته عن الأغيار لينفرد بالتمكين في حقيقة الأسرار، الكاملون حاملون لأوصاف الحق، وحاملون لأوصاف الخلق، فإن الحق رأيتهم من حيث رأيت أوصاف الحق التي زينهم بها، وإن رأيتهم من حيث الخلق رأيت أوصاف البشر، كلا بسيماهم باطنهم مع الحق، وظاهرهم مع الخلق، فهم ولاهم في الوجود بوصف الفناء ظاهرين، صفوا وافترقوا في سيرهم سننا ظاهرهم الفقر، وباطنهم الغنى يتخلقون بأخلاق نبيهم ﷺ كما قال العلي الأعلى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: 8- 9]. افتراه أغناهم بالمال؟ كلا، وقد شد الحجر على بطنه من شدة الجوع، وأطعم الجيش كله من صاع، وخرج من مكة على قدميه ﷺ ليس معه شيء يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال. وركب فوق البراق، وعرج به إلى السماء العلا؛ إلى سدرة المنتهى، ورأى ما رأى ما كذب الفؤاد ما رأى.

واقتد بالأنبياء عليهم السلام فإن أشكل عليك شيء فارجع فيه إلى الأولياء، فانظر إلى حال الفتى في الوصفين، واشهد شرف أوصافه في الجلالين ونزههما من بين الناس فإن قلت بشر قلت: نعم. لا كالبشر كما تقول في الياقوت: حجر لا كالحجر. في العباد نبي ورسول يدعوا بالحق إلى الحق، فأعطى الأولياء منه ميراثا من النبيين بين الخلق إذ هم أخذوا في التأسي بجد وإتيان، واعتقدوا قول كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما هو عليه كائن وأقاموا في مقام التوحيد على قدم التجريد من حظوظ النفس وملاحظة الحظوظ واقتداء السلف رضي الله عنهم.

هذا قصد القوم وأصل الإخلاص فيما لو نظرت إلى حقيقة ذلهم وافتقارهم الذي هو عين الغنى والعز بمولاهم، واشتد تحقيق حالهم إلا على ولي في نهاية حاله أو صديق في بدايته، لأن غايات الأولياء بدايات الصديقين، فخذ السر جهرا إليك واحبس عليه بكلتا يديك، ولا تكترث بحسادك، فقد قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: 1] حتى قال له: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 5]. ولا تسألني أن أقطعه عليك، فكأنه عز وجل يقول له: سلني أن أكفيك شر حسادك، ولا تسألني أن أقطعهم عنك فإن الحساد مع النعم، ولابد من نعمة عليك. فتيأس يا مسكين إن أردت الشفاء. فلعله أن يقع بكشف خطاب ولا تطمع أن يقع مع الحجاب.

[الإذن]

الإذن: هو نور ينبسط على القلب يخلقه الله فيه وعليه، فيمتد ذلك النور على الشيء الذي يريد فيدركه نور مع نور، أو ظلمة تحت نور. فذلك النور ينبئك أن تأخذ إن شئت، أو تترك، أو تقبل أو تدبر، أو تعطى أو تمنع، أو تقوم أو تجلس، أو تسافر أو تقيم.

وهذا باب المباح المأذون فيه بالتخيير، فإذا قارنه القول تأكد الفعل المباح بمراد الله تعالى، فإذا قارنته نية صحيحة لفعل، برز عن حكم المباح وعاد مندوبا. وإن ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب، فلا يخلو أن يلوح عليها لائح القبض بانقباض القلب، فاحذر ذلك وتجنبه، فإنه المحذور أو يكاد. ولا تقطع ذلك إلا ببينة من كتاب الله عز وجل أو سنة أو إجماع، فإن تلك الظلمة شبه غيم لا ينصدع معه القلب، ولا يتفرغ به الذهن فتباعد عنه فإنه يكاد يكون مكروها. ولا تحكم بعقلك ورأيك فقد ضل من هنا خلق كثير.

وأصحاب هذا النور، يدعون إلى الله بكيانهم كله. إن صمتهم دعوة إلى الله، وإن سيرهم دعوة إلى الله، وإن جلوسهم دعوة إلى الله، وإن عملهم دعوة إلى الله، وإن حديثهم دعوة إلى الله. ويستجيب لهم الناس سراعا بمقدار ما في قلوبهم من خير، وما في أفئدتهم من إيمان، وينأى عنهم من ليس له في الخير نصيب، ويحاربهم من حقت عليه كلمة العذاب.

ولما مكث أتعبد لله متخليا عن كل ما سواه، رأيت الصديق في المنام وألبسني تاجا وقال لي: أخرج إلى الناس ينتفعون بك فمكث، فرأيت الخضر عليه السلام وألبسني كذلك، وقال لي: يا مبارك أخرج إلى الناس ينتفعون بك فعند ذلك تجلى علي المولى عز وجل. وقال لي: يا عبدي إني خلقتك من صفوتي، وجعلتك رحمة في خلقي، فاخرج إليهم وعلمهم مما علمتك من حكمتي. فقلت: إلهي وسيدي، أقلني من الناس، فإنه لا طاقة لي بمخالطتهم. فقال لي: قد أصحبناك السلامة، ورفعنا عنك الملامة، فقلت: إلهي، تكلني إلى الناس، آكل من دريهماتهم؟. فقال لي: أنفق يا علي، وأنا الملي، إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب، فخرجت فسعى إلي الناس من كل فج. وقلت: إلهي طلبتك وطلبت الخلق إليك فأعني على الوصول والتوصيل إليك، واجمعني واجمع بي من تشاء عليك. والله ما خرجت للناس إلا بعد أن هددت بالسلب مرات.

ولما أزمعت على التحول من طيبة على من بها الصلاة والسلام، أوقفت فعله على إذن رسول الله ﷺ لي، فرأيته ﷺ في المنام فقال: «توحشنا يا علي» فأخذ يعتل. فأذن لي، وقال: «إذا جئت مصر فاقرأ عز الدين بن عبد السلام مني السلام». فلما التقينا بلغته المألكة سرا، فلم تظهر نفسه لذلك، فلما قام المزمزم قال: صدق المحدث الحديث كما جرى وحديث أهل الحب ما لا يفترى. فاستغفر الشيخ، ثم كذب نفسه، ثم حط للتسليم رأسه.

[الإرادة]

أصول الإرادة على مذهب محققي الصوفية على أربع: الصدق في العبودية، وترك الاختيار مع الربوبية، والأخذ بالعلم في كل شيء، وإيثار الله بالمحبة على كل شيء. والصدق ينبني على أربعة أصول: على التعظيم، والمحبة، والحياء، والهيبة. وترك الاختيار ينبني على أربعة أصول: الشهود من طريق القبضة، والتحقيق بالوصلة، والتصديق بالجملة، والثقة بضمان الله عز وجل ووعده. وأما الأخذ بالعلم فينبني على أربعة أصول: إما من طريق الإشارة، وإما من طريق المواجهة، وإما من طريق الفهم، وإما من طريق السمع.

وأما إيثار الله بالمحبة فيبنى على أربعة أصول: إيثار الوجود على كل موجود، وإيثار الصفات بالتحسين لكل موجود، وإيثار أفعاله بالرضا عند كل مفقود، وإيثار محابه على مجاب نفسك، هذا لمن نفذ. فأما من لم ينفذ فليكن مع الأستاذ النافذ إلى الله تعالى بهذه المثابة.

ومن لم تصح إرادته فليوصل أمره على العلم برفض الجهل، ولم يزده مرور الأيام إلا إدبارا، فمن أراد أن تصح إرادته فليؤصل أمره على العلم برفض الجهل، وعلى رفض

الدنيا بالإقبال على الآخرة، وليلازم الخلوة ودوام الذكر، فهنالك تظهر عليه آثار الخصائص بالنور والبهاء في التوجه، ويقبل الناس عليه من الرجال والنساء من الحواضر والبوادي، ويسارعون إلى إكرامه والسلام عليه والتعظيم له، فإن قبل ذلك منهم قبل التمكين والتحقيق، فإنه يسقط من عين الله، ويرد إلى ما خرج منه، فتارة يمدح هذا ويذم ويحتال ويحقد على هذا، أو يعرض عن هذا، ويغضب على هذا، فقد ظهرت عورة نفسه بإدباره عن ربه ورفضه لمحب الله بمحب نفسه، فاحذروا هذا الداء العظيم، فقد هلك به خلق كثير، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 101].

وهممت أن أدعوا على ظالم، فتورعت عن ذلك، فرأيت أستاذي رحمه الله يقول لي: إن الله تعالى لم يشأ إهلاكه، فلا تستعجل له، فالاستعجال بالهلاك للأعداء وإرادة النصر للأولياء من الشهوة الخفية، ومن أظلم ممن ينازع إرادة مولاه، ويتبع شهوة نفسه وهواه؟ وقد أمر المعصوم الأكبر ونهى بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35] وبقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49].

فالإيمان يمحو الصفات بالصفات، والأسماء بالأسماء وتفريق الذوات لتحقيق نعت ما ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، فأي شيء كان معه أولا حتى يكون معه آخرا، وأي شيء كان معه ظاهرا حتى يكون معه باطنا، فما ثبت من المخلوق فبإثباته، وما محا فبمشيئته وإرادته، وخذ ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 39] وهو العلم الأول وعنه صدر كل علم وكتاب.

وهناك أمر تشريعي، وهو ما جاء على لسان الرسل. وهناك أمر الإرادة، والأخير لابد من وقوعه وتحققه، والأمر قد يقع وقد لا يقع. ومثل الأول الأمر بطاعة الله، ومثل الثاني: أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فهو أمر الإرادة. أما قوله إن الله لا يأمر بالفحشاء فهو أمر تشريعي ظاهري. وآدم عليه السلام رأى أمر الإرادة فأكل من الشجرة وكان الأمر الظاهري مخالفا لذلك، فتركه لأنه رآه غير واقع، ولذا نال بعد ذلك الخلافة.

ومن غلب عليه شهود الإرادة، تفسخت عزائمه؛ لسرعة المراد وكثرته، واختلاف أنواعه، وأي وقفة تسعه حتى يحل، أو يعقد، أو يعزم، أو ينوي شيئا من أموره مع تعدد إرادته، واضمحلال صفاته، أين أنت من نور من نظر واتسع نظره بنور ربه، ولم يشغله المنظور إليه عمن نظر به، فقال: ما من شئ كان ويكون إلا وقد رأيته الحديث.

[الإستخارة]

الإستخارة لازم عند كل أمور على كل مريد بكل أخبار، فلا يستخار إلا بأمين، وكم من عبد أمين على الأموال غير أمين على الفروج، ورب عبد يكون أمينا على الفروج ولا يكون أمينا على الأموال، ورب عبد يكون أمينا على الأموال ولا يكون أمينا على الدين، والأمين على الدين هو الآخذ عن الله ببصيرة اليقين، والمشرف على الأحوال كلها وعلى عواقب الأمور في الدنيا والآخرة.

وسألني بعض الأصحاب وأعز الناس علي أن أستخير الله تعالى له في خير يأمله ففعلت في أول ليلة طلب مني ذلك إشارات من رحمة الله ترد عليه من الله من غير بيان فيما سأل، وسألني في الليلة الثانية كذلك فرأيت مثل ذلك، ثم سألني في اليوم الثالث فلجأت إلى الله فيما أراد مني فرأيت أستاذي رضي الله عنه فقال لي: عبد يخالط أهل الآخرة ويعول عليهم، ويخالط أهل الدنيا وينفر طبعه منهم، إن ضيق عليه لجأ إلى الله تعالى، وإن أنعم

عليه أخذ في الشكر لله تعالى فما ظنك به عند الله، أفلا تعقلون، احمله على فواضل الأعمال يبارك له فيما يبغي، ويدخر له فيما يبقي، وسيجزي الله الشاكرين.

ومن سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: 15]، فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ.

[الإستغفار]

أحصن الحصون ما أخبرك عنه من الاستغفار، وحقيقته ألا يكون لك مع غير الله قرار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33].

ورأيت كأني مع جماعة من الصالحين ووجه شبه الخنازير يحملون على الناس حملا شديدا فكل من حملوا عليه أسقطوه إلا قليلا منهم، وكنا نأخذ في حديثهم فإذا برجل يقول لنا: اشكروا الله تعالى واستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود ولو شاء الله لسلطهم عليكم كما سلط على كل من كان من قبلكم فقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: 43] فلا براءة فاستغفروه وتوبوا إليه.

وهممت بلقاء ملك من الملوك، فعارضني ذنبي، فكلما استغفرت وتبت ضعفت. فقيل لي: قل اللهم إني أسألك الصلابة في الدين، والعمل باليقين، وأعوذ بك من لقاء ذنبي، فإن ذلك مما يضعف قلبي، وأشهدني إياك بإشهادك فإنه أقوى لسري ولي، اللهم استرني بمغفرتك، وارحمني برحمتك، واقدرني بقدرتك، وامدنني بمشيئتك، وعلمني علما يوافق علمك، وهب لي حكما يصادق حكمك، وأوجد لي لسان الصدق في عبادتك، وكن لي سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعقلا، ويدا ورجلا ومؤيدا، واعصمني من الخطأ

والذنب، والطغيان والكذب في الأقوال والأفعال، والعقود والأحوال، والظنون والأوهام، والبصائر والأبصار، والخواطر والأفكار، وفي خفي الهواجس والوساوس، والهمم والفكر، والإرادات والحركات والسكنات، وفيما علمت يا عالم الخفيات، أنت ربي وعلمك حسبي، لا أسأل، ولا أفعل ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40] وإنما هي عبودية، تجري على من تشاء من عباده من الدعاء والسؤال والتفصيل والإجمال والأقوال والأفعال والعقود والأحوال وغير ذلك مما تكتسب وتعطي بلا كسب ولا سؤال ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 75].

ورأيت في النوم أناسا وهم ستة أو سبعة وهم يخوضون في الغيبة وفيهم كبير لهم يعتمدونه ورجل واقف علي وعليهم جميعا فقال: هذا لا يكشف الضر ولا يحس به، وأما الخير فلا يملكه لنفسه فكيف يملكه لغيره أذن لا تسمع من الله، وقلب يسمع من أعداء الله فهو ممن اتخذ الشيطان وليا من دون الله: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: 119]، ثم قال: اللهم فرق بينهم وبين ما يعتمدون، وحل بينهم وبين ما يشتهون، وخذهم بما هم فيه يخوضون، ثم قال: أمهلهم رويدا فعن قريب ترى فيهم ما يوعدون، فاهتزت نفسي لما يوعدون، فقال: تأدب بتأديب رسول الله ﷺ بقوله ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: 55] شغله بما هو أولى به من التنزيه والإجلال قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر: 77] عرض له بالوفاة ليشغله عن النظر لما يوعدون، ثم قال: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ. أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: 41- 42]، ثم قال له: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ. رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: 93- 95] إلى قوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 96]

ثم قال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: 10] هجر من من لا يرى الفعل إلا من الله وحده.

فلابد من التوبة والإنابة لمن أراد رضاء الله ومحبته والإطلاع على علم الغيب، ولابد أيضا من ترك المعاصي كلها لأن الله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين. فهناك تنظر أوصافك فتستعيذ بالله منها، وتأخذ في الاستغفار والإنابة، فالاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه، وإن كنت بهذة الصفة ناداك من قريب: إخضع لأحكامي، ودع عنك منازعتي، واستقم مع إرادتي برفض إرادتك، وإنما هي ربوبية تولت عبودية، فكن: ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 75] فمتى رأيت منك قدرة وكلتك إليها وأنا بكل شيء عليم، ودع الأخذ بالماضي إن أردت أن يغفر الله لك الماضي ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22] فإن صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هناك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من العالمين.

وعليك بالاستغفار، وإن لم يكن هناك ذنب، واعتبر باستغفار النبي ﷺ بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، هذا في معصوم لم يقترف ذنبا قط وتقدس عن ذلك ﷺ، فما ظنك بمن لا يخلوا عن العيب والذنب في وقت من الأوقات، واستغفاره ﷺ عقب الفراغ من الصلاة استغفار من رؤية الصلاة.

[الإستغناء]

إن أردت أن يغنيك الله حتى يغني بك من أحب أو توسل أو دعا أو سؤال فلا تتخذ منهم وليا ولا حبيبا واتخذ الله حبيبا. وقيل لي: فكيف بالعداوة في الله والمحبة؟ قلت:

ذلك بالله لا بالتحسر ولا بالحظ فإن عابت أو انفصمت بالعلم فأعط العلم حقه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: 144] ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: 119].

فإن أحببت بالعلم فاصحبت بالطاعة، وإن خالفت أبغضت بالعلم ما دام مع المخالفة وسرك قاعد على بساط الإيمان تحبه به وثاويه كمخالفة ظاهر العلم، فانتبه في هذا فإنه موضع الزلة للجهال، واستعن بالله تعالى.

ومن الحقائق للمسلمين من استغنى بماله فهو فقير، ومن استغنى بجاهه فهو حقير، ومن استغنى بعشيرته فهو ذليل، ومن استغنى بحسناته فهو مفلس، ومن استغنى بالله فهو الغني على الحقيقة. ومن أقبل على الخلق قبل خمود نار بشريته، سقط من عين رعاية الله، فاحذروا هذا الداء العضال الذي هلك به كثير، فقنعوا بتقبيل العامة أيديهم.

[الإستقامة]

إن أكبر الكرامات هي الإستقامة، والإستقامة مراعاة الإنسان حق الله عليه في كل حالة من أحواله الأربعة: الطاعة، والمعصية، والنعمة، والبلية، وذلك: بالشكر على الطاعة، ورؤية المنة له تعالى وحده في التوفيق إليها، والشكر القولي والفعلي على النعمة، والاستعانة بها على طاعته، والصبر على البلية، والتسليم له تعالى في حكمه، والرضا به في كل حال. فإذا سلك المريد هذا المسلك العزيز وراعى حق الله عليه في كل حال صار مستقيما في عبوديته، معدودا في أهل الولاية الخاصة.

[الإسلام]

الإسلام تحقيق لشكر الله فيشكرك الله، والإسلام بإنفاق فيشكرك الناس، وإن كان لا خير فيه، فإن صاحبه مذموم في الحال أو معذب في الحال والمآل أو يتوب الله عليه. قال الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 24]، وهذا الإسلام الذي هو في ظاهره نفاق هو أقبح من السخط بقضاء الله والجزع، فإن ذا السخط والجزع يثبت ذلك معصية الله ويرجوا التوبة منها، وذو النفاق في الإسلام يدعي الإسلام ويشهد له به، وقل ما يتوب منه والله يعلم ذلك منه.

والإسلام هو الاندماج في طي الأحكام من غير شهوة ولا إرادة. وأقرب مني قربا تمحق به كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء.

[إعجاز القرآن الكريم]

إعجاز القرآن الكريم مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه، ولكنه لم يكن هذا ولا يكون، فمنعهم الله هذا وأعجزهم عنه كما يكون الإنسان مثلا قادرا على الكلام أو على القيام فيقول له: النبي معجزتي ألا تتكلم؟ فلا يتكلم. أو لا تقوم فلا يقوم بعد أن كان قادرا على ذلك.

[الإقتداء]

حقيقة القدوة: أن يكون يأسه ممن يحبه أشد من يأسه ممن يبغضه، ورأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما حقيقة المتابعة؟ فقال: «رؤية المتبوع عند كل شيء، ومع كل شيء وفي كل شيء».

وكل شيخ لم تصلك الفوائد منه من وراء الحجاب فليس بشيخ، والشيخ من يدلك في الدنيا والآخرة على الراحة، لا من دلك على التعب. وليس الرجل الكامل من حسن في نفسه، إنما الرجل الكامل من حسن به غيره، وليس الرجل الكامل من سقط الخوف عنه في نفسه، إنما الرجل الكامل من سقط الخوف عن غيره، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 62- 63].

والعزيز من الناس من رسخ في علم الهوية، وتصرف في حكم المشيئة لا بالهوى والشهوة والطبيعة، وعشرة وأي عشرة؟ فاحتفظ بهن فأول ذلك: إذا رأيت رجلا يدعي حالة مع الله عز وجل يخرجه عن أمر الشرع فلا تقربن منه، وإذا رأيت رجلا يركن إلى غير أبناء جنسه فلا تقربن منه ولا ترجوا فلاحه، وإذا رأيت رجلا يسكن إلى الرياسة والتعظيم فلا تقربن منه ولا ترجوا فلاحه، وإذا رأيت فقيرا عاد إلى الدنيا فلومت جوعا فلا تقربن منه ولا تركن إلى رفقه فإن رفقه يقسي قلبك أربعين صباحا، وإذا رأيت رجلا يستغني بعلمه فلا تأمن جهله، وإذا رأيت رجلا يرضى على نفسه ويسكن إلى وقته فاتهمه في دينه واحذره أشد الحذر، وإذا رأيت مريدا يسمع القصائد ويميل إلى الراحة فلا ترجون خيره، وإذا رأيت فقيرا لا يخص عند السماع فاعلم أنه قد حرم بركات ذلك بتشويش باطنه وتبديد خاطره.

وعلامة من اتصل قلبه بالله ورود الفوائد عند عظيم الشدائد دليله قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: 88- 89]. والحكيم من علم

المبتدأ والمنتهى وحكم على الغيب بما حكمه الله تعالى، ومن دعا إلى الله بغير ما دعى به رسول الله ﷺ فهو بدعي، وثلاثة لا تدعي وواحدة لا تزدري اقتداء فيهن بنوح النبي عليه السلام، ومحمد العربي ﷺ قل: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 31].

[الإيمان]

الإيمان: أن تشهد أوليتك بأوليته وآخرتك بآخريته وظاهريتك بظاهريته وباطنيتك بباطنيته، وخمس من لم تكن فيه شيء منهن فلا إيمان له: التسليم لأمر الله، والرضى بقضاء الله، والتفويض لأمر الله، والتوكل على الله، والصبر عند الصدمة الأولى. فعلى العبد أن يحسن ظنه بمولاه ويعتقد الخير فيما به ابتلاه والله تعالى مطلع عليه وناظر إليه، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: 48].

والإيمان محو الصفات بالصفات والأسماء بالأسماء وتفريق الذوات بالذوات لتحقيق ما هو الأول والآخر والظاهر والباطن. فأي شيء كان معه أولا حتى يكون معه آخر، وأي شيء كان معه ظاهرا حتى يكون معه باطنا.

والصادق المؤمن لو كذبه أهل الأرض ما ازداد بذلك إلا يقينا ولو صدقه أهل الأرض ازداد بذلك تمكينا. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، ولو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور العبد الصالح ثم بنور الشهيد فما ظنك بنور المؤمن المطيع فما ظنك بنور الولي الصديق ثم بنور القطب ثم بنور النبي ثم بنور الرسول ﷺ.

وإن أردت أن تنظر ببصر الإيمان والإيقان دائما فكن لنعم الله شاكرا، وبقضائه راضيا، وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تلجؤون. وإذا أردت النيابة عندك أو منك فاعبد الله على المحبة لا على المتاجرة، وعلى المعرفة بالتعظيم والصيانة.

والناظر في قوله معتقدا ومنتقدا، وكل منهما على ضربين: فمعتقد يتلفظ به ولا يعقل معناه، ومعتقد يعتقد لفظه ومعناه، ومنتقد يتحرف لفظه ومعناه خسر دنياه وأخراه؛ ومنتقد يتحرر لفظه ومعناه طوبى له ثم طوبى.

وأوصاني أستاذي رحمه الله تعالى فقال: جدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء، وعند كل شيء، ومع كل شيء، وفوق كل شيء، وقريبا من كل شيء، ومحيطا بكل شيء، بقرب هو وصفه، وبإحاطة هي نعته، وعد عن الظرفية والحدود، وعن الأماكن والجهات، وعن الصحبة والقرب بالمسافات، وعن الدور بالمخلوقات، وامحق الكل بوصفه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] كان الله ولا شيء معه.

[البصيرة]

البصيرة: تأديب وتعليم من الله لمن له البصيرة في دين الله يقولون: إنما هما شيئان: شيء قسمته لك، وشيء صرفته عنك، فمن اشتغل بهما أو بواحدة منهما فقد قل فهمه وعظم جهله وذهل عقله واتسعت غفلته، وقلما ينتبه لمن يوقظه.

فإن جاءك محبوب بالشرع أو بالطبع أو بهما جميعا أو جئته أنت فهو من القسم الأول، فكن بي ولي فيما قسمته لك، أكن لك بالرحمة فيما صرفته عنك وفيما يساق من المكروه إليك، فأشغلك بما هو أولى بك عما هو مصروف عنك، وأذيقك حلاوة الرضى بقضائي حتى يكون المكروه أحب إليك من كل محبوب بالطبع هو لك، فإن لم تكن بي ولا لي

فيما قسمته لك أو صرفته عنك وكلتك إلى نفسك فيما هو مصروف عنك وفيما يساق إليك من المكروه إليك، وإن الله تعالى لا يتعجب من عبد يجتهد في صرف ما هو مصروف عنه وفي دفع ما لابد له منه، فاعمل لله باليقين واثبت الأمر حيث أثبته وانفه حيث نفاه وائتمر بالأمر حيث أمرك، وانته عن النهي حيث نهاك على البصيرة في اليقين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 25].

ورأيت كأنني مع رجلين من أصحابي والشمس علينا وكأنها قد خسفت وإذا شخص بين يدي يقول: إذا خسفت شمسك فطهر أعضاءك وجرد ثيابك واستقبل قبلتك وقم بين يدي ربك بالتعظيم والتسبيح والتحميد والركوع والسجود وحسن المناجاة للملك المعبود ثم لا تبرح حتى يغفر لك ويذهب الخسف عنك فترى ما غاب عنك بأشد ما تراه بعينك، ثم قال: أدبهما وعلمهما كما أدبت وعلمت.

وإننا لننظر إلى الله تعالى ببصائر الإيمان والإيقان، فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان، وصرنا نستدل به الله تعالى على الخلق، وإنا لا نرى أحدا من الخلق، فهل في الوجود شيء سوى الملك المعبود الحق؟ فلا نراه، يعود على الشيء؛ وإن كان، ولابد رؤيتهم كالهباء في الهواء، إن فتشته لم تجده شيئا، والعيون في الأبصار ونعوت الأنوار كالنجوم مع الأقمار. أي لا حكم لهم مع وجودهم، ولكن يستعان بهم على الاهتداء في الظلم: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16].

والأكابر من العيون كالشموس مع الأقمار، وهم قليلون: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] وهم كثيرون في معناهم فالشمس واحدة في العدد وهي كثيرة في معناها والنجوم كثيرون في العدد وهم قليلون في معناهم، وهكذا نفهم أمثلة إشارة الأنبياء والرسل والصديقين والأولياء والتشبيه لمن له سبب أو شبه أو نظير بعيد في التحصيل بمن لا شبيه له ولا نظير ولكن يعطى الإفهام للسالكين فتسكن قلوبهم لما يسمعون.

وإن أردت أن تنظر إلى الله ببصائر الإيمان والإيقان دائما فكن لنعم الله شاكرا وبقضائه راضيا: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: 53] وإذا أردت النيابة عنك أو منك فاعبد الله على المحبة لا على المتاجرة وعلى المعرفة بالتعليم والصيانة.

وإذا امتلأ القلب بأنوار الله تعالى، وامتلأ السر بالنور الأعلى، عميت بصيرته عن المناقص والمذام المقيدة في عباده المؤمنين، لما أطلق عليهم من الثناء الأعلى الذي لا غاية له أبد الآبدين، وإذا حجب العبد عن النور الأعلى وتقيد بالنور الأدنى لتغير لتغيره، وتكدر بعساكر سلبه، ليله وظلمة وقته فتحسبه إن وفق للقيام بأمره ونهيه.

ورأيت آدم عليه السلام ينظر عن يمينه وينظر عن شماله، فهناك سبب الضحك والبكاء، ورأيت الجنة عن يمينه والنار عن شماله، ورأيت الناس يتنعمون في الجنة منه، ورأيت الناس يعذبون في النار منه، فقيل لي: أعرف حقيقة اليمين وحقيقة الشمال عن أبيك آدم عليه السلام، وبقي لك أن على يمين اليمين، وعلى شمال الشمال، وعلى فوق الفوق، وعلى تحت التحت، وتطلع على البرزخ الأعلى، وعلى البرزخ الأدنى وعلى البرازخ المائلة من ذلك البرزخ وهو البرزخ الذي بين الحق والخلق.

وذهب، وجاء البصر. بمعنى فانظر إلى الله تعالى، فهو لك فهو لك مأوى، فإن تنظر ففيه، أو تسمع فمنه، وإن تنطق فعنه، وإن تكن فعنده، وإن لم تكن فلا شيء غيره. فالأبعاض قسط الخلق: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: 55] هذا مع الحركات والتكوين لا يخرج عنها شيء خرج منها فما ظنك بمن لا تمسه الأكوان ولا الظنون ولا الأوهام.

واستنار قلبي يوما، فكنت أشهد ملكوت السماوات السبع، والأراضين السبع، فوقعت مني هفوة، فحجبت عن شهود ذلك، فتعجبت، كيف حجبني هذا الأمر الصغير عن هذا

الأمر الكبير؟ فإذا قائل يقول لي: البصيرة كالبصر، أدنى شيء يحل فيها يعطل النظر، وإن لم ينته الأمر به إلى العمى، فالخطرة من صفات الشر تشوش نظر البصيرة، وتكدر الفكر والإرادة، وتذهب بالخير رأسا، والعمل به يذهب بصاحبه عن سهم من الإسلام، فإن استمر على الشر تفلت منه الإسلام سهما سهما، فإذا انتهى إلى الوقيعة في الأئمة والعلماء والصالحين، وموالاة الظالمين حبا للجاه والمنزلة عندهم وحبا للدنيا على الآخرة، فقد تفلت منه الإسلام كله، ولا يغرنك ما توسم به ظاهرا، فإنه لا روح له، فإن روح الإسلام حب الله ورسوله، وحب الآخرة وحب الصالحين من عباده.

ونظر الله عز وجل لا يمتد منه شيء إلى خلقه، ولا يقف في نظره، ولا ينعطف عن منظوره، جل نظر ربنا عن القصور والنفوذ، والتجاوز والحدود.

وأركز الأشياء في الصفات ركزها قبل وجودها، ثم انظر هل ترى للعين أين، أو ترى للكون كان، أو ترى للأمر شأن، وكذلك بعد وجودها. فإن تكن منهم فازدد بعلمك وعملك فقرا إلى الله وتواضعا لعباده واعطف بالرحمة على عامة المؤمنين وإن كانوا ظالمين إلا حيث أمرك الله بالغلظة عليهم مع الدعاء الصالح والدفع عنهم.

وعمى البصيرة في ثلاثة أشياء: إرسال الجوارح في معاصي الله، والتصنع بطاعة الله، والطمع في خلق الله، فمن ادعى البصيرة مع واحدة من هذه فقلبه هدف لظنون النفس ووساوس الشيطان.

وأشبه شيء بوجود الكائنات إذا نظرت إليها بعين البصيرة وجند الظلال والظل، لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود، ولا معدود باعتبار جميع مراتب العدم، وإذا أثبت ظليه الآثار لم تنسخ أحديته المؤثر؛ إذ الشيء إنما يشفع بمثله، ويضم إلى شكله، كذلك أيضا من شهد ظليه الآثار لم تعوقه عن الله؛ فإن ظلال الأشجار في الأنهار لا تعوق السفن عن التسيار.

[البعد]

البعد: هو البعد عن التوفيق ثم بعد عن التحقيق فكم من عبد خرج يلتمس مناجاته أو طاعته فلحقته سوابق الخذلان وكم من عبد خرج يلتمس معصية فأدركته سوابق التوفيق فهبط في طاعة هذا إبليس اللعين، عبد الله تعالى آلافا من السنين ثم لحقه رق شقاوته فحل به ما حل، وأجمع المشايخ على أن عناية الله تعالى بالعبد قبل الماء والطين ومن تحقق قرب الحق سبحانه وتعالى أورثه دوام مراقبته إياه.

[البلاء]

اعلم أن البلاء كله مجموع في ثلاث: خوف الخلق، وهم الرزق، والرضى عن النفس. والعافية والخير مجموع في ثلاث الثقة بالله في كل شيء والرضى عن الله في كل شيء واتقاء شرور الناس ما أمكن.

ومن أحصن الحصون من وقوع البلاء على المعاصي الاستغفار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33].

ومن أجل مواهب الله: الرضى بمواقع القضاء، والصبر عند نزول البلاء، والتوكل على الله عند الشدائد، والرجوع إلى الله عند النوائب، فمن خرجت له هذه الأمور الأربعة من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة والاقتداء بالأئمة، فقد صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين؛ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 56]، ومن خرجت له من خزائن المنن على بساط المحبة فقد تمت ولاية الله له بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 196]، ففرق بين الولايتين: فعبد يتولى الله، وعبد يتولاه الله، فهما ولايتان صغرى وكبرى، فولايتك لله خرجت من المجاهدة، وولايتك لرسوله خرجت من متابعة سنته، وولايتك للمؤمنين

خرجت من الإقتداء بالأئمة، فافهم ذلك من قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 58].

وما تم ولي حق له قدم الولاية إلا بعد وقوع الابتلاء والامتحان فلابد لكل ولي من بلاء في جسده أو في ماله أو في أولاده أو في عرضه فإذا أبلغ البلاء حده نقله الله تعالى إلى مقام المحبوبين ورجع أن ينزل بهم بعد ذلك بلاء إذ العبد يبتلي من حيث كونه محبوبا وينعم من حيث كونه محبوبا ولابد لكل مقرب من ذلك كما أنه لابد له من التألم بالبلاء ثم التنعم به ليحوز أجر الصبر ثم أجر الرضى كما هو من شأن كل العبيد. والحمد لله على البلاء فإن فيه عدم الغفلة عن الله عز وجل وبيان عجز العبد، وافتقاره إلى ربه، ولولا المرض لكنا كالبهائم السادجة.

[التدبير]

من انقطع عن تدبيره إلى تدبير الله، ومن اختياره إلى اختيار الله، وعن نظره إلى نظر الله، وعن علم مصالحه إلى علم الله بملازمة التسليم والرضى والتفويض والتوكل على الله فقد أتاه الله حسن اللب، فعليه بترتيب الذكر والفكر، وما وراء ذلك من الخصائص.

وقلت لبعض أصحابي: رأيتك تكابد نفسك وتجاذب أمرك في مجاهدة نفسك. فقلت له: يا لكع يا ابن لكع، أعني بذلك نفسي وفي الأبوة أعنيك، ونفسك في البنوة، فمحقك التدبير حتى في اللقمة تأكلها، وفي الشربة تشربها، وفي الكلمة تقولها أو تتركها، أين أنت من المدبر العليم السميع البصير الحكيم الخبير جل جلاله وتقدست أسماؤه أن يشاركه غيره.

وإذا أردت أمرا تفعله أو أمرا تتركه، فاهرب إلى الله من ذلك هروبك من النار، ولا تستتن في شيء، واصرخ إلى الله تعالى، وعود نفسك، ذلك فإن ربك يخلق ما يشاء،

ويختار، ولن يثبت لك هذا إلا صديق أو ولي، فالصديق: من له الحكم، والولي من لا حكم له. فالصديق يحكم بحكم الله، والأولياء يغنون ويفنون عن كل شيء بالله تعالى، وليس لهم معه تدبير، ولا اختيار، والعلماء يدبرون، ويختارون، وينظرون، ويقتبسون، وهم مع عقولهم، وأوصافهم دائمون، والشهداء يكابدون ويجاهدون ويقاتلون ويحيون ويموتون، وقد ثبت لهم الرد معنى ولم يثبت لهم حسا وجسما. وأما الصالحون وإن كانت أجسادهم معرسة ففي أسرارهم الكزازة والمنازعة، ولا يصلح شرح أحوالهم إلا لصديق في ابتداء أمره، أو ولي في نهايته، فحسبك ما ظهر من صلاحهم، واكتف به عن شرح ما بطن من أحوالهم.

وإذا أردت أمرا تفعله أو أمرا تتركه فاهرب إلى الله كما قلت لك، واصرخ بالله وعود نفسك على ذلك، وقل: يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، أسألك محق أسمائي بأسمائك، وصفاتي بصفاتك، وتدبيري بتدبريك، واختياري باختيارك، وكن لي بما كنت به لأوليائك، وأدخلني في الأمور مدخل صدق وأخرجني منها مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا، واحذر من سوء الظن بالله، وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين.

ورأيت في المنام كأني جالس مع رجل من أصحابي بين يدي أستاذي، فقال لي: إحفظ عني أربعة فصول ثلاثة منها لك وواحدة لهذا المسكين: لا تختر من أمرك شيئا واختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار فرارك من كل شيء إلى الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: 68]، وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي من مختار الله تعالى، وليس لك منها شيء، ولابد لك منها، واسمع وأطع، وهذا موضع الفقه الرباني، والعلم الإلهي اللدني الإلهامي. وهو أرض تنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله تعالى لمن استوى. فافهم واقرأ وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: 68].

وعليك بالزهد في الدنيا، والتوكل على الله. فإن الزهد أصل في الأعمال والتوكل رأس في الأحوال، واشهد بالله واعتصم به في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال: ﴿ومن وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران: 101].

وإياك والشك والشرك والطمع والإعتراض على الله في شيء، واعبد الله على القرب الأعظم، تحظ بالمحبة والإصطفائية والتخصيص والتولية من الله ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: 19].

ثم قال لي: والذي قطع نفس هذا المسكين عن الوصلة بطاعته، وحجب قلبه عن تحقيق معرفته، وشغل عقله عن شواهد توحيده، أمران: دخوله في عمل دنياه بتدبيره وفي عمل أخراه على الريب في مواهب محبوبه، فعاقبه الله بالحجاب وترادف الإرتياب ونسيان الحساب، وأغرقه في بحر التدبير والتقدير، ودلى فيه بورع التكدير ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 74].

فارجعوا إلى الله في أوائل التدبير والتقدير، تحظوا منه بمدد التيسير، ويحول بينكم وبين التعسير، وكل ورع لا يثمر لك العلم والنور فلا تعد له أجرا، وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب إلى الله تعالى فلا تعد لها وزرا. ثم أشار وقال: خذ رزقك من حيث آثر لك الله باستعمال العلم ومتابعة السنة، ولا ترقى قبل أن يرقى بك قلبك، فتزل بك قدمك.

وهممت مرة أن أختار القلة من الدنيا على الكثرة، ثم أمسكت، وخشيت من سوء الأدب، فلجأت إلى ربي. فرأيت في النوم كأن سليمان عليه السلام على سريره جالسا وحوله عسكر ورفع لي عن قدوره وجفانه فرأيت أمرا عظيما كما وصف الله تعالى بقوله: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: 13] فنوديت: لا تختر مع الله شيئا، وإن اخترت فاختر العبودية لله اقتداء برسوله ﷺ حيث قال: «عبدا ورسولا»، وإن كان ولابد فاختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار إلى اختيار الله، فانتبهت من نومي. ثم رأيت

بعدها قائلا يقول لي: إن الله سبحانه اختار لك أن تقول: اللهم أوسع علي الرزق من دنياي، ولا تحجبني بها عن أخراي، واجعل مقامي عندك دائما بين يديك، وناظرا منك إليك، وأرني وجهك، وو ارني عن الرؤية وعن كل شيء دونك، وارفع البين فيما بيني وبينك، يا من هو الأول والآخر، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

وأشقى الناس من يعترض على مولاه، وأركس في تدبير دنياه، ونسي المبدأ والمنتهى والعمل لأخراه. ومن انقطع عن تدبيره إلى تدبير الله ومن اختياره إلى اختيار الله وعن نظره إلى نظر الله، وعن مصالحه إلى علم الله بملازمة التسليم والرضى والتفويض والتوكل على الله فقد أتاه الله حسن الثواب.

ولما قلت: طرفة عين قيل لي: قل وكأقل من قالك فكم من أمة هلكت في أقل من طرفة عين فعلى العبد أن يكل الأمر إلى مولاه، ويرفض تدبيره وهواه، علما منه بأن الأمر قام به القادر القوي وما قام به غيرك عنك لا تقم به أنت لنفسك وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا.

وكنت في ابتداء أمري أدبر ما أصنع من الطاعات وأنواع الموافقات، فتارة أقول: ألزم البراري والقفار، للتفرغ للطاعة والأذكار، وتارة أقول أرجع إلى المنازل والديار لصحبة العلماء والأخيار، فوصف لي ولي من أولياء الله تعالى بجبل بمقربة من سبتة يعرف الجبل بالعلام، ويعرف الولي بأبي محمد عبد السلام بن مشيش من الشرفاء الساكنين بالجبل المذكور. فسرت إليه وكان برأس جبل؛ فصعدت إليه، فما وصلت إليه إلا ليلا، فقلت في نفسي: لا أدخل عليه في هذا الوقت. فسمعته وهو يقول في مناجاته من داخل المغارة: اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك، فأعطيتهم ذلك، فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذاك، اللهم وإني أسألك اعوجاج الخلق علي؛ حتى لا يكون ملجئي إلا إليك. فالتفت إلى نفسي وقلت: يا نفس، أنظري من أي بحر يغترف هذا الشيخ!. فلما

أصبحت دخلت عليه، فأرعبت من هيبته، فقلت له: يا سيدي، كيف أصبحت؟. فقال: أصبحت أشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم مخافة أن يحجباني كما أصبحت تشكو أنت من حر التدبير والإختيار. فقلت له: يا سيدي، أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته، وأنا الآن فيه، وأما شكواك من برد الرضى والتسليم، فلم أفهمه؟. فقال: يا بني أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله تعالى. فقلت له: يا سيدي سمعتك البارحة تقول في مناجاتك: اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك، اللهم فإني أسألك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون ملجئي إلا إليك. فتبسم ثم قال: يا بني، عوض ما تقول: سخر لي خلقك، قل: يا رب كن لي، أترى إذا كان لك أيفوتك شيء، فما هذه الجناية؟. إذا كان لك كان كل شيء.

ورأيت ما الناس فيه من الضنك والضيق فخطر ببالي أن أدعو الله لهم فأخذتني سنة من النوم، فسمعت قائلا يقول لي: دع تدبيرك إلى تدبير الله، وارض بالله كفيلا، فإن الناس قد ملوا النعم، وأمنوا النقم، ونزعت الرحمة منهم، والله يفعل ما يريد، فرجعت عن الدعاء.

وقيل لي: ورد في بعض الأخبار في الحديث أنه يقول: من أطاعني وخرج لي عن كل شيء، بهجرانه لكل شيء أطعته في كل شيء، بأن أتجلى له دون كل شيء، حتى يراني أقرب من كل شيء. فقلت للسائل: هذه طريق أولى، وهي طريق السالكين والعوام، وأما طريق الخواص طريق أخرى كبيرة فإنه يقول فيها: من أطاعني في كل شيء، بإقباله علي في كل شيء. لحسن إرادة مولاه في كل شيء، أطعته في كل شيء بأن أتجلى له في كل شيء، حتى يراني كأني كل شيء. فالأول مشهد العارفين ومقام الفناء، والثاني مشهد الأفراد ومقام البقاء جعلنا الله منهم بمنه وكرمه، آمين.

وفر من مختاراتك كلها إلى الله تعالى، فإن من اختار شيئا لا يدري أيصل إليه أم لا؟ ثم إذا وصل إليه فلا يدري أيدوم ذلك أم لا؟ وإذا دام عليه إلى آخر عمره فلا يدري أله فيه خير أم لا؟ فالخيرة فيما اختاره الله والسلام.

[تسليط الخلق على أولياء الله]

لقد ابتلى الله تعالى هذه الطائفة الشريفة بالخلق، خصوصا بأهل الجدال، فقل أن تجد منهم أحدا شرح الله صدره للتصديق بولي معين، بل يقول لك: نعم نعلم أن لله تعالى أولياء وأصفياء موجودين، ولكن أين هم؟ فلا تذكر له أحدا إلا ويأخذ يدفعه، ويرد خصوصية الله تعالى عنه، ويطلق اللسان بالإحتجاج على كونه غير ولي لله تعالى، وغاب عنه أن الولي لا يعرف صفاته إلا الأولياء. فمن أين لغير الولي نفي الولاية عن إنسان؟ ما ذاك إلا محض تعصب، كما نرى في زماننا هذا من إنكار ابن تيمية علينا، وعلى إخواننا من العارفين، فاحذر يا أخي ممن كان هذا وصفه، وفر من مجالسته فرارك من السبع الضاري، جعلنا الله وإياك من المصدقين لأوليائه، المؤمنين بكراماتهم بمنه وكرمه آمين.

ولما علم الله عز وجل ما سيقال في هذه الطائفة على حسب ما سبق به العلم القديم بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، فقضى على قوم أعرض عنهم بالشقاء، فنسبوا إليه زوجة وولدا وفقرا، وجعلوه مغلول اليدين، فإذا ضاق ذرع الولي أو الصديق لأجل كلام قيل فيه من كفر وزندقة وسحر وجنون وغير ذلك، نادته هواتف الحق في سره: الذي قيل فيك هو وصفك الأصلي لولا فضلي عليك، أما ترى إخوانك من بني آدم كيف وقعوا في جنابي ونسبوا إلي ما لا ينبغي لي، فإن لم ينشرح لما قيل فيه بل انقبض، نادته هواتف الحق أيضا: أما لك بي أسوة فقد قيل في ما لا يليق بجلالي، وقيل في حبيبي محمد ﷺ وفي إخوانه من الأنبياء والرسل ما لا يليق بمرتبتهم من السحر والجنون، وأنهم لا يريدون بدعائهم إلا إلى الرياسة والتفضيل عليهم.

فانظر ولو استبرأ هذا القائل لدينه، وعرضه لتوقف، وتبصر في أمر هؤلاء الأولياء، والعلماء قبل أن ينتقد عليهم، فربما كان يتردد إليهم لكشف ضرر، أو خلاص مظلوم من سجن، أو قضاء حاجة لأحد مثلا من عباد الله العاجزين الذين لا يستطيعن توصيل حوائجهم إلى تلك الأمراء فيسألون في ذلك من يعتقد فيه من الأولياء، والعلماء فيجب عليهم الدخول لتلك المصالح، ويحرم عليهم التخلف عنهم، لا سيما إن رأينا ذلك المتردد من الأولياء، والعلماء زاهدا فيما في أيديهم، متعززا بعز الإيمان وقت مجالستهم، آمرا لهم بالمعروف، ناهيا لهم عن المنكر، لا يقبل هدية ممن شفع له عندهم، فإن هذا من المحسنين، ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه بسبب ذلك.

وأحذركم من الإنكار على أهل حضرة الله فقد أخذ منه خلق كثير من الزهاد والعباد، فحسن يا مسكين ظنك بالله، وبعباد الله، وأكثر من محبة أوليائه تكن منهم، وتحشر معهم لقوله ﷺ: «من أحب قوما حشر معهم».

وقد جرت سنة الله تعالى في أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الأذى من الخلق، في مبتدأ أمرهم، وفي حال نهايتهم، كلما مالت قلوبهم لغير الله تعالى، بإخراجهم من أوطانهم، ورميهم بالبهتان والزور، ثم تكون الدولة والنصرة لهم في آخر الأمر إن صبروا، وأقبلوا على الله تعالى كل الإقبال. كما وقع للسيد نوح عليه الصلاة والسلام وكذلك السيد موسى والسيد يوسف عليهما السلام وسيدنا محمد ﷺ مع قومهم فالسيد نوح صبر حتى أغرق الله قومه وكذلك السيد موسى صبر حتى أغرق الله فرعون وجنوده وكذلك السيد يوسف صبر حتى صار عزيز مصر واحتاج إليه إخوته وغيرهم وكذلك نبينا محمد ﷺ لما أخرجه قومه من مكة رده الله إليها قاهرا بالسيف وكذلك السلف رضي الله عنهم أجمعين لكن من يدوم عليه الأذى طول عمره ويرى بالزندقة والكفر وغيرهما من الأمور الباطنة لأن المعاصي الظاهرة تتنزه الفقراء عنها في الغالب ولو رماهم شخص بما لا يوافق على ذلك فلا يحصل لهم الأذى الكامل بخلاف الأمور الباطنة فإنها تدوم نسبتها إليهم في

الغالب استصحابا لما قيل فيحصل الأذى الكامل المراد ومنهم من ينسب إليه بعض العقائد الزائغة في بعض عمره ثم يتغير الحال تأديبا له ولنفسه لأن لا تميل إلى الخلق لكثرة الاعتقاد منهم غالبا فيفسد عليه حاله لأنه يصير عنده ركون إليهم فيشتغل قلبه بمحبتهم والحق غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده المؤمن محبة لغيره لأنه موضع نظره ولذلك كان ضرر الصديق وخلطته أشد من ضرر العدو لأن العدو يصيبك في ظاهرك والصديق يصيبك في قلبك والعدو تصل به إلى طريق القرب خير من صديق يحجبك عنها فافهم.

ومن اعترض على أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر: موت بالذل، وموت بالفقر، وموت بالحاجة إلى الناس، ثم لا يجد من يرحمه منهم. والولي في زماننا هذا الذي ينتفع به أعداؤه ويؤذونه ويدعو لهم بالخير، وما ثم ولي حق له قدم الولاية إلا بعد وقوع الابتلاء والامتحان، ومن النفاق التظاهر بفعل السنة، والله يعلم منه غير ذلك.

وآذاني إنسان مرة، فضقت ذرعا لذلك، فنمت، فرأيت قائلا يقول لي: من علامة الصديقية: كثرة أعدائها، ثم لا يبالي بهم.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول لولده عبد الله: يا ولدي عليك بالحديث وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية فإنهم ربما كان أحدهم جاهلا بأحكام دينه، فلما صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم كان يقول لولده: يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة.

وبلغنا أن الإمام الشافعي رضي الله عنه كان يجالس الصوفية ويقول: يحتاج الفقيه إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيدوه من العلم ما لم يكن عنده. فلا يقال: لو كان علاج هذه

الأمراض الباطنة واجبة لوضع الإئمة عن الصحابة والتابعين والمجتهدين في ذلك كتابا ولم تر لهم كتابا فيه لأننا نقول إن هذه الأمراض الباطنة التي حدثت فينا لم تكن في عصرهم، ولو كانت فيهم لاستنبط المجتهدون في ذلك أدوية وكتبا، وخلصوا الناس من الرياء والتفاف والعجب وغيرها كما فعلوا ذلك في مسائل الفقه. قال ﷺ: «ليس الجهاد أن يضرب بسيفه في سبيل الله، إنما الجهاد من عال والديه ومال ولده فهو جهاد، ومن عال نفسه في كفها عن الناس فهو في جهاد».

ولما دخلت الإسكندرية مكثت مدة لم يلتفت أحد إلي، فدخل البلد زرافة وفيل فانقلب الناس إليهما، فقلت: يا سبحان الله، ابن آدم أكمل مقاما من الفيل والزرافة ومع ذلك فلم يلتفتوا إليه، ثم إني نظرت فرأيت النكتة في ذلك قلة رؤيتهم للزرافة والفيل.

ولما شاع أمري في بلاد المغرب تحزبت علي الأعداء والحسدة من كل جانب، ورموني بالعظائم، وبالغوا في إيذائي، حتى منعوا الناس من مجالستي، وقالوا: إنه زنديق، ولما أردت السفر إلى مصر كتبوا إلى سلطان مصر مكاتبات من جملتها: أنه سيقدم عليكم مغربي من الزنادقة، أخرجناه من بلادنا حين أتلف عقائد المسلمين، فإياكم أن يخدعكم بحلاوة منطقه، فإنه من كبار الملحدين، ومعه استخدمات من الجان، فما وصلت إلى مدينة الإسكندرية، حتى وجدت الخبر بذلك سابقا على مقدمي، فقلت: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] فبالغ أهل الإسكندرية في إيذائي، ثم رفعوا أمري إلى سلطان مصر، وأخرجوا له مراسيم، فيها ما يبيح به دمي، فمددت يدي إلى سلطان المغرب وأتيت منه بمرسوم يناقض ذلك فيه من التبجيل والتعظيم ما لا يوصف، تاريخه متأخر عن مراسيمهم، فتحير السلطان، وقال: العمل بهذا أولى، وأكرمني وردني إلى الإسكندرية مكرما.

ولما تزايد الأذى علي توجهت إلى الله تعالى في أنه يصبرني، فأغاثني الله تعالى، وذلك أنه أرسل لي سلطان مصر يسألني الدعاء، ويستلطف بخاطري، فكف الناس عني الأذى حرمة للسلطان، وبعضهم زاد في الأذى، وكاتبوا فيي السلطان، وقالوا: يا مولانا إنه سيماوي، فتغير السلطان علي، ثم أرسلوا إليه مكاتبات أني كيماوي، وأني أضرب الزغل، وحذروا الناس من مجالستي، فاتفق أن خازندار السلطان محمد بن قلاوون وقع في أمر يوجب القتل عند الملوك، فأمر بشنقه، فاختفى وهرب إلى الإسكندرية، فأقام عندي، فلبغ الخبر السلطان، فأرسل يقول: ما كفاك ضرب الزغل حتى أنك تأوي غريم السلطان؟ فأرسله ساعة وصول كتابنا إليك وإلا فعلنا وفعلنا، فلم أرسله، وغضب السلطان، وأرسل يتوعدني بالقتل، ويقول: كيف تتلف مماليك السلطان؟ فما وصل إليه الخبر مع شخص من أخصاء السلطان، فقلت له: معاذ الله أن أتلف أحدا من مماليك السلطان، وإنما نحن نصلحه، ثم قلت لقاصد السلطان: ائتنا بما شئت من تماسيح الرصاص من صواصل السلطان، حتى أريك كيف الإصلاح، فأتى بشيء كثير، فألقيته في فسقية جامع من غير ماء، وأرسلت وراءه الخازندار، فقلت له: بل على هذا الرصاص، فبال عليه فصار ذهبا خالصا، فقلت: هذا صلاح وإلا فساد؟ فقال: صلاح، ثم أمر القاصد بحمل ذلك إلى خزانة السلطان، فوزنوا ذلك فوجدوه خمسة قناطير، فقلت: هذا هدية لمولانا السلطان، وقل له يرضى عن مملوكه، فرضي عنه.

ثم إن السلطان نزل إلى زيارتي في الإسكندرية، وأضمر في نفسه أنه أعلمه صنعة الكيمياء، فقلت: كيمياؤنا التقوى، فاتق الله يعلمك حرف كن، ثم لم يزل معظما لي إلى أن مات.

[التشبه بأولياء الله تعالى]

اعلم أيها السائل إنك إذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة واحدة إلا من يدلك على الله بإشارة صادقة وأعمال ثابتة، لا ينقضها كتاب ولا سنة، وأعرض عن الدنيا بالكلية، ولا تكن كمن يعرض عنها ليعطى شيئا على ذلك، بل كن في ذلك عبدا لله، أمرك أن ترفض عدوه، فإن أتيت بهاتين الخصلتين: الإعراض عن الدنيا، والزهد في الناس، فأقم مع الله تعالى بالمراقبة، والتزم التوبة بالرعاية، والاستغفار بالإنابة، والخضوع للأحكام بالاستقامة.

وتفسير هذه الأربعة: أن تكون عبدا لله تعالى فيما تأتي وتذر، وتراقب قلبك ألا يرى في المملكة شيئا غيره، فإذا أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العز: إنك قد عميت عن طريق الرشد، من أين لك هذا القيام مع الله بالمراقبة وأنت تسمع قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: 52] فهناك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة بما ظننت أنه قربة، فتلزم بالتوبة والرعاية لقلبك أن لا تشهد ذلك منك بحال فتعود إلى ما خرجت عنه، فإن صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق: أليست التوبة منه بدأت والإنابة منه تتبعها؟ واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك.

ولا تجد الروح والمدد، ويصح لك مقام الرجال، حتى لا يبقى في قلبك تعلق بعلمك، ولا جدك، ولا اجتهادك، وتيأس من الكل، دون الله تعالى.

[التصوف]

التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية، والصوفي من لا يلتفت إلى الخلق ولم يسكم لمواعيد الحق، وللصوفي أربعة أوصاف: التخلق بأخلاق الله تعالى، والمبادرة لأوامر الله تعالى، وترك الانتصار للنفس حياء من الله تعالى، وملازمة البساط بصدق الفناء مع الله تعالى.

والصوفي يرى وجوده في طي سره كالهباء في الهواء، غير موجودين ولا معدومين، حسبما هو في علم الله، فالعوارض التي تمر على السر إنما هي للتجديد أو التأكيد، ليعلم بذلك حقيقة التوحيد.

ورأى الشيخ الإمام أبا الحسن بن حرزهم رضي الله عنه رأى ليلة جمعة في المنام كأنه داخل من باب الجامع الذي عادته يدخل منه وإذا بالنبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما جلوس في مكان من الجامع والنور على ذلك المكان ساطع وكان قد بالغ في الإنكار على كتاب الإحياء وأمر بجمع نسخه وعزم على إحراقها يوم الجمعة المذكور لكونه بزعمه خلاف السنة وإذا بالإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه قائم تجاه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذا خصمي فإن كان الأمر كما زعم تبت إلى الله تعالى وإن كان شيئا تستحسنه يا رسول الله حصل لي من بركتك فخذ لي حقي من خصمي، ثم جثا على ركبتيه وصار يزحف عليهما إلى أن وصل إلى النبي ﷺ، فناوله كتاب الإحياء وقال: انظر فيه يا رسول الله، فنظر فيه ﷺ ورقة ورقة إلى آخره، ثم قال: «والله إن هذا شيء حسن»، ثم ناوله أبا بكر فنظر فيه كذلك، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق يا رسول الله أنه لحسن، ثم ناوله عمر فنظر فيه كذلك، ثم قال: كما قال أبو بكر، فأمر ﷺ بتجريد المنكر المذكور وضربه حد المفتري فجرد وضرب، ثم شفع فيه أبو بكر رضي الله عنه بعد خمسة أسواط،

وقال: يا رسول الله إنما فعل هذا اجتهادا في سنتك وتعظيما لها فغفر له أبو حامد عند ذلك.

فلما استيقظ من منامه وأصبح أعلم أصحابه بما جرى له ومكث خمسة وعشرين يوما وجعا من ذلك الضرب، ثم رأى النبي ﷺ مسح يده الكريمة المباركة عليه فشفي قلبه وقالبه، ثم نظر في الأحياء ففهمه فهما خلاف الفهم الأول، ثم فتح عليه ونال من المعرفة بالله والعلم الباطن والفضل العظيم ما نال برحمة الله الكريم، ولقد مات يوم مات وأثر السياط ظاهر على جسمه.

[تفسير بعض الآيات من الذكر الحكيم]

- قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 117] أي ذكر توبة من لا يذنب لئلا يستوحش من أذنب، لأنه ذكر النبي ﷺ، والمهاجرين والأنصار، ولم يذنبوا، ثم قال: وعلى الثلاثة الذين خلفوا، فذكر من لم يذنب ليؤنس من قد أذنب، فلو قال أولا: لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا لتفطرت أكبادهم.

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، هذه الآية في أصل الدين، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] في فروعه.

- قال الله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [يونس: 89] أي على عدم إستعجال ما طلبتما: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي الذين يستعجلون إجابة الدعاء، وناهيك شرفا وحظا ما يتحصل له بسبب مداومة الدعاء من محبة الله تعالى.

وإنما جعل الإجابة في مختاره تعالى عينا ووقتا لوجوه ثلاثة: أحدهما: رفقا لعبده وعناية به لأنه عليم رحيم كريم والكريم إذا سأله من يعز عليه أعطاه أفضل ما علمه له والعبد جاهل بالصالح والأصلح فقد يحب الشيء وهو شر له ويكره الشيء وهو خير له فافهم. الثاني: لأن ذلك أبقا لأحكام العبودية في نظر العبد وأقوى في ظهوره بسطوة الربوبية إذا لو كانت الإجابة بالدعاء على وفق المراد حتما لكان نفس دعائه تحكم على الله وذلك باطل فافهم. الثالث: لأن الدعاء عبودية سرها إظهار الفاقة ولو كانت الإجابة بعين المراد حتما لما صحت فاقة في عين الطلب فبطل سر التكليف به ومعنى الاضطرار المطلوب فيه فافهم.

- قال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: 17- 18] أي يقال للولي: وما تلك بيمينك أيها الولي؟، فيقول: هي دنياي أنفق منها على نفسي وأهلي وإخواني، فيقال له: ألقها، فيلقيها فيجدها حية تسعى في هلاك قابضها فيأخذ حذره منها، فإذا حذر منها يقال له: خذها ولا تخف، فكما ألقاها أولا بإذن حال بدايته، فكذلك أخذها بإذن حال نهايته، وهذا الأخذ الثاني متعين على كل شيخ داع إلى الله تعالى ليحمل كلفته عن المريدين ويرتفع عندهم مقامه، فإن كل من احتاج إلى إنسان هان في عينه لأنه حينئذ يصير معدودا من عائلته فيقل نفع ذلك الشيخ.

- قال الله تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: 152] أي للآخرة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[آل عمران: 152]: أي لله. فعلم أن الكمل لا يضرهم كثرة الدنيا وما رد ﷺ جبال الذهب حين عرضها الله عليه إلا تشريعا لأمته خوفا عليهم أن لا يبلغوا مقام العارفين فيها فيهلكوا فكان رده لذلك من باب الاحتياط لأمته خوفا أن يقتدوا به ظاهرا في الأخذ ولا يقدروا يتبعونه في الإنفاق، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: «ما يسرني أن لي مثل أحد

ذهبا يمضي عليه ثلاثة أيام وعندي منه درهم واحد إلا درهم أحبسه لدين». فقوله: ما يسرني أي أن يكون عندي مثل أحد ذهبا وأحبسه عن الناس فما تبرأ إلا من حبسه لا من إنفاقه كما هو سياق الحديث.

- قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، أي: قد محق الحق تعالى جميع الأغيار بهذه الآية؛ فإن هذه الحضرات الأربع هي مجموع الوجود. فإنه جعل نفسه عين ما ظهر، وعين ما بطن، وهي حضرة الذات المقدسة. فقيل لي: فأين الخلق؟ كيف يكون كذلك ونحن نشاهد السماوات والأراضين والشمس والقمر وغير ذلك مما لا نقدر على إنكاره. فقلت: ذلك كذلك موجودون ولكن حكمهم مع الحق تعالى إنما هو كالأنابيب التي تظهر في شعاع الشمس إذا دخل من كوة، فأنت ترى شيئا صاعدا ونازلا، ولكن إذا قبضت عليه لا تجد شيئا، فهي موجودة في الشهود مفقودة في الوجود.

- قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النساء: 79]. أي: إيجادا وإسنادا ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: 79]، أي: إسنادا لا إيجادا.

- قال الله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 49- 50] أي: يهب لم يشاء إناثا العبادات والمعاملات، ويهب لمن يشاء الذكور والأحوال والعلوم والمقام، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يجمع ذلك فيمن يشاء من عباده، ويجعل من يشاء عقيما بلا عمل ولا عمل فتعجب من ذلك.

- قال الله عز وجل على لسان موسى عليه السلام: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: 18] معرفتي بك، أعتمد عليها. ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ [طه: 18] أولادي في التربية. ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: 18] من باب لي وقت مع ربي لا تسعني فيه أرض ولا سماء.

- قال تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30]. أي: كأنه تعالى يقول: يا من قال: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كيف رأيتم إبراهيم خليلي؟.

- قال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102] مع قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] حمل الآية الأولى على التوحيد بدليل قوله بعدها: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102] والثانية على الأعمال وقيل: بل الثانية ناسخة للأولى وكقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: 3] مع قوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: 129] فالأولى تفهم إمكان العدل والثانية تنفيه.

- قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182] أي: سنريهم الكرامات حتى يعتقدوا أنهم أولياء الله فنأخذهم على بغتة.

- قال تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106] أي: ما ذهب الله بولي إلا أتى بخير منه أو مثله.

- قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[النساء: 79]. أي: ما أصابك من حسنة فمن الله إيجادا وإسنادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك إسنادا لا إيجادا يشهد له قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [النساء: 78].

[تفسير قول أويس القرني رضي الله عنه لأصحاب رسول الله ﷺ: ما رأيتم من رسول الله ﷺ إلا ظله، قالوا: ولا ابن أبي قحافة؟، قال: ولا ابن أبي قحافة]

صدق أويس رضي الله عنه، أن الخلفاء الأربعة أفضل الأمة سيدنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم كل أدرك جانبا من رسول الله ﷺ: إن عليا رضي الله عنه كان مقامه إدراك نفس رسول الله ﷺ؛ وعثمان رضي الله عنه؛ إدراك قلبه، وعمر رضي الله تعالى عنه؛ إدراك عقله، وأبو بكر رضي الله تعالى عنه؛ إدراك روحه. وحقيقة رسول الله ﷺ السر المكنون الذي لا يطلع عليه إلا الله تعالى.

[تفسير قول الجنيد: أدركت سبعين عارفا، كلهم يعبدون الله على ظن ووهم حتى أخي أبي يزيد، ولو أدرك صبيا من صبياننا لأسلم على يديه]

معنى قوله يعبدون على ظن ووهم؛ لا يريد بذلك ظنا في المعرفة ووهما فيها، وكيف تجتمع المعرفة والظن أو الوهم؟ وإنما المراد أنهم وصلوا إلى مقامات توهموا أن ليس وراءها للموقنين مقام. وقول الجنيد: لو أدرك صبيا من صبياننا لأسلم على يديه؛ أي لانقاد له، فالإسلام هو الانقياد.

[تفسير قول بعض أهل الطريق: العارف وسعته المعرفة، والورع ضيق عليه التورع]

لا تظنن أن قولهم: العارف وسعته المعرفة أن يأكل حراما أو ما فيه شبهة، لكن العارف ذو بصيرة منيرة تكشف له ما غطي عن الورع؛ فيمد يده إلى الطعام لعلمه بحله وسلامته من الشبهة على ما أشهدته بصيرته، والورع مستور ذلك عنه، فلذلك ربما مد العارف يده إلى ما قبض المستورع سده عنه.

[تفسير قول بعضهم: لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة]

ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة، ولكن معناه إذا أذنب استغفر منه، والملك الموكل يكتب السيئات ولا يكتب السيئة حتى ينتظر العبد لعله أن يرجع أو يتوب، وكلما أراد أن يكتبها قال له: ملك اليمين لا تكتب فعسى أن يتوب، إلى أن يبلغ عددا إما لسبع إما لعشر الشك مني فحينئذ يكتبها سيئة؛ فلذلك جاء صاحب اليمين أمينا على صاحب الشمال.

[تفسير قول سهل بن عبد الله: لا تكونوا من أبناء الدهور ولا من أبناء العد والإحصاء، وكونوا من أبناء الأزل أشقي أو سعيد]

يقول أحدهم صليت كذا وكذا ركعة، ختمت كذا وكذا ختمة، حججت كذا وكذا حجة؛ فهؤلاء أبناء العد والإحصاء فهم إلى عد سيئاتهم أحوج منهم إلى عد حسناتهم، وأما أبناء الدهور فيقول أحدهم: لي في طريق الله سبعون سنة، لي في طريق الله ستون سنة، "وكونوا من أبناء الأزل أشقي أو سعيد"؛ يعني لاحظوا ما سبق في علم الله، ولا تتكلوا على ما لكم من العلم والعمل، ولكن ارجعوا لوجود الأزل.

[تفسير مقولة أبي يزيد: خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله]

إنما يشكوا أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحار التوحيد، ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض؛ أي فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا. فجميع ما أخذ الأولياء مما أخذ الأنبياء

كزق ملىء عسلا ثم رشحت منه رشاحة، فما بطن في الزق للأنبياء، وتلك الرشاحة هي للأولياء.

[التقوى]

التقوى: كسوة أنواره وشهوده الإحاطة بصفاته والقيام به بذاته ذلك خير ذلك من آيات الله تعالى. واجعل التقوى وطنك ثم لا يضرك مرح النفس، ما لم تصر على الذنب، أو ترضى بالعيب، أو تسقط منك خشية الله بالغيب، وهذه الثلاثة أصول العلل والبلايا والآفات، وقد رأيت فقراء هذا العصر ابتلوا بخمسة أشياء: إيثار الجهل على العلم، والإغترار بكل ناعق، والتهاون في الأمور، والتعزز بالطريق، واستعجال الفتح دون شرطه، وهم أيصا ابتلوا بخمسة: إيثار البدعة على السنة، وإتباع أهل الباطن دون أهل الحق، والعمل بالهوى في كل الأمور، وطلب الطرهات دون الحقائق، وظهور الدعوى. فظهروا بذلك خمسة أشياء: الوسوسة في العبادات، والإسترسال مع العبادات، والسماع والإجتماع في عموم الأوقات، واستمالة الوجوه بحسب الامكان، وصحبة أبناء الدنيا حتى النساء والصبيان.

واغتروا بوقائع القوم في ذلك وذكر أحوالهم ولو تحققوا لعلموا أن الأسباب رخصة الضعفاء، فلا يسترسل إلا بعيدا من الله، وإن السماع رخصة المغلوب أو الكامل، وهي انحطاط في بساط الحق إذا كان بشرط من أهله في وآدابه، إن الوسوسة بدعة أصلها جهل بالسنة أو خبل في العقل، وإن التوجه لإقبال الخلق إدبار عن الحق لاسيما قارئي مداهن أو أخيار غافل، أو صوفي جاهل، وإن صحبة الأحداث ظلمة وعار في الدين والدنيا.

وحقيقة الصدق والتقوى وجدان ما تشاء من المولى، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ. لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 33- 34]. وإذا فاتتك التقوى في الاستقامة فلا تفتك في التوبة والإنابة.

ولن يبلغ العبد حقيقة الصدق حيث لا ينجيه إلا الكذب، ويعين على الصدق في القول قراءة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 97].

وليكن همك ثلاثا: التوبة، والتقوى، والحذر. وقوها بثلاث: الذكر، والإستغفار، والصمت عبودية لله، وحصن هذه الستة بأربعة: الحب، والرضى، والزهد والتوكل. وإذا فاتتك التقوى في الإستقامة فلا تفوتك في التوبة والإنابة، والتقوى أن تكون ظاهرة وباطنة، ظاهرة من المعاصي، وباطنة من المساويء والدعاوى، أما من طهر ظاهره من المعاصي، وسد الأفق بالدعاوى وإضافة التدبير والاختيار لنفسه، فلا يقوم خيره بشره.

ولا تقوى لمحب الدنيا، إنما التقوى لمن أعرض عنها. وكيمياؤنا التقوى، فاتق الله يعلمك حرف (كن)، ولكن أقم عليهم الحدود واهجرهم رحمة بهم، ولا تتقزز عليهم احتقارا وكرها ونفورا منهم، ولا تقتدي بمن يتورع بما تناولته أيدي المؤمنين، ولا تتورع مما مسته أيدي الكافرين، وقد علم ما نال الحجر الأسعد في الكعبة نزل من السماء أبيض ثم صار أسود اللون من مس أيدي المشركين فاسود لذلك.

وتفسير التقوى في العزائم إن تعزم في جانب الخير أن تفعله وفي جانب الشر أن لا تفعله، ثم تقتضي من نفسك في وقت ثان بتقوى مجدد إن تفعل كما عزمت وان تترك كما عزمت، ثم يعترضك في الأحوال الظاهرة والباطنة أحوال: كالعز والذل، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والبؤس والنعماء، أو غير ذلك. وفي الباطن كالقبض والبسط، والخوف والرجاء، أو غير ذلك. ومنه أيضا الكبر والتواضع، وخوف الفقر والأمن، وسائر

الأضداد، فتعطي التقوى حقها في الأحوال وفي الأوصاف، بالتحويل من بلد إلى بلد ومن موضع إلى موضع وغير ذلك.

[التواضع]

يقيم بالسعادة عبد عرف الحق فتواضع لأهله وإن علم ما علم ووسم بالشقاوة عبد جحد الحق فتكبر على أهله وإن عمل ما عمل. ومن أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا يومين، وقيل لي: كيف لي بذلك؟ قلت: فرق الأصنام عن قلبك، وأرح من الدنيا بدنك ثم كن كيف شئت، فإن الله لا يعذب العبد على مد رجليه مع استصحاب التواضع للاستراحة من التعب، وإنما يعذبه على تعب يصحبه التكبر.

ولقيت جماعة من الفقهاء من أصحاب ابن البراء فسألت عليهم فأعرضوا عني فعز ذلك علي فسمعت النداء علي يا علي: لقد أكبرت من شأنك وأعظمت من قدرك إذا حسست بإعراضهم عنك فمن هم إذا أقبلوا فكيف إذا أدبروا ولو كنت موفقا لشغلت بإقبالك على الله عن إعراضهم عنك ولو كنت مسددا لشغلت بإقبال الله عليك عن إقبالك أنت عليه.

وخرجت إلى بستان مع أصحاب لي بمدينة تونس ثم عدت إلى المدينة، وكنا ركبانا على الحمير فلما وصلنا قريبا من المدينة نزلوا وكانت طين وقالوا: يا سيدي انزل هنا، فقلت: ولم: فقالوا: هذه المدينة ونستحي أن ندخلها على الحمير، فثنيت رجلي وأردت موافقتهم، فإذا النداء علي: إن الله لا يعذب على راحة يصحبها التواضع ولكن يعذب على تعب يصحبه التكبر والله الموفق.

[التوبة]

لتكن همتك ثلاثا: التوبة والتقوى والحذر، وقوها بثلاث: الذكر، والاستغفار، والصمت، عبودية لله تعالى وحصن هذه الستة بأربع: الحب، والرضى، والزهد، والتوكل.

وإذا فاتتك التقوى في الاستقامة فلا تفتك في التوبة والإنابة. وألق بنفسك في باب الرضى، وانخلع عن عزائمك وإرادتك، حتى عن توبتك بتوبته، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118].

اللهم إني تبت إليك فأعني وقيدني وقوني وانصرني وثبتني واعصمني واسترني بين خلقك ولا تفضحني عند رسولك، فقيل لي: إنك مشرك، فقلت: وكيف؟ فقيل لي: إنك خفت الفضيحة عند الخلق؛ فإنما تخاف أن يفضحك الله بين الناس، وليكن قلبك متعلقا بالله لا بالناس، وتعلم أن أحدا منهم لا ينفعك ولا يضرك؛ فما دام قلبك متعلقا بعلمك وقدرتك وقوتك وجدك واجتهادك، فلست براج لله حتى تيأس من الكل متعلقا بالرجاء في الله في كل نفس، فتجد الروح والمدد أبدا من الله، وإن لم تنل حاجتك؛ ويقطعك بذلك النور عن النظر إلى غيره، ويضيق عليك.

وإذا أردت الدعاء فقدم إساءتك بين يديك، وقل: يا رب بلا شيء، تجد الإجابة طوع يديك. فإذا قرعت بابه على هذا الوصف يفتح لك الأبواب، ولا يكون بينك وبينه حجاب، ويقبل معذرتك ويقيل عثرتك.

ورأيت النبي ﷺ يقول: «اهتدى لسنتي من آمن بالله واليوم الآخر، وأعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، وعزم أن لا يعصي الله، وإن عصاه استغفر وتاب وأناب، فقلت: ما تاب وأناب؟ فقال: تاب عن معصية الله، وأناب من طاعة الله إلى الله».

وقال الجنيد: دخلت على السري، فوجدته متغيرا، فقلت له: ما بالك يا أستاذ متغيرا؟، فقال: دخل علي شاب آنفا، فقال لي: ما التوبة؟، فقلت: أن لا تنسى ذنبك، فقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك، فما تقول أنت يا أبا القاسم؟، قال: فقلت: القول عندي كما قال الشاب؛ لأني إذا كنت في حال الجفاء، ثم نقلني إلى حال الصفاء، فذكر الجفاء في وقت الصفاء جفاء. كلام السري أتم من كلامهما لأن كلام السري يدل على مبادئ المقامات، وكذلك القدوة ملزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها، وإنما تأتي النهايات من البدايات، والجنيد لم يكن في ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة، وكذلك الشاب، فتكلما على أحوال أهل الارتقاء في نهايتهم؛ فكلامهما يخص حالهما، وكلام السري معين مورد السالكين.

وتفسير الحكاية التي ذكرها الأستاذ أبو القاسم القشيري؛ "قال الجنيد: دخلت على السري، فوجدته متغيرا، فقلت له: ما بالك يا أستاذ متغيرا؟ فقال: دخل علي شاب آنفا، فقال لي: ما التوبة؟، فقلت: أن لا تنسى ذنبك، فقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك، فما تقول أنت يا أبا القاسم؟ قال: فقلت: القول عندي كما قال الشاب؛ لأني إذا كنت في حال الجفاء، ثم نقلني إلى حال الصفاء، فذكر الجفاء في وقت الصفاء جفاء": كلام السري أتم من كلامهما لأن كلام السري يدل على مبادئ المقامات، وكذلك القدوة ملزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها، وإنما تأتي النهايات من البدايات، والجنيد لم يكن في ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة، وكذلك الشاب، فتكلما على أحوال أهل الارتقاء في نهايتهم؛ فكلامهما يخص حالهما، وكلام السري معين مورد السالكين.

[التوحيد]

التوحيد: نور يعدمك لغيرك ويعدم غيرك لك. والتوحيد سر الله، والصدق سيف الله، ومدد السيف باسم الله، وبرحمته ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكان لي صاحب وكان كثيرا ما يأتيني بالتوحيد، فرأيت في النوم كأني أقول له: يا أبا عبد الله: إذا أردت التوحيد الذي لا لوم فيه فليكن الفرق على لسانك موجودا، والجمع في باطنك مشهودا.

وأنوار الحق سبحانه وتعالى أربعة: التوحيد، والمحبة، والإيمان، والرضى. ومن تعلق بأسماء الله من جهة المسميات أشرك باطنه، فكيف من تعلق بأسماء نفسه؟ وأين أنت من التوحيد الحق المجرد عن التعلق بالله وبالخلق، وكل إسم تستدعي به نعمة، أو تستكفي به نقمة فهو حجاب عن الذات، وعن التوحيد بالصفات، ومن أحاطت به صفة من صفاته الجميلة أغناه عن الاستعانة بالأسماء والصفات والكلمات، ولا تدع ما هو لك بما ليس لك، ولا تتمن ما فضل الله به غيرك، ولتكن عبوديتك التسليم والرضى والقبول لما تؤتى، وحسن الظن بالله فيما تلقى والاشتغال بما هو أولى ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40]. ﴿ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88].

وهذه المخاطبات لأهل المراتب والمقامات، والدرجات والأحوال، وأما عوام المؤمنين، أهل السعايات والفضائل، والتكسب بالحركات والأقوال والأفعال، فهم عن ذلك معزولون، وإلى حدودهم يرجعون، ومن أجورهم من الله لا يبخسون، هذا إن سلموا من بقبقة الكلام، ولا أجر لمن أخذ الأجر، والرشا على الصلاة والصيام، وتنعم بمطامح تلك الأبصار عند إطراق الرؤوس، والاشتغال بالأذكار، وجناية هؤلاء

بالإضافات، ورؤية الطاعات أكثر من جنايتهم بالمعاصي وكثرة المخالفات، وحسبهم ما يظهر لهم وعليهم من الطاعات، وإجابة الدعوات والمسارعة إلى الخيرات، ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى من تملق إليه في الأسحار بالطاعات؛ ليطلب مسرته بذلك، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 2- 3].

ومن اتقى الشرك في التوحيد والمحبة في أوائل خطواته، عزم الله له بالمدد العزيز في أواخر ما من به، ثم لا يحجب عن الله ولا يدخل عليه الخلل في عزائمه، ومن أبطأ به الأمر في أنفس الخطرات، ووجد منه الميل إلى أشخاص الشهوات بطئ عنه المدد على مقدار أوقات الفترات، هذا بيان من الله لأهل التيقظ من الغفلات، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: 7- 8] فاتق الله في الشرك التوحيد، واجتمع ولا تتفرق عنه بنقص ولا مزيد، وإياك والشرك في التوحيد في المحبة أي شهوة كانت، ومن كان عبدا لله خائفا وجلا مشفقا من الله في نعمائه كان في أمن من الله فيما يرد عليه من عظيم بلائه دليله قوله ﷺ: «من كان لله في الرخاء كان الله له في الشدة» (رواه أحمد في المسند: 1/ 307، والطبراني في الكبير: 11/ 123، والحكيم الترمذي في النوادر: 1/ 242 بنحوه).

وظاهر الظلم المحبة لغير الله، وباطنه الشرك في توحيد الله، وسره مقدوف به في البعد من الله وهو الحياة القائمة بذات روح العبد الشرك في توحيد الله، وهي مدد الصفات والحركات والأعمال، اللهم إني أعوذ بك من الشرك الذي لا توحيد معه، ولا إيمان يصحبه، ولا خير يتبعه، واغفر لي ما دون ذلك فإنك الضامن مع المشيئة له.

يا أيها الناس اتجروا كي تربحوا، واحذروا أن تتجروا فتخسروا وتقبحوا، والتاجر من يعبد الله بحقائق التوحيد والإيمان، والرابح من ربح نفسه فخلصها من الشرك والكفر قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 11] إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ

إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: 13]. ﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: 15- 14]. وقال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102]، مع قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]، الآية الأولى على التوحيد بدليل قوله بعدها: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، والثانية على الأعمال. أهلك آدم وحواء ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وأزواجه صلى الله عليهم أجمعين ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ [الأحزاب:6] ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 68] والخاسر من أشرك بالله في توحيده ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65] أو من أشرك بعبادة ربه شيئا أو أحدا من خلقه، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

ومحتاج قائل: لا إله إلا الله، إلى أربع خصال: تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة، فمن لم يكن له تصديق فهو منافق، ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع، ومن لم يكن له حلاوة فهو مرائي، ومن لم تكن له حرمة فهو فاسق.

وليلة اجتمع بي الشرف البوني وشرف الدين بن المحلي، وأخبراني أنهما دخلا على امرأة بغربي الإسكندرية، قال: قالت لنا: أروني أيديكم. فشمت أيدينا، وقال: إخوان صالحون. ثم قالت: انتهيت في المعرفة إلى مقام الحيرة. فقلت: إلهي، بم يخرج العارفون من الحيرة؟ فقال لي: بالتوحيد فهل فيكم من يعرف هذا التوحيد الذي يخرج العارفون به من الحيرة؟. قالا: فقلنا لها: إنما جئنا لنلتمس بركتك. قال: ثم قلت: ألا دلوها على من

ضيق عليه، ثم توجه إلى جهتها. وقال: التوحيد الذي يخرج العارفون به من الحيرة (لا إله إلا هو)، يخرج العارفون من الحيرة بـ (لا إله إلا هو). فأصبح بعض أصحابنا، فذهب إليها؛ فوجدها وهي تقول: استغنيت. استغنيت.

ولقيت بعض الأولياء في سياحتي فعرضت عليه كلاما في التوحيد فصاح الرجل ومات، فقيل لي: يا علي لم فعلت؟ لتعاقبن بذهاب بصرك، فقلت: يا أبي العباس انعكس بصري على بصيرتي، فصرت كلي مبصرا بالله الذي لا اله إلا هو ما أترك في زماني أفضل من أصحابي وأنت والله أفضلهم، وكل إسم تستدعي به نعمة، أو تستكفي به نقمة فهو حجاب عن الذات، وعن التوحيد بالصفات، وهذا لأهل المراتب والمقامات، وأما عوام المؤمنين فهم عن ذلك معزولون، وإلى حدودهم يرجعون، ومن أجورهم من الله لا يبخسون.

[التوكل]

قيل لي: إشرح لي كيف أتوكل على الله وكيف أعتصم بالله وكيف أستعين به؟ فقلت: من تعلق بشيء أو توكل عليه أو استند إليه أو اعتمد عليه فقد اتخذه ربا، فكل شيء سوى الله فليس بمتوكل على الله، فالتوكل وقوع القلب والنفس والعقل والروح والسر والأجزاء الظاهرة والباطنة، على الله دون شيء سواه. والاعتصام بالله، والتمسك به، واللجوء إليه، والاضطرار إليه. فاحذر في الإعتصام بالله قبل أن ترى قدرة أو إرادة أو حكما أو أثرا في كل شيء على شيء، أو في شيء أو من شيء أو لشيء بعد.

وأما الاستعانة بالله: أن لا تتخذ العلم سببا، ولا المسبب إليه سببا، ولا الأول والآخر وغرق الكل في العلم والقدرة والإرادة والكلمة، كما غرقوا الدنيا في الآخرة والآخرة في السابقة، والسابقة في الحكم، والحكم في العلم الأزلي.

وأما حسن مجاورة أمر الله: فبالذكر والفكر والحفظ والمبادرة والتسليم والإيقان بأمر الله، والتفقد لأمر الله، وإذا عرض لك ذنب أو نقص أو سهو أو غفلة فاستغفر الله من ظلمك لنفسك، ومن سوء عملك بعظيم جهلك ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110].

وقال لي رجل: قد خرجت للفقراء عن سلة عنب، فأرسل معي أحدا من الفقراء يحملها، فأبيت وقلت له: نحن لا نأكل شيئا أعلمنا به قبل أن يحضر عندنا، فالحمد لله الذي جعل لنا بهذا أسوة.

[جهاد العدو]

من أراد ألا يكون للشيطان عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكل، وصدق العبودية لله على بساط الفقر واللجوء، والاستعاذة بالله عز وجل من نزغات الشيطان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 100]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42]. وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأعراف: 200] وتصحيح الإيمان بالشكر على النعمة، والصبر على البلاء، والرضى بالقضاء، وصحة التوكل بهجران النفس، ونسيان الخلق، والتعلق بالملك الحق، وملازمة الذكر. واتخذ الله وليا، والشيطان عدوا، وقد استرحت.

وإذا عرض عارض يصدك عن الله فاثبت له، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى، وأضدادها أوصاف الربوبية فمالك ولها، فلازم أوصافك وتعلق بأوصاف الله، وقل من بساط الفقر الحقيقي: يا غني من

للفقير غيرك، ومن بساط الضعف الحقيقي: يا قوي من للضعيف غيرك، ومن بساط العجز الحقيقي: يا قدير من للعاجز غيرك، ومن بساط الذل الحقيقي: يا عزيز من للذليل غيرك، تجد الإجابة كأنها طوع يديك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

ومن أخلد إلى أرض الشهوات، واتبع الهوى، ولم تساعده نفسه عن التحلي، وغلب عن التخلي فعبوديته عن أمرين: أحدهما معرفة النعمة من الله تعالى فيما وهب له من الإيمان والتوحيد، إذ حببه إليه، وزينه في قلبه، وكره إليه أضداده من الكفر والفسوق والعصيان، فيقول: يا رب أنعمت علي بهذا، وسميتني راشدا، فكيف أيأس منك وأنت تمدني بفضلك، وإن كنت مخالفا؟ فأرجو أن تقبلني وإن كنت زائفا. والأمر الثاني: اللجأ إلى الله والافتقار إليه دائما، وتقول: يا رب سلم سلم، وقني وأنقذني، فلا طريق لمن غلبت عليه الأقدار، وقطعته عن العبودية المحضة لله تعالى الواحد القهار، مع عدم التفكر والاعتبار، إلا هذان الأمران فإن ضيعهما، فالشقاوة حاصلة والبعد لازم والعياذ بالله، والله المسؤول في التوفيق والهداية بمنه وكرمه.

ومخازي الشيطان أربعة: إما أن تجلس متفكرا فيما يقربك إلى الله تعالى فتأتيه، أو متفكرا فيما يبعدك منه فتجتنبه، وإما أن تجلس متفكرا فيما سلف من ذنوبك فتستغفر وتشكر، وإما أن تجلس متفكرا فيما سبق من حسن عملك فتشكر وتستغفر الله من النظر والاعتماد عليه، إلا على فضله ورحمته.

وإن أردت أن تغلب العدو، فعليك بالإيمان والتوكل وصدق العبودية والإستعاذة بالله من نزغاته؛ واقرأ قوله تعالى: [إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 99]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42]. وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [فصلت: 36]. واتخذ الله وليا والشيطان عدوا وقد استرحت.

وقيل لي: أتريد أن يغنيك الله عن الناس حتى يغني بك من أحب أو توسل أو دعا أو سأل؟ فقلت: وكيف لي بذلك؟ قيل: لا تتخذ منهم عدوا ولا حبيبا واتخذ الله حبيبا، قلت: كيف بالعداوة في الله والمحبة فيه؟ قيل: ذلك بالله لا بالأنفس ولا بالحظ، فإن عاديت وأبغضت بالعلم فأعط العلم حقه ولا تتخذ الشيطان وليا، ومن دون الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا، فإذا أحببت بالعلم فاصحبه معك ما وافق الطاعة، وإن خالف أبغضت بالعلم ما دام مع المخالفة وسرك قاعد على بساط الإيمان تحبه، وترد به وتناوئه لمخالفته ظاهر العلم، فتنبه في هذا الباب فإنه موضع المزلة للجهال، واستعن بالله فإنه لا معين لك غيره، وكن من الشاكرين.

وإن مما يعين على دفع وسوسة الشيطان أنك عند وسوسته لك تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الأيسر بحذاء القلب، وتقول: سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال سبع مرات، ثم تقرأ قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 19- 20].

ووسائل الشيطان لعنه الله من الصورة يكلمك ومن البال يخاطبك وبالخاطر ينبهك والوسوسة يحركك وبمحق الحقيقة يستولي في حق الكفار.

وقرأت ليلة من الليالي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فلما إنتهيت إلى قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 4- 6] فقيل لي: شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك، ينسيك ألطافه الحسنة، ويذكرك أفعالك السيئة، ويقلل عنك ذات اليمين، ويكثر عليك ذات الشمال، ليعدل بك عن حسن الظن بالله تعالى ورسوله وكرمه، الى سوء الظن بالله ورسوله، فاحذرك هذا

الباب فقد أخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد وأهل الورع والإجتهاد، فإذا أردت أن تسلم من ذلك فلا تدبر لغد ولا لبعد غد.

واجتمعت برجل في سياحتي فأوصاني. فقال لي: ليس شيء في الأقوال أعون على حمل الأثقال من لا حول ولا قوة إلا بالله، وليس شيء في الأفعال أعون من الفرار إلى الله والإعتصام بالله، ففروا إلى الله واعتصموا بالله، ومن يعتصم بالله فقد اهتدى إلى الصراط المستقيم.

ثم قال: بسم الله فررت إلى الله واعتصمت بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومن يغفر الذنوب إلا الله. بسم الله: قول باللسان وصدور عن القلب. ففرو إلى الله: وصف بالروح والسر، ومن يعتصم بالله: وصف العقل والنفس. ولا حول ولا قوة إلآ بالله: وصف للملك والأمر. ومن يغفر الذنوب إلا الله. رب أعوذ بك من عمل الشيطان ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾. ثم يقول: الشيطان هذا علم الله فيك وبالله آمنت وعليه توكلت وأعوذ بالله منك، ولولا ما أمرني ما استعذت منك، ومن أنت حتى استعيذ بالله منك.

وما سلط الله تعالى إبليس على عباده المقربين، إلا ليردهم إلى حضرته إذا شردت قلوبهم منها فقربهم تعالى إلى حضرته بعين ما طرد به أهل شقوته، وإذا حقت على عبد كلمة الشقاء فما حسناته إلا ذنوب لحبوطها بالكفر بخلاف من سبقت له السعادة، فإنه كالزرع الذي يميله الريح يمينا وشمالا، وأصله ثابت في الأرض فلا يخلد في النار موحد لله تعالى.

وهذا حكم زلات أهل الله الذين سبقت لهم منه السعادة والحسنى، وأما من فقد الذل والانكسار والتوبة النصوح على الفور وبقي على الإصرار فليس هو من أهل هذا المقام، ونحن إنما نتكلم على زلات أهل الله تعالى إذا وقعت منهم، أما زلات غيرهم فهم إخوان الشياطين لا يزدادون بالزلات إلا طردا وبعدا.

[جواب عن سؤال: لماذا بدأ القشيري في رسالته بالفضيل بن العياض وإبراهيم بن أدهم]

إنما بدأ القشيري في رسالته بالفضيل بن العياض وإبراهيم بن أدهم لأنهما كانا قد تقدم لهما زمن قطيعة، ثم أقبلا فأقبل الله عليهما، فبدأ بذكرهما بسطا لرجاء المريدين الذين كانت تقدمت منهم الزلات وسبقت منهم المخالفات، ثم رجعوا إلى استقراء أبواب العنايات؛ إذ لو بدأ بذكر الجنيد وسهل ابن عبد الله التستري وعتبة الغلام وأمثالهم ممن نشأ في طريق الله تعالى لقال القائل: ومن يدري أن هؤلاء لم تسبق لهم زلات ولم تتقدم منهم مخالفات؟.

[جواب عن سؤال: يا سيدي قد جاء أن الصديق رضي الله عنه قدم له لبن، فأكل منه فوجد كدرته في قلبه، فقال: من أين لكم هذا اللبن؟، فقال غلام له: كنت تكهنت لقوم في الجاهلية فأعطوني ثمن كهانتي، فتقيأه أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: والله لو لم يخرج إلا بمصاريني لأخرجتها، أفلم يكن على يد الصديق عرق يتحرك عليه إذا قدم له طعام فيه شبهة؟ والصديق أولى بكل مزية من سائر الأمة وقد وزن بالأمة فرجحهم]

كان الحارث بن أسد المحاسبي إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه أصبعه. والصديق رضي الله عنه كالوكيل المفوض إليه مطهر من البقايا فلا يحتاج إلى الإشارة، والحارث بقيت عليه البقايا، فلذلك لزمت الإشارة حتى لا يدخل في شيء بنفسه وهواه، وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه طهر من النفس والهوى فلا يحتاج إلى الإشارة، واعلم أن من حسن اختيار الله لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه أن تناول من ذلك اللبن حتى يتكلف طرحه بعد شربه، فيثيبه الله على ذلك، وأيضا ليجعله قدوة للعباد؛ فيقتدي به من أكل طعاما فيه شبهة ولم يعلم أن الأولى قيئه، وليس لقائل أن يقول قد ضمنه بأكله وقد تناول أو تناوله وهو غير آثم إذ هو غير عالم، فإن أبا بكر رضي الله عنه ما سأل عن اللبن حتى

وجد له كدرة في قلبه، دل ذلك على أن الحرام أو الشبهة قد يؤثر في القلب كدرة أو قسوة وإن لم يعلم به، فتناوله وقت تناوله وهكذا أهل التخصيص إن وقع منهم أمر مثل هذا ونحوه فهو من حسن اختيار الله لهم، كما اختير لآدم عليه السلام أكله من الشجرة بعد أن نهي عنها حتى يتوب من الفعل، فيكون قدوة للتالين وحتى يتعرف الله بحلمه فيعلم أنه أكرم الأكرمين يوقفه على وجود ستره ولطفه، فيعلمه أنه اللطيف الخبير بعباده المؤمنين، وليكون أكل الشجرة سببا في النزول والنزول سببا في الخلافة. فأكرم بها معصية أورثته الخلافة، والله لقد أنزل الله آدم عليه السلام إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

[الحال]

عبد هو في الحال بالحال وعبد هو في الحال بالمحول، فالذي هو في الحال بالحال: عبد الحال، والذي هو في الحال بالمحول: عبد المحول، وأمارة من هو في الحال بالحال: أن يأسى عليها إذا فقدها ويفرح بها إذا وجدها، والذي هو في الحال بالمحول: لا يفرح إذا وجدت ولا يحزن عليها إذا فقدت.

ورأيت كأني في المحل الأعلى، فقلت: إلهي، أي الأحوال أحب إليك؟ وأي الأقوال أصدق لديك؟ وأي الأعمال أدل على محبتك؟ فوفقني واهدني، فقيل لي: أحب الأحوال إلي: الرضى بالمشاهدة؛ وأصدق الأقوال لدي: قول "لا إله إلا الله" على الطهارة؛ وأدل الأعمال على محبتي: بغض الدنيا، واليأس من أهلها، مع الموافقة.

ومن اعترض على أحوال الرجال لابد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات: موت بالذل، وموت بالفقر، وموت بالحاجة للناس مع عدم الرحمة له.

يا واسع، يا عليم، يا ذا الفضل العظيم، أنت ربي، وعلمك حسبي، إن تمسسني بضر فلا كاشف له إلا أنت، وإن تردني بخير فلا راد لفضله تصيب به من تشاء من عبادك وأنت الغفور الرحيم.

[الحجاب]

الحق تعالى ليس محجوب وإنما العبد هو المحجوب عن النظر إليه، وحجابه على وجهين: حجاب بصر وحجاب بصيرة. فحجاب البصر العيب الأصلي الذي هو النقص والغنى ولا زوال لهما إلا في الدار الآخرة، فلا رؤية بالبصر إلا هناك. وحجاب البصيرة العيب العارض فإذا أزال كشفت الحقيقة.

[الحظوظ]

حظوظ الخلق من الولي أربعة: أوصاف العامة وجود البركات، وحظ الخاصة من العامة وهم الزهاد والعباد ظهور الكرامات، وحظ العلماء الإتقان والإفصاح في الآيات، وحظ الأولياء منه الإشراف بالكشف على الإحاطات، وهو أن يتكلم في الأوليات والأخريات. ما لك والتأمل في الولي؟ إن قلت: الظاهر يدل، قلت لك: هو أجل، يكفيك منك غبرة أو أقل كلامه بالتوحيد مشهور، وظاهره بالشرع مستور؛ إن سألته عن الرقائق أفناها لك في الدقائق، وإن سألتهم عن الخلق أفناهم لك في الحق وزهدك فيهم.

والعارف بالله تعالى لا تنغصه حظوظ النفس؛ لأنه بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يترك، إلا إن كانت الحظوظ معاصي.

وإذا أهان الله عبدا كشف له حظوظ نفسه، وستر عنه عيوب دينه، فهو يتقلب في شهواته حتى يهلك ولا يشعر.

[الحقائق]

الحقائق: هي المعاني القائمة في القلوب، وما اتضح لها، وانكشف لها من الغيوب، وهي منح من الله تعالى وكرامات، وبها وصلوا إلى البر والطاعات، ودليلها قوله ﷺ للحارث: «كيف أصبحت؟»، قال: «أصبحت مؤمنا حقا..» الحديث (رواه ابن أبي شيبة: 6/ 170 وعبد بن حميد: 1/ 165).

والحقائق على ضربين: حقائق وجود الإنسان، وحقائق وجود الملك المنان، فحقائق وجود الإنسان ترجع إلى أربعة أشياء: حقائق عالم الغيب والشهادة، وعلم ما كان ويكون، وحقائق وجود ترتيب الرسالات والنبوات والولايات، وعلم اليقين والشهادات والصلاح وسائر أنواع العبادات، فحقائق وجود الإنسان من البدن، والنفس، والهوى، والشهوة، والصدر، والقلب، والفؤاد، والعقل، والحمق، والعلم، والجهل وأصله، والروح وأصلها والسر وأصله، والمحبة وأصلها، واليقين، والبصيرة والتحير، فمادة النفس من الأمر الرباني وهو موجود علمي له سلطان ترى قربي، والروح من الروح الأكبر والسر من السر الأعلى، والعقل من العقل الأصلي، والعلم من المعرفة الأصلية، والنور من النور الأعلى، والمحبة من الرحمة، والشهوة من السخط، وتلك الرحمة بإزاء السخط والحمق من الهوى، والبصيرة من الحق والتحايز من الملائكة، فإن أعطي جانب الملائكة بانت الطبيعة والطبيعة أصلها من وجود الشيطان، وحقائق وجود الملك المنان من الذات والصفات والأسماء والنعوت والأخلاق والأنوار والأسرار.

ومن تحقق الوجود فني عن كل موجود، ومن كان بالوجود ثبت له كل موجود، وليستقر في قلبك أنه لا ضار ولا نافع إلا الله، ولا معطي ولا مانع إلا الله، ثم لا تضطرب ولا تسكن، ولا تنسب إلى الخلق شيئا، ولو قرضت بالمقاريض، ونشرت بالمناشير، أكتبك صديقا عزيزا، فقلت: فكيف لي بما تثيب عليه وما تعاقب عليه؟ قال لي: أثبت ما

أثبت من الثواب والعقاب وأفعال العباد، ولا يضرك الإثبات لما أثبت، وإنما يضرك الإثبات بهم ومنهم.

والمحقق هو من لا يبالي بأية صفة يكون، لأن صفتك تميل لا أنت. وذوي التحقيق هم الذين غرقوا في تيار بحر الذات، وغموض الصفات، فكانوا هناك بلا هم، وهم الخاصة العليا الذين شاركوا الأنبياء والرسل في أحوالهم، فلهم نصيب على قدر إرثهم من مورثهم، أي يقومون مقامهم على سبيل العلم والحكمة، لا على سبيل التحقيق بالمقام والحال. وإذا جاذبتك هواتف الحق، فإياك أن تستشهد بالمحسوسات على الحقائق الغيبيات، وترده فتكون من الجاهلين، واحذر أن تدخل في شيء من ذلك بالعقل.

وإن لله رجالا محق أفعالهم بأفعاله، وأوصافهم بأوصافه، وذاتهم بذاته، وفسخ عقائدهم بأنواره، وبطل عزائهم بإرادته وأغناهم بالرحمة الذاتية عن الرحمة الفعلية، واصطفاهم لمناجاته، وبث فيهم من أسراره ما يعجز عامة الخلق عن سماعه، فهم مغرقون في بحر الذات وتيار الصفات، فنوا عن أفعالهم، ثم فنوا عن صفاتهم، ثم فنوا عن ذاتهم وبقوا بذات الله تعالى، ولم يبق لهم منهم شيء، ومن كان في الله تلفه كان على الله خلفه، ومن صح فناؤه صح بقاؤه.

وأبى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى؛ لما حققهم به من شهود القيومية، وإحاطة الديمومية. وحق التوكل صرف القلب عن كل شيء سوى الله، وحقيقته نسيان كل شيء سواه، وسره وجود الحق دون كل شيء يلقاه، وسر سره ملك أو تمليك لما يحبه ويرضاه. وحقيقة الزهد: فراغ القلب من كل شيء سوى الرب، وحقيقة الخشوع: ذبول القلب بين يدي الله، وحقيقة السجود: إذعان القلب تحت أحكام الرب، وحقيقة الهجران: نسيان المهجور، وحقيقة زوال الهوى من القلب: حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها، وحقيقة الهمة: تعلق القلب بالشيء المهتم

به، وكما لها اتصال القلب بالكلية بالله بالإنفصال عن كل شيء سواه، وحقيقة القرب: الغيبة بالقرب عن القرب لعظم القرب، وحقيقة شغل القلب بالله: إزالة كل معترض، وحقيقة المزيد: فقدان المزيد لعظيم المزيد، وحقيقة الاستقامة: وجود الإفاقة على بساط المشاهدة، وحقيقة التوبة: التحويل من الحركات المذمومة إلى الحرمات المحمودة، وحقيقة الإنابة: الرجوع منه إليه لا من غيره، وحقيقة العبودية: إسقاط إرادتك عند إرادته، وحقيقة المجاهدة: خلع الراحة وترك الرجوع إلى الرخصة، وحقيقة الورع: إمساك العين عن التلدد بالزهرات، والنفس عن الشهوات، والقلب عن الغفلات، والروح عن العثرات والسر عن الإلتفات، وحقيقة التقوى: أن يتقى الحلال خوفا أن يشغله عن الله، وحقيقة اليقين: مشاهدة الغيوب بكشف القلوب وملاحظة الأسرار بمخاطبة الأفكار، وحقيقة الخوف: أن لا يخاف مع الله غير الله، وحقيقة الرجاء: سكون القلب مما كان يخاف، وحقيقة الصبر: حبس النفس في مقام العبودية بنفي الجوع، وحقيقة الشكر هو الغنية عن الشكر برؤية المنعم، وحقيقة الرضاء: سرور القلب غبر القضاء.

وإرجاعك السر إلى حقيقة القرب منك كامتداده إلى حد البعد عنك، دائما وصفان: وصف الفناء، ووصف البقاء، فإن كنت بالفناء فلا قرب ولا بعد كما لا وصل ولا فصل وإن كنت بالبقاء فقد علمت ما قال: ﷺ «فبي يسمع وبي يبصر بنص» الحديث (رواه الحكيم الترمذي في النوادر: 2/ 236).

وخطر ببالي يوما أنني لست بشيء ولا عندي من الأحوال والمقامات شيء، فغمست في بحر من مسك فكنت فيه غريقا فلدوام غرقي فيه لم أجد له تلك الرائحة، فقيل لي: علامة المزيد فقدان المزيد لعظيم المزيد.

واطلب طريق سادتك من القوم وإن قلوا وإياك وطريق الجاهلين بطريقهم وإن جلوا وكفى شرفا لعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر: هل أتبعك على أن تعلمني مما

علمت رشدا. وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة، كما يجب طلب علم الشريعة وكل عن مقامه يتكلم.

وقرأت ليلة من الليالي في وردي قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمان: 26- 27] فأخذني حال فرأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقال لي: صل من يبقى واهجر من يفنى، تجل عن الفناء، وتكرم بالبقاء، وقال: رأيت كأني مع النبيين والصديقين فأردت الكون معهم، ثم قلت: اللهم اسلك بي سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم فإنهم أقوى ونحن أضعف منهم، فقيل لي: قل: وما قدرت من شيء فأيدنا كما أيدتهم.

[الحكم]

- أجلد الناس: من ملك غضبه.
- أحرص أن تصبح وتمسي مفوضا مستسلما، لعله ينظر إليك فيرحمك.
- أقبح الذنوب عند بعض أهل الله تعالى التملق بالطاعات والأوراد لنيل قربة أو غيره.
- أنا بالله الذي لا إله إلا هو ممن جعلت له الدنيا خطوة واحدة، فإذا رأيت ما يخوف الناس أتخطى بهم حيث الأمن.
- إذا أهان الله عبدا كشف له حظوظ نفسه، وستر عنه عيوب دينه، فهو يتقلب في شهواته حتى يهلك ولا يشعر، وإذا أراد عزة بصره ليتوب منها.
- إذا أردت أن تهجر إخوان السوء فاهجر أخلاقك السوء قبل أن تهجرهم، فإن نفسك أقرب إليك والأقربون أولى بالمعروف.
- إذا أردت أن يكون الحق راضيا عنك، فتبرأ من نفسك ومن حولك وقوتك.

- إذا أردت السلامة من الغرق فأخلص العمل لله بشرط العلم، ولا ترض عن نفسك بشيء.

- إذا جالست إلى الكبراء، فدع ما تعرف لما لا تعرف؛ لتفوز بالسر المكنون.

- إذا دعتك نفسك للكلام فلا تتكلم، وإن دعتك للسكوت فتكلم.

- إذا قال أحد فيك ما ليس فيك؛ فقل: الله يعلم مني ما لا يعلم أحد وإلى الله عاقبة الأمور.

- إذا نادوك من بساط الطاعة، فنادهم أنت من بساط المعصية.

- إصبر فو الله ما هي إلا لك.

- إعرف الله وكن كيف شئت، ومن عرف الله فلا عليه أيضا ان أكل هنيئا وشرب مريئا.

- إعلم أن الحق سبحانه إذا منعك لم يمنعك عن بخل.

- إن اغتممت لما ينقص من مالك، فابك على ما ينقص من عمرك.

- إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون.

- إنسب إلى ذاته ما شئت من شرف، وانسب الى قدره ما شئت من عظم.

- إنما أمر بالمكافأة ليستخلص القلب من إحسان الخلق، ويتعلق بالملك الحق.

- إهتزازك لكلام غيرك دليل على فقرك.

- اعلنوا بما من الله به عليكم من العلوم والمعارف بنية صالحة ليأخذها الناس عنكم، وأعلنوا بالطاعة كما يتظاهر غيركم بالمعاصي.

- التصديق بطريقتنا هذه ولاية، واعتقادها عناية.

- الرؤيا للتحديد أو التأكيد.

- الرجل الكامل الذي يقول: ها أنت وربك.

- الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخرة وطنه، والعارف غريب في الأخرة فإنه عند الله.

- الشيطان كالذكر والنفس كالأنثى، وحدوث الذنب بينهما كحدوث الولد بين الأب والأم أو جداه ولكن عنهما ظهوره.

- الظهور تقسم الضهور.

- الغل هو ربط القلب على الخيانة والمكر والخديعة، والحقد هو شدة ربط القلب على الخيانة المذكورة.

- المحبة قطب والخيرات كلها دائرة عليها فافهم.

- المرأة الحسناء تصيبك في باطنك، والشوهاء تصيبك في ظاهرك، وما يصيبك في ظاهرك أهون مما يصيبك في باطنك الذي هو محل نظر الحق تعالى إليك.

- الهالك من ينسب نفسه إلى طائفة القوم أكثر من الناجي، لاسيما من اشتهر بالصلاح وأقبل الخلق عليه بالاعتقاد والثناء.

- الولي إذا حضر الطعام انقلبت عينه ببركة حضوره.

- برهان المغفرة والتوبة والرحمة ودوام الكرامة في الدنيا والآخرة ثلاثة: سقوط الدنيا من قلبك مع عدم الإصرار بلا تكلف من نفسك، وارتباط السر مع دوام الأنفاس بربك، وبرهان الارتباط في السر الخروج من الحول والقوة.

- تركت كل العلوم وتعلمت حب الله فعلمني الله جميع العلوم.

- توسم بالسعادة عبد عرف الحق وتواضع لأهله وإن عمل ما عمل، وتوسم بالشقاوة عبد جحد الحق وتكبر على أهله وإن عمل ما عمل.

- حدثونا بما فتح الله عليكم ولا تحدثونا عن غيركم.

- حسن الخلق كف الأذى عن الناس، واحتمال الأذى عنهم بلا حقد ولا مكافأة.

- حل معقود في زلفة: تكتب وتمحى وتشرب بعد أن تبخر باللوبان الذكر و هذا سبيل كل معقود.

- خائنة الأعين النظر لمحاسن المرأة وما تخفى الصدور حب مواقعتها.

- خزائن ربنا جل وعلا في كلمة إذا تكلم أظهر ومتى شاء قدر فإذا أراد شيئا قال له: ﴿كن فيكون﴾.

- الخلوة معنا نفيسة توجب غنى الدارين.

- خمس من الفطرة: نتف الإبطين، وتسوية الشارب وتقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان.

- ذهب العمى، وجاء البصر. بمعنى فانظر إلى الله تعالى، فهو لك مأوى، فإن تنظر فبه، أو تسمع فمنه، وإن تنطق فعنه، وإن تكن فعنده، وإن لم تكن فلا شيء غيره.

- سبب السلامة الصمت.

- ضررنا أكثر من نفعنا والهالك من أتباعنا أكثر من الناجي لأننا نبين لهم فيخالفون فيهلكون، ومؤاخذة الإنسان بعد البيان أشد من مؤاخذته من غير بيان.

- ظهرت السعادة على من أحببته، وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه، ولو كان مسلما أو ملحقا بالمسلمين، لتحاشيه عن إذاية مطلق الخلق، فضلا عن خواص الحق.

- عدو ترجع به إلى مولاك، خير لك من حبيب يشغلك عن مولاك.

- عدو يطلعك على عيبك بتنقيصه لك خير لك من صديق يمدحك، ويستر عنك عيوبك.

- عدو يوصلك إلى حضرة الله تعالى، خير من صديق يبعدك عن حضرة الله تعالى.

- علوم النظر أوهام، إذا قُورنت بعلوم الإلهام.

- علوم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق.

- غب عن حس ظاهرك إن أردت فسحة باطنك.

- غذا جميل لمن رآه.

- فائدة تفصيل المراتب أن يعطى المقتدى به كل أحد من أتباعه على قدر حاله ومقامه فيما أنزل الله فيه.

- قل الحق ليعرفك الله ولا تقله ليعرفك الناس.

- قليل العمل مع شهود المنة من الله خير من كثير العمل مع رؤية التقصير من النفس.

- كتاب الإحياء يورثك العلم، وكتاب القوت يورثك النور، فإنه قوت.

- كل من طعام فسقة المسلمين، ولا تأكل من طعام رهبان المشركين، وانظر إلى الحجر الأسود، فإنه ما اسود إلا من مس أيدي المشركين دون المسلمين.

- كل من عرف الله فاعرفه، وكل مجلس خير فلازمه، وكل مجلس سوء فتجنبه. ولا تعرف من الناس إلا من تزداد به رحمة الله، وكن حذرا من أهل البدع، والجهل، وسوء الخلق، وأهل الدنيا، والدخول فيما لا يعنيك. ولا تر نفسك إلا أقل من غيرك، وخذ في تصحيح فرضك ونفلك، وكن واقفا على الشريعة، وما عليك في غيرك.

- كيف تكون الكائنات مظهرة له وهو الذي أظهرها، أو معرفة له وهو الذي عرفها.

- لأن يلقى أحدكم ربه بالإيمان الكامل عن النقص، خير له من أن يلقاه بعبادة الثقلين وفي إيمانه ثلمة.

- لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تزيده إياها فإن الله تعالى لم يقنع المؤمن بالجنه جزاء له حتى زاده النظر الى وجهه الكريم.

- لا تشتغل بأذية من يؤذيك واستغني بالله يرد عنك، فهو الذي له صلة عليك ليختبر دعواك في الصدق.

- لا تشم رائحة الولاية وأنت غير زاهد في الدنيا وأهلها.

- لا حجاب إلا الوقت.

- لا يؤويك الله إليه إلا إذا صح يثمك مما سواه ﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾ [الضحى:6].

- لا يترك منازعة الناس في الدنيا إلا المؤمن بالقسمة.

- لا يصح لعبد مجالسة الحق جل وعلا في الدنيا والآخرة وهو يميل إلى شيء من الكونين، فإنه لا يجالس الله إلا عبد الله، وأما غيره فهو مجالس لما أحب من الأكوان لا يرقى عن ذلك.

- لسانك ترجمان قلبك ووجهك مرآى قلبك، يتبين على الوجه ما تضمر القلوب.

- لكم دينكم المبني على الاستدلال، ولي ديني المبني على العيان.

- لن تهلك طائفة فيها أربعة: إمام، وولي، وصديق، وسخي.

- لو أظهر العارف كراماته لخيف عليه أن يعبد دون الله تعالى.

- لولا مشاهدته تعالى في العبادات ما أحبوها، ولولا مشاهدته في الجنة ما أحبوها، فهي محبوبة لما فيها من المشاهدة لا لغيرها.

- ليس الشأن أن تربي ألف رجل لا تستطيع أن تستودع واحدا منهم سرك، لكن الشأن أن تربي رجلا واحدا تستودعه سرك.

- ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة أو غيرها من البلدان، وإنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند ربه.

- ليس الفقيه من فقأ الحجاب عن عيني قلبه، وإنما الفقيه من فهم سر الإيجاد، وأنه ما أوجده إلا لطاعته، ولا خلقه إلا لخدمته، فإذا فهم هذا كان الفقه منه سببا لزهده في الدنيا، وإقباله على الآخرة، وإهماله لحظوظ نفسه، واشتغاله بحقوق سيده، مفكرا في الميعاد، قائما بالاستعداد؛ قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير عند الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير».

- ليس الكامل من الرجال من يوصل كل يوم ألفا من العوام؛ إنما الكامل من يوصل فقيه كثير الجدال في مائة عام.

- مؤاخذة الإنسان بعد البيان أشد من مؤاخذته من غير بيان. قال تعالى: ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ أي للآخرة ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ [آل عمران: 152]. أي لله.

- ما استغنى أحد بأحد ما استغنى أبو بكر بالنبي، ولم ينقطع عنه يوما واحدا.

- ما بعد بيان الله سبحانه بيان.

- ما ثم ولي حق له.قدم الولاية إلا بعد رجوع الابتلاء والامتحان.

- ما طلبت من الله حاجة إلا وقدمت إساءتي أمامي.

- مريد واحد يصلح أن يكون محلا لوضع أسرارك، خير من ألف مريد لا يكونون محلا لوضع أسرارك.

- معصية أورثت ذلا وانكسارا، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا.

- من أراد أن يأكل طعاما طيبا ويلبس ثوبا لينا ويكثر ماله وينفذ أمره لم يذق لذة العبادة، ومن حصل له ذلك كله لم يكن به في الآخرة نصيب.

- من أراد عز الدارين فليخل معي نفسين، ومن خلا معي نفسين أمنته في الدارين.

- من أقبل على الخلق الإقبال الكلي قبل بلوغ درجات الكمال سقط من عين الله تعالى، فاحذروا هذا الداء العظيم، فقد تعلق به خلق كثير، وقنعوا بالشهرة وتقبيل اليد، فاعتصموا بالله يهدكم إلى الطريق المستقيم.

- من أقطع القواطع عن الله شهوة الوصول إلى الله.

- من احتاج إلى الآخرة صحب الأتقياء.

- من بدلت سيئاته حسنات؛ فهو بدل.

- من ترك الأخذ من الناس لقصد الحمد من الناس، فإنما يعبد نفسه والناس، وليس من الله في شيء.

- من دخل الدنيا ولم يصادف رجلا كاملا يربيه، خرج منها وهو متلوث ولو كان على عبادة الثقلين.

- من رباه القطب رباه أربعون بدلا.

- من ضمنها لي ضمنت له الولاية.

- من علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله، وإيثاره على النفس فيما أمكنت فيه القدرة.

- من علامة النفاق ثقل الذكر على اللسان، فتب إلى الله يخف الذكر على لسانك.

- من غفل عن تعهد قلبه اتخذ دينه هزوا، ومن اشتغل بالخلق اتخذ دينه لعبا.

- من لم ير الدنيا ظلمة على قلبه فهو بعيد من ربه.

- من لم ير الكل في سره كالسراب عند من يعلمه فالمكر والتلبيس وطنه.

- نحن قوم إذا ضاقت علينا الأرض، اتسعت لنا السماء.

- نحن لا نحب إلا الله.

- نحن لا ننظر في كلام غيرنا لنستفيد منه ما لم يكن عندنا، وإنما ننظر فيه لنعرف ما من الله به علينا.

- نظرة القوة الخارقة، والروحانية النفاذة، التي تنفعل لها الأشياء.

- هزأ بدينه من غفل عن قلبه، واتخذه لعبا من اشتغل بخلقه.

- وعد إقبالهم عليك ليلا وإعراضهم عنك نهارا تراهم إذا أقبلوا فتنوا؟

- يقول الله عز وجل: عبدي، اجعلني مكان همك أكفيك همك، عبدي، ما كنت بك فأنت في محل البعد، وما كنت بي فأنت في محل القرب، واختر لنفسك.

[الحلال]

من أكل الحلال لأن قلبه ورق ونار، وقل نومه، ولم يحجب عن حضرة الله تعالى، ومن أكل غير الحلال قسا قلبه وغلظ وأظلم، وحجب عن حضرة الله تعالى، وكثر نومه.

وقد جربنا فما رأينا شيئا يطرد النوم مثل أكل الحلال، وترك الحرام والشبهات، فمن أكل الحرام والشبهات كثر نومه وذلك من جملة رحمة الله تعالى به، لأن أكل غير الحلال يحرك الأعضاء للمعاصي فيطلب كل عضو منه أن يعصي، فيتفضل الله تعالى عليه بالنوم ليريحه من المعاصي كما أنه يتفضل على الطائع بأكل الحلال ليقيمه بين يديه ليلا ونهارا.

ورأيت في المنام قائلا يقول: أحل الحلال ما لم يخطر لك على بال؟ ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال.

[الخضر عليه السلام]

إعلم أن بقاء الخضر قد أجمعت عليه هذه الطائفة، وتواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه والأخذ عنه، واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر حد التواتر الذي لا يمكن جحده، والحكايات في ذلك كثيرة.

ولما دخلت مدينة تونس وأنا شاب صغير؛ وجدت بها مجاعة شديدة، ووجدت الناس يموتون في الأسواق. فقلت في نفسي: لو كان عندي ما أشتري به خبزا لهؤلاء الجياع لفعلت، فألقي في نفسي: خذ ما في جيبك، فحركت جيبي؛ فإذا به دراهم، فأتيت إلى خباز بباب المنارة. فقلت له: عد خبزك فعده علي، ثم ناولته للناس، فتناهبوه واختطفوه، ثم أخرجت الدراهم فناولتها إلى الخباز فوجدها زائفة. فقال لي: هذه دراهم مغاربة وأنتم معاشر المغاربة تستعملون الكيمياء، فأعطيته برنسي وكرزيتي من على رأسي رهنا في ثمن الخبز، وتوجهت إلى جهة الباب؛ وإذا برجل واقفا عند الباب. فقال لي: يا علي أين الدراهم؟، فأعطيته إياها فهزها في يده ثم ردها إلي. ثم قال لي: ادفعها للخباز فإنها طيبة، فدفعتها إلى الخباز. فقال لي: نعم هذه طيبة، فأخذت برنسي وكرزيتي، ثم طلبت الرجل فلم أجده، فلبثت أياما متحيرا في نفسي إلى أن دخلت الجامع يوم الجمعة وجلست عند

المقصورة في الركن الشرقي، فركعت تحية المسجد، وسلمت وإذا بالرجل عن يميني فسلمت عليه، فتبسم لي. وقال لي: يا علي أنت تقول: لو كان عندي ما أطعم به هؤلاء الجياع لفعلت، تتكرم على الله الكريم في خلقه ولو شاء لأشبعهم وهو أعلم بمصالحهم منك. فقلت له: بالله يا سيدي من أنت؟ فقال لي: أنا أحمد الخضر كنت بالصين. فقيل لي: أدرك وليي عليا بتونس، فأتيت مبادرا إليك، فلما صلينا الجمعة نظرت إليه فلم أجده.

واضطجعت في المسجد الأقصى فرأيت في المنام قد نصب تحت خارج الأقصى في وسط الحرم، فدخل خلق كثير أفواجا أفواجا، فقلت: ما هذا الجمع، فقالوا: جمع الأنبياء والرسل عليهم السلام قد حضروا ليشفعوا فى الحسين الحلاج عند محمد عليه السلام في إساءة أدب وقعت منه، فنظرت إلى التخت فاذا نبينا ﷺ جالس عليه بانفراده وجميع الأنبياء على الأرض جالسون، مثل ابراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم السلام، فوقفت انظر واسمع كلامهم، فخاطب موسى نبينا عليه السلام، وقال له: إنك قد قلت علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، فأرنا منهم واحدا، فقال: «هذا»، وأشار الى الامام الغزالي قدس الله سره، فسأله موسى سؤالا بعشرة أجوبة، فاعترض عليه موسى بأن الجواب ينبغي أن يطابق السؤال والسؤال واحد والجواب عشرة، فقال الامام: هذا الاعتراض وارد عليك أيضا حين سئلت، وما تلك بيمينك وكان الجواب عصاي فاوردت صفات كثيرة، فبينما أنا متفكر فى جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالسا على التخت بانفراده، والخليل والكليم والروح جالسون على الأرض، إذ رفسني شخص برجله رفسة مزعجة أي ضربني، فانتبهت، فإذا بقيم يشعل قناديل الأقصى، قال: لا تعجب فإن الكل خلقوا من نوره، فخررت مغشيا، فلما أقاموا الصلاة أفقت وطلبت القيم فلم أجده إلى يومي هذا.

ولقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب فقال لي: يا أبا الحسن، أصحبك الله اللطيف الجميل، وكان لك صاحبا في المقام والرحيل.

وإجتمعت بالخضر عليه السلام وقال لي: من قال عقب كل صلاة ثلاث مرات هذا، كتب من الأبدال: اللهم اصلح أمة محمد ﷺ. اللهم فرج عن أمة محمد ﷺ. اللهم ارحم أمة محمد ﷺ. اللهم اغفر لأمة محمد ﷺ. اللهم استر أمة محمد ﷺ.

وقال لي الخضر عليه السلام: يا علي أنا أكون لأصحابك بعدك، فقلت: لا أنا أكون لأصحابي حيا وميتا. وقال رضي الله عنه: بلى.

ورأيت البارحة كأني في جلبة، وأنا في البحر، والرياح قد اختلفت، والأمواج قد تلاطمت، والمركب قد انفتحت، وأشرفنا على الغرق، فأتيت إلى جانب المركب وقلت: أيها البحر، إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لي؛ فالمنة لله السميع العليم، وإن كنت أمرت بغير ذلك؛ فالحكم لله العزيز الحكيم، فسمعت البحر يقول: الطاعة الطاعة. ورأيت السماء قد انفتحت ونزل منها ملكان، أحدهما يقول: موسى أعلم من الخضر، والآخر يقول: الخضر أعلم من موسى، ونزل ملك آخر وهو يقول: والله ما علم الخضر في علم موسى إلا كعلم الهدهد في علم سليمان حين قال: أحطت بما لم تحط به. ففهمت أن الله سلمنا في سفرنا؛ فإن موسى سخر له البحر.

وقد دخل علي الخضر عليه السلام مرة وعرفني بنفسه، واكتسبت منه معرفة أرواح المؤمنين بالغيب، هل هي منعمة أو معذبة، وأفادني عدة مسائل، فلو جاءني الآن ألف فقيه يجادلوني في ذلك، ويقولون بموت الخضر عليه السلام ما التفت إليهم.

اللهم اغفر لأمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم استر أمة محمد، اللهم اجبر أمة محمد، هذا دعاء الخضر، من قاله كل يوم كتب من الأبدال.

[خواص إسم الله الأعظم]

بسم الله الرحمان الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بك منك وإليك استغفرك وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين واعلم يا بني إن أردت كمال الأمور وتمام السرور فاقرأ سورة "يس" عشر مرات بعد صلاة الفجر واتل الإسم الأعظم 70 مرة وسل ما تريد وصفة السؤال أن تقول بعد التلاوة في الوقت المخصوص: اللهم إني أسألك أن تفعل بي كذا وساعة المخصوص هي آخر ساعة من يوم الجمعة وفيه ساعة مجيبة لا يعلمها إلا من من الله عليه بعلمها فمن دعا بذلك في أي وقت كان وكرره سبعين مرة أجيبت دعوته بفضل الله وإن كان له استغراق كان أسرع للإجابة وهذه الأسماء فيها إسم الله الأعظم.

وتذكر إسم الجلالة دبر كل صلاة ستة وستين مرة ثم تدعو بهذا الدعاء: يا الله بإسمط العظيم الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهب لي منه سترا لا تضر معه الذنوب واكتب به في قلبي وامزج سره بلحمي ودمي حتى لا أعصيك ولا أغفل عن ذكرك وحسن عبادتك واشهدني إياك بالإشهاد في الحياة الدنيا ويوم يقوم الإشهاد وانصرني باليقين وأيدني بالروح الأمين واحفظني بسر إسمك الحفيظ من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي فإنك أنت الله الحفيظ المحيط ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإشارة أهل التمكين مما خصوا به أولياء الله تعالى إذا أرادوا حاجة أن يغتسل عشية يوم الخميس ويقعد مستكفأ في موضع صلواته حتى يصلي المغرب ويمكت ذاكرا حتى يصلي العشاء الأخيرة ويصلي ما قدر عليه بعد ذلك فإن كان في آخر سجدة من الوتر يقول ما ئة مرة: يا رب يا رحمان يا رحيم يا حي يا قيوم بك أستغيث فتقضى حاجته بإذن الله تعالى.

وإن من أسرار أولياء الله عز وجل ودلالتهم لكل من أهمه أمر أو نزل به كرب إما بسبب في الدين أو الدنيا مما لابد لهم منه أن يأمره بالتطهر عند المغرب من ليلة الجمعة ويعكف نفسه لله عز وجل في صلاة ولا يكلم أحدا حتى يصلي العشاء الأخيرة فإذا أوتر قال في آخر سجدة من وتره: يا الله يا رب يا رحمان يا رحيم يا حي يا قيوم بك أستغيث يا الله، يقول ذلك مائة مرة ثم يسأل الله تعالى حاجته تقضى ويجتنب أن يدعوا بهلاك مسلم أو مضرة مخلوق.

وهذه الأشكال وقد شاع بأنها إسم الله الأعظم وقسم من أقسام الله المكرم وهذه صورته.. وفيها نظم عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو هذا:

ثلاث عصىً قد صففت بعد خاتم ... على رأسها مثل السهام المقوم

وميم طميس أبتر ثم سلم ... إلى كل مأمول وليس يسلم

وأربعة مثل الأنامل صففت ... تشير إلى الخيرات من غير معصم

وخاتم خير ثم هاء مقوس ... كأنبوب حجام وليس محجم

فذاك هو إسم الله جل جلاله ... إسم عظيم في الكتاب المكرم

عليه من النور البهي جلالة ... إلى كل إنس من فصيح ومعجم

يريك من الآيات ما فيه عبرة ... وأمر جسيم في القضية معدم

فيا حامل الإسم الذي ليس مثله ... ثوق به كل المكاره تسلم

وقيل في الدعاء بها: اللهم إني أسألك بالهاء الموقوفة من إسمك الأعظم وبالثلاث من بعدها وألف المقوم، وبالجيم والميم الطميس الأبتر والسلم، والأربع التي هي كالكف بلا معصم، وبالهاء المشقوقة والواو المعظم، صورة إسمك الكريم الأعظم، أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بعدد كل حرف جرى به القلم وأن تقضي لي حاجتي وهي: كذا وكذا.

وإن أردت كمال الأمور، وتمام السرور، في جميع الأمور، أن تقرأ سورة (يس) عشر مرات بعد صلاة الفجر وقبل صلاة الصبح، واتل الإسم الأعظم: (أحون قاف آدم حم هاء آمين) سبعين مرة وسل ما تريد، وصفة السؤال أن تقول بعد التلاوة في الوقت المخصوص: اللهم اسألك يا من هو (أحون قاف آدم حم هاء آمين) افعل كذا والساعة المخصوصة هي آخر الساعة من يوم الجمعة وفيها ساعة مجيبة لا يعلمها إلا من من الله عليه بعلمها فمن دعا بذلك في أي وقت كان وكرر ذلك سبعين مرة أجيبت دعوته بفضل الله تعالى وإن كان له استغراق كان أسرع للإجابة وهذه الأسماء فيها إسم الله الأعظم.

وكنت يوما جالسا بين يدي الأستاذ، وفي حجره ابن له صغير يلعب، فقلت في نفسي: ليت شعري، هل يعلم الشيخ إسم الله الأعظم. فقام إلي الولد ورمى بيده في طوقي وهزني. وقال لي: وهو في آخر المكان الذي أنا فيه: يا أبا الحسن، ليس الشأن من يعلم إسم الله الأعظم، وإنما الشأن من يكون إسم الله الأعظم، إن سر الله مودع في قلبك. فقال الشيخ من صدر المكان: أصاب وتفرس فيك ولدي يا أبا الحسن.

[خواص الدائرة]

بسم الله الرحمان الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم بك منك إليك، أستغفرك وأتوب إليك، فاغفر لي وتب علي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]، اعلم يا بني أنه لا يحيط بعظم هذه الدائرة الشريفة إلا من أمده الله تعالى بعونه وهداه بتوفيقه، وأبان له من نوره فأسألك اللهم أن تمدني بعونك وأن تمدني بتوفيقك وأن تنور قلبي بنورك لكي أفهم عن أوليائك ما أودعتهم من أسرارك واملأ قلبي كما ملأت قلوبهم من معارفك وهبني كما وهبتهم وإلا فهبني لهم وأنت القادر على أن تجعلني منهم إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

واعلم أن هذه الدائرة ورثتها عن آبائي وأجدادي في الطريق رضي الله عنهم أجمعين، فمن كتبها وجعلها على رأسه لا يموت إلا بنزعها، وهذه الدائرة شعبة من إسم الله الأعظم فمن كتبها على أسكفة بابه لم يدخله سارق ومن خصائصها تكتب للضائع من الحيوان وغيره وذلك بأن تخط بيديك خطات الدائرة في الهواء كالبيكار وتكتبها بأصبعك إلى آخرها وتعلق ذلك للضائع وتشكله بالعقل في وسط الدائرة وتكتبها خارجه فيحفظ ذلك الضائع وقد كانت على رأس إنسان فحضرته الوفاة فما زال نزع الروح حتى مضى عليه أيام فرفعوا الدائرة عن رأسه فطلعت روحه في الحال.

وفيها إسم الله الأعظم الذي إذا دعي له أجاب، وإذا سئل به أعطى، وهذه الدائرة إن أريد بحملها سعة الرزق فإنها توسع، وإن أريد بها قضاء الحوائج فإنها تقضى. ولها تصريف وأحكام في كل ما تريد ولا يمسه أحد إلا ختم الله عليه بالخير والسعادة. وسأبين لك عن بعض ما فيها، فصن ذلك عن غير أهله، وبالله التوفيق، والله الملهم للصواب منه المبدأ وإليه المآب، وهو حسبنا الله ونعم الوكيل.

الإسم الأول: (طهور) الكامل في ذاته المنور لصفاته، للدخول على الملوك كبر الله سبعا، ثم قل طاء، ثم اقرأ ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4] ثم قل حكمت على أنفسهم الطاء، واذكر الإسم سبعا.

الإسم الثاني: (بدعق) بمعنى باقي الذي كل شيء به باق، ذات الأقسام، للدخول على العلماء والقضاة هلل لله سبعا ثم قل باء ثم اقرأ ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس: 58] ثم قل: قلقت عقولهم بالقاف، ثم اذكر الإسم سبعا.

الإسم الثالث: (محببه) مبين الحكم وملقي المنن، لاستجلاب الرزق، سبح الله سبعا ثم اقرأ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: 1] إلى

قوله تعالى: ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 163] ثم قل حاء، فتحت بها باب الاستمطار من الفتاح العليم، ثم اذكر الإسم سبعا.

الإسم الرابع: (صورة) الذي لهيبه وعظمته يأتي كل جبار خاضع، وهو لدفع المضار. ثم تقول: إسم سلام سبعا، ثم تقول: سلبت عن نفسي وعن فلان من كان من عباد الله المؤمنين جميع المضار، ثم اذكر الاسم سبعا.

الإسم الخامس: (محببه) هو إسم العزة، نظير ما تقدم، تقول هنا: الحمد لله سبعا، ثم تقول: عين ملأت قلبي عزة ونورا، ومن شئت من إخوانك المؤمنين، ثم تذكر الإسم سبعا.

الإسم السادس: (سقفاطيس) وهو المعروف بمفتاح الغيب، للفتح على القلب، تقول: يا سلام سبعا ثم تقول: سين، أسألك بالسناء الأعظم أن تعطيني مفتاح قلبي، وتذكر الإسم سبعا.

الإسم السابع: (سقاطيم) وهو إسم الجلالة لتسهيل مفاتيح الكنوز وهو الموصل لرتبة الكمال. وهو أن تقول: يا ألله بألف الوصل وهاء الرفع والمد سبعا، ثم تقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 98] رب أسألك حولا من حولك، وقوة من قوتك. وتأييدا من تأييدك حتى لا أرى غيرك ولا أشهد سواك، ثم اذكر الإسم سبعا.

وكل من علقت عليه هذه الدائرة كان كذلك خصوصا من كتبها ليلة الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم في خرقة حرير بيضاء بمسك وكافور وماء ورد وحرز عليها حرزا من بعد لفها في رق غزال بأدم ورفعها عنده فإن علقت على أي وجع أبرأته كان من حمى أو برد أو رمد أو رياح أو وجع كبد أو وجع قلب أو صداع أو وجع أضراس أو على خوف عدو من أي جنس من الجن والإنس إن كان جبارا عنيدا أو شيطانا مريدا رجيما أمن

وكفاه الله شره وكفى حاملها سائر ما يكره وكفى حاملها سائر الأوجاع وهي حرزا للأطفال والنساء الحوامل وقوة لمن طعن في السن وضعفت قوته فإنها تزيل ضعف القوة عنه وفيها من النفع ما لا يحصى. والدائرةِ هي إسم الله الأعظم ومن كتبها بصدق توجه كانت حرزا من كل شيء وتكتب وتقابل بها الشمس حين طلوعها وتدفن في الأرض فهي أمر عجيب، والله سبحانه أعلم.

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].] وهذه الآية الكريمة اجتمع فيها حروف المعجم بكمالها وكذا في آية آل عمران وهي: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: 154] وليس في القرآن آية حوت كل آية منها حروف المعجم غيرها نفعنا الله بهما وبالقرآن العظيم ومن أكثر من قرأه الآية الكريمة وجبت له إجابة الدعوة والخروج من الضيق إلى السعة ويكون له أعوانا ينصرونه ويعينونه على الخير وقيل يرزق خير الدنيا والآخرة، وهذه صفة الدائرة: يكون في التربيع سواء طولا وعرضا ويكون كتابة الكلمات شطرا واحدا والآية أربعة أسطر من غير طمس لشيء من الأحرف ويكون في وسطها نقطة لطيفة ولا يمكن التصريح بأكثر من هذا خوفا من الجهلة.

وقد أدغمت الكلام في أوله صيانة له عن غير أهله، فاستعن بالله ترشد، ويجب على كل من اطلعه الله على هذه الدائرة وخواصها أن يحفظها ويخفيها من غير أهلها والله أعلم، ومنافعها وسرها فوق ما ذكرته لا نسمح بكتابته بل الغاية للرجال في الصدور، وإياك والشك والتفريط لأن هذا سر من أسرار الله الذي من الله به على أوليائه وفتح على قلوبهم بهمة فاحتفظ عليه ولا تبديه لكل أحد من الناس فإنك كما تصونه وتحفظه يصونك ويحفظك نسأل الله التوفيق إلى أحسن طريق.

[خواص بعض الآيات من الذكر الحكيم]

من أراد أن يسلم من أهوال الآخرة فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1]، إلى آخرها وليقل: اللهم إني أسألك الطاعة والحب لها وكراهة المعصية والبغض لها والثقة بما في يدك والرضى بما قسمت منها، وهبنا للشكر مع الوجد، والرضى مع العفة، والبذل مع الفضل، واجعل ثواب ما ذهب عنا أحب إلينا من منفعة ما يبقى لنا، وهب لنا إخلاصا زائدا، وعملا زاكيا صافيا، ونورا هاديا، فإنك تهدي من تشاء إلى صراذ مستقيم.

وإن أردت الصدق في القول فاعرض على نفسك بقراءة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 97]، وإن أردت الإخلاص في جميع أحوالك فاعرض على نفسك بقراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، وإن أردت تيسير الرزق كالمطر فاعرض على نفسك بقراءة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: 1]، وإن أردت السلامة من شر الناس وغدرهم فاعرض على نفسك بقراءة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: 1]، وقل: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم. ومن أراد أن يسلم من أهوال الدنيا والآخرة، فاعرض على نفسك بقراءة: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1] إلى آخرها. وإن أردت الستر من الناس، فداوم على قول: اللهم استرني بسترك الجميل الذي سترت به

نفسك فلا عين تراك. ومن قرأ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ أو قرأ سورة: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] كفي هم الظاهر، ومن قرأ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 97]، كفي هم الباطن.

وهي رقية لكل وجع إذا تليت عليه وإذا مرض أحد عوذه بالمعوذتين فإذا كان مرض الموت انفث عليه والنفث النفخ دون ريق ومن قرأها عند نومه أمن من الإنس والجن والوسواس ومن كتبها وعلقهما على الصغار حفظوا من الجن والهوام ومن قرأهما عند الدخول على السلطان يأمن من شره بقدرة الله تعالى والله أعلم.

ومن قرأ: ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ فتنزيل جليل وهو ذكر جليل يصلح للملجئين في الدعاء فإنه يسرع إليهم الإجابة وأما القادر والمقتدر والقوي والقائم فذكر يصلح لأرباب الأعيان والحرف الثقيلة ولو علم سره من يعاني الأثقال واستدامه لم يحس بثقل ولا يتعب فيما يتعاطاه البتة ومن نقشها في فص خاتم ويختم به أدرك ذلك لوقته ومن ضعف عن شيء وعلقه عليه وذكره قوي لوقته وقس على هذا النمط ما تشاء كله ترى سره إن شاء الله وإذا توجهت إلى شيء من عمل الدنيا والآخرة فقل: حسبنا الله، سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون، يا قوي، يا عزيز، يا عليم، يا قدير، يا سميع، يا بصير.

وكنت كثيرا ما أداوم على قراءة آية الكرسي وخواتم البقرة من قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، ثم أوائل سورة آل عمران إلى قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 6]، مع الآيتين: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 26- 27]، اللهم إني أسألك صحبة الخوف، وغلبة الشوق، وثبات العلم، ودوام الفكر، ونسألك سر الأسرار المانع من الأضرار؛ حتى لا يكون لنا مع الذنب قرار، واجتبنا واهدنا إلى العمل الصالح بهذه الكلمات التي بسطتها لنا على لسان رسولك، وابتليت بهن إبراهيم خليلك: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124، فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح، وأسألك بما سألك به أئمة المتقين، اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي وارحمني وتب علي يا أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 87- 88]، والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وإذا دخلت على جبار أو متكبر فقل: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 27] إن ربي بكل شيء عليم. وإن أردت كثرة الخير والرزق فداوم على قراءة: ألم نشرح وقراءة سورة الكافرون. وإن أردت الستر من الناس: فداوم قول: اللهم استرني بسترك الجميل الذي سترت به نفسك فلا عين تراك. وإن أردت عدم الجوع فداوم على قراءة على قراءة: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ﴾ [قريش: 1- 2].

وإذا توجهت إلى شيء من عمل الدنيا والآخرة فقل: يا قوي، يا عزيز، يا عليم، يا مدبر، يا قدير، يا سميع، يا بصير. وإذا ورد عليك مزيد من الدنيا أو الآخرة فقل: ﴿حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: 59].

ويقرأ للعين: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: 51].

وإن خفت على تجارتك أو مالك فاكتب سورة الشعراء: ﴿طسم. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ..﴾، وعلقها في موضع تجارتك أو مالك يكثر البيع والشراء.

[خواص حزب البحر]

حزب البحر حزب عظيم القدر، حفظوه لأولادكم، والله ما رتبت منه كلمة إلا بإذن من ربي وأمر من رسول الله ﷺ، والله لقد أخذته من في رسول الله ﷺ حرفا بحرف، تلقته منه تلقينا من الاستفاضة الرحمانية والألطاف الربانية، وقال لي: احتفظ به فإن فيه اسم الله الأعظم. واجتمع في قراءته معي أربعون من الأبدال مواجهة الكعبة، ومن حفظه فهو من أصحابي، ومن قرأه كان له ما لنا، وعليه ما علينا وكان داخلا في شفاعة جدي رسول الله ﷺ. ويقرأ بعد صلاة الصبح ولا يتكلم حال تلاوته، وله سر عظيم، والله إن في حزبي هذا اسما يمشى به على الماء، ويطار به في الهواء والسماء، ولو كتب على ريشة وطرحت في البحر؛ لانشق الماء إلى الأرض ومضى الاسم إلى قعر البحر.

وهو العدة الوافية، والجنة الواقية، التي فيها شفاء القلوب، وتفريج الكروب، وما قرئ في مكان إلا كان سالما من الآفات، محفوظا من حوادث العاهات، ولو قرئ حزبي هذا على بغداد لما أخذت، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية، ولأهل النهايات أنوار صافية، وما قرئ على مريض إلا شفي، ولا خائف إلا أمن، ولا على ملهوف إلا زال عنه لهفه، فافهم وتدبر، فليس للعقل مجال في هذه الأسرار، ولكنها معروفة عند الرجال، فإن

حال أرباب الكمال منهم لا يدخل تحت المقال، فرحم الله امريء أمسك اللسان، واستغرق في مقام الإحسان، وإن لم يكن فلا أقل من التسليم لأهل هذا الشأن الجسيم.

ومن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله دعوته، وقضى الله حوائجه، وأزال غمه، وفرج كربته، ورفع بين الناس قدره ومنزلته، ويكون مهابا عند أعين الناس، وشرح بالتوحيد صدره، وسهل أمره، وكفاه شر الإنس والجن، وزاد أيضه في أذنيه وسهل أمره الدنيوي والأخروي، وحفظه الله من شر الثقلين، وأمنه من طوارق الليل والنهار، ولا يقع عليه بصر أحد من خلق الله تعالى إلا أحبه، وأجله وأكرمه، وانقاد إلى كلمته.

ومن قرأه عند دخوله على جبار أمن من شره ومكره، ومن قرأه عقب كل صلاة أغناه الله سبحانه وتعالى عن خلقه، وأمنه من حوادث الدهر، ويسر عليه أسباب السعادة في جميع حركاته وسكناته، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله محبته في قلوب الناس. ومن قرأ سورة الحمد سبع مرات وسورة قريش إحدى وعشرين مرة ثم قرأ هذا الحزب ثلاث مرات في أية حاجة قضيت كائنة ما كانت.

وإذا أتى جيش عظيم على حصن وحصره فإذا قرأه أحد من أهل الحصن لم يظفروا بهم وأمن الحصن، وإذا قرأه حين الدخول على الظالم عند إرادته الظلم كان آمنا من شره، ومن قرأه بكماله فليقرأه عقب صلاة الصبح يس عشر مرات وبعده هذا الدعاء سبعين مرة فإن الله تعالى يوصله إلى مراده البتة فليعلم، وإذا قرأه أحد في أول ساعة وآخر ساعة من يوم الجمعة على الماء في إناء طاهر ثم غسل وجهه بذلك الماء ألفه الله تعالى في جميع القلوب فإذا كتب هذا الحزب في تلك الساعة على قرطاس طاهر بخضوع القلب وجعل مكتوب معه أمن من جميع البلايا والآفات والعاهات في جميع الحركات والسكنات وأزال اضطرابه ويأمن من أموره ويقضي الله حوائجه، وإذا كتب الدعاء على صدر مدينة أو حصن أو جدار بيته أمن كلها من شرور النيران وحوادث الزمان والبيت الذي حفظه

فيه هذا الدعاء صار آمنا بإذن الله تعالى من السرقة وشر الجن ونزول الصاعقة، ومن كتبه على شيء من ماله وعقله كان ذلك منصورا بإذن الله تعالى من جميع البلايا البتة، ومن داوم عليه نوره الله تعالى بنور الولايات وشرح عليه أبواب الخيرات وثبته على الطاعات ونزه فكره عن رزائل الشهوات ولا يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه فليتق الله فاعله عما لا يرضاه.

[خواص حزب البر]

من قرأ حزب البر هذا له ما لنا وعليه ما علينا وكان داخلا في شفاعة جدي رسول الله ﷺ. والله ما وضعت فيه حرفا إلا بإذن من ربي وأمر من رسول الله ﷺ.

وحزب البر لا يحفظه شقي. ومن حفظه فهو من أصحابي واقرأه مرة واتركه مرة.

وإنه أمان للإقليم الذي يقرأ فيه، ولو قرئ ببغداد ما أخذت، واجتمع في قرائته معي أربعون من الأبدال في مواجهة الكعبة المشرفة.

[خواص خاتم النبوة]

بسم الله الرحمان الرحيم اعلم يا بني أنه لا يحيط بهذا العلم الشريف إلا من ختم الله عليه بخاتمة النبيئين عليهم الصلاة والسلام وهذا الخاتم له تصريف وأحكام في كل ما تريد وهو خاتم النبوة ولا يمسه أحد إلا ختم الله عليه بالخير والسعادة وعلق عنه باب الفقر ودفع عنه جميع الشرور وعافاه من جميع الآفات وحفظه من جميع المكروهات وأمنه من جميع المضرات من الإنس والجن وبعد فهذا التصريف تكتبه بالمسك والزعفران وماء الورد وتصم سبعة أيام ولا تفطر إلا على الدعوة والخاتم تكتبه وتبخره

بالجاوي والعود الرطب وتفطر عليهم فإنه يكون ما ذكرنا وهذا الخاتم المبارك الشريف القدر والجاه فاحتفظ عليه وأذن به وهذه صفة الخاتم الذي ذكرنا فافهم.

وهذه كيفية التصريف لهذا الخاتم المبارك الشريف العظيم القدر والجاه وكيفية العمل بها وخدمتها إن أردت أن تدعوا على من ظلمك من الجبابرة الطاغين المتمردين الظالمين فاكتب الخاتم والدعوة وعلقها عليك فإذا دخلت عليه فقل: الله أكبر سبع مرات: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4]. طاء حكمت على أنفسهم الطاء طهور سبع مرات وتكتب طهور على ظهر الحرز بعطية وتبخره وهي هذه.

وإذا أردت أن تدخل على القضاة فاكتب الخاتم مع الدعوة في حرز وعلقها عليك فإذا دخلت عليهم فقل: لا إله إلا الله سبع مرات سلام قولا من رب رحيم سبع مرات قلقت قلوبهم بالباء وأنت تحرك إبهامك مع السبابة وتقول: بدعق سبع مراة وتعمل حاتم بدعق على ظهر الحرز فافهم ذالك وبالله التوفيق.

وإذا أردت جلب الرزق فاكتب الخاتم الكبرى واكتب عليها الدعوة دائرة بها وعلقها عليك وقل سبحان الله سبع مرات لله ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 1]. إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 265]. فتحت أبواب الاستمطار من الفتاح العليم مجيبة سبع مرات وتعمل خاتم مجيبة على ظهر الحرز كما تراه وبالله التوفيق.

وإذا أردت أن تمنع المال من اللصوص وتحفظ أهلك وأولادك وغيرهم فاكتب الدعوة والخاتم واحملها عليك وقل يا سلاك سبع مرات ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: 1]. سكنت بالسين على نفسي وعن أهلي وأولادي ومالي وما لله علي من جميع النعم جميع المضار سورة سبع مرات وتكتب على ظهر

الحرز خاتم سورة بعد أن تبخره بالبخور الطيب وتعلقه عليك تبلغ مقصودك وهذه صفة الخاتم المذكور فافهم ذلك وبالله تعالى التوفيق.

وإذا أردت أن تجلب قلوب المخلوقين ومحبتهم إليك أجمعين فاكتب الخاتم الكبير ودور عليه الدعوة وبخره بالبخور الطيب وعلقها عليم وقل: الحمد لله سبع مرات ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165] عيني ملئت قلبي عزة ونورا محبته على ظهر الخاتم وتعلقه عليك وهذه صفة الخاتم محبته بالصفح يسراه.

وإذا أردت أن تطلع على الغيب إلا الله تعالى بذالك ببركة أسماء الله تعالى فاكتب الخاتم الكبير ودور عليه الدعوة وتبخرع بالبخور الطيب وعلقها على نفسك وتقول: يا سلام سبع مرات ﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9] سألتك بالسناء الأعظم أعطني مفاتح الغيب سقفاطيش وتبخره بالبخور الطيب وهو هذا الخاتم المبارك وتحمله معك فإنه عجيب لما ذكرنا وبالله التوفيق.

وإذا أردت الاطلاع على علم الجن فاكتب الخاتم الكبير في حرز ودور به الدعوة وبخره بالبخور الطيب وقل الله الله سبع مرات ﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 98] رب أسألك حولا من حولك وقوة من قوتك وتأييدا من تأييدك حتى لا أرى غيرك ولا أشاهد سواك ثم تقول: سقفاطيم سبع مرات وتكتب على ظهر الحرز وهي هذه. فافهم وإياك والغلط لأن الغلط يبطل العمل وإن النية هي أصل العمل كله في كل شيء تريده. قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» فعليك بتصحيح نيتك يا أخي تبلغ مقصودك وتظفر بمرغوبك وإياك والشك والتفريط لأن هذا سر من

أسرار الله الذي من الله به على أوليائه وفتح على قلوبهم بهمة فاحتفظ عليه ولا تبديه لكل أحد من الناس فإنك كما تصونه وتحفظه يصونك الله ويحفظك نسأل الله تعالى التوفيق إلى أحسن طريق إنه على ما يشاء قدير لا ربا غيره ولا خيرا إلا خيره وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا الله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

[خواص ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾]

بسم الله الرحمان الرحيم وبعد الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ سيد الأنام القائل ﷺ: إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]. وقد روى عبد الله بن يزيد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة غداة، وجد الله عنده مكفيا وعليه راضيا خمسا للدنيا وخمسا للآخرة: حسبي الله لديني، حسبي الله لما أهمني، حسبي الله لمن بغى علي، حسبي الله لمن حسدني، حسبي الله لمن كادني بسوء، حسبي الله عند الموت، حسبي الله عند المسألة في القبر، حسبي الله عند الميزان، حسبي الله عند الصراط، حسبي الله، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: من قال ثلاثا حين يصبح وثلاثا حين يمسي: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] لم يزل في أمان الله تعالى وستره وكفايته ما لم يخرق ذلك بكبيرة. وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قال العبد حسبي الله سبع مرات قال الله تعالى لأكفيه ذلك صادقا أو كاذبا».

واعلم، وفقنا الله وإياك إلى طاعته وفهم أسراره، أن هذه الآية الشريفة لها خواص كثيرة وفضائل شهيرة لا يعلم بحقيقة ما احتوت عليه من الأسرار إلا الله تعالى وليست تحتاج إلى إرصاد ولا إلى طالع ولا إلى وقت، بل من كتاب الله تعالى. فأي وقت بدا لك افعل فيه ما أردت من خير وشر، فإنها سيف مسلول وقد ذكرت لهذه الآية الشريفة من الخواص المخزونة والدرر المكنونة ما لم يأت له أحد بمثال ولا يصل لهذا المنوال. وقد رصعتها بالجواهر المصونة حتى أدركتني من الله المعونة، وألقيت في هذه الرسالة السر المكنون والعلم المخزون وأثبت فيها القول الصحيح وأبرزت منها الرمز والتلويح، فأقول حسبي الله ونعم الوكيل.

ثم اعلم أن الأسرار لا تدرك إلا بتوفيق الله تعالى، وقد اندرست معالم المعارف العلويات وانمحت إشارة سبيل الأسرار القدسيات، فإذا سمعوا الحقائق ودبت إليهم علوم الطرائق فكلمهم من مكان بعيد ومن وراء حجاب جديد، فهذا سبب كتم الأسرار ومنعه تلك القوم البوار، وهذا العلم الرباني والسر الرحماني لا يعتريه شياطين الإنس فلأنه علم مكنون وسر محتوم مخزون لا يمسه إلا المطهرون، وها أنا أشرع إن شاء الله تعالى بالعفو الحميد والقديم المجيد في ترتيب قوانين هذا الكتاب وتهذيب براهين هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب، فأقول وهو حسبي ونعم الوكيل.

واعلم يا أخي، وفقك الله لصالح القول والعمل وأبعدك عن أهل الغواية والكسل، من أراد أن يكون الله حسيبه ووكيله في جميع أموره، ويكفيه شر جميع خلقه ويؤيده بنصره ويلقي محبته في قلوب عباده، ويغنيه الله من سعة فضله، فليقل في كل يوم وليلة ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] بعدد حروفها وهو أربعمائة وخمسون. ومن قرأ الآية في كل ليلة ويوم عددها المتقدم، ثم قال بعد العدد المذكور: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: 17] ست مرات. ثم في سابع مرة يقول: ﴿وَاتَّبَعُوا

رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 17] إلا كان في حرز الله المنيع وفي ودائعه التي لا تضيع، وكان ملطوفا به في حركاته وسكناته وحفظ من جميع المؤذيات بإذن الله تعالى.

فداوم وفقك الله على تلاوة: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] العدد المذكور تفز مع الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وإذا أردت دفع الملمات سريعا تتلو الآية المذكورة ثم تقول بعد فراغك من العدد ومن الآية الشريفة: عزيز كاف يا قوي يا لطيف أربعمائة وخمسين مرة، ففي ذلك سر مصون، من داوم على هذا العمل والنمط نال ما أراد من النصر على الأعداء وأوقع الله سبحانه وتعالى محبته في العالم وكان عزيزا بين خلقه.

وكيفية قراءتها على هذا النمط، أن تقول بعد البسملة الشريفة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 173- 174]. ثم تقول: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] خمسين مرة، ثم بعد الفراغ من تلاوة الآية خمسين مرة تتلوا الآية: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 62- 64]. ثلاث مرات، ثم تعود إلى تلاوة الآية على النسق المتقدم من التلاوة خمسين مرة تتلوها مائة مرة، ثم تتلوا آية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 62] إلى آخر ما ذكر في أول مرة من العمل ثلاث مرات. تفعل هكذا عند تمام كل مائة حتى تتم عدد الآية الشريفة على النحو الذي تقدم ما استطاع يرجع العمل مرتين أو ثلاثا

بالنهار ومثله بالليل، وإن جعل ذلك كله بالليل كان أجود وأسرع لقضاء الحاجة فما يمضي عليه مدة من الزمن إلا اتصل بمقصوده، وإذا كتب هذا الجدول في رق وحمله كان أحسن في نجاح مأربه.

ومن أراد العز الدائم والكفاية والقوة واللطف عند الشدائد فعليه بتجديد الوضوء وصلاة ركعتين لله عز وجل ثم يقرأ البسملة الشريفة أربعمائة وخمسين مرة. ثم يقرأ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] أربعمائة وخمسين مرة ثم يصلي على النبي ﷺ مثل ذلك ثم يقول يا عزيز يا كافي يا قوي يا لطيف مثل ذلك، وعند رأس كل مائة يقول ثلاث مرات يا عزيز أعزني يا كافي أكفني يا قوي قوني يا لطيف ألطف بي في أموري كلها والطف بي فيما نزل. ويذكر حاجته تقضى ولا يكن في دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا عن ربك وليكن همك مناجاة مولاك فإنه يعلم السر وما أخفى.

ومن أراد أن يأتي له دراهم من غيب الله تعالى فليتل في كل ليلة الآية الشريفة أربعة آلاف مرة وخمسمائة مرة ثم يذكر بعد الآية الشريفة هذه الأسماء ثلاثمائة مرة وثلاث عشرة مرة يلازم على ذلك حتى يفتح له. ومن لازم باب الحق سبحانه وتعالى حاشا أن يرد خائبا تعالى جناب ربنا سبحانه عن ذلك علوا كبيرا، ومن قرأ كل إسم بحدته بالعدد الواقع عليه بحيث يقول بعد الفراغ من تلاوة الآية والأسماء المذكورة: يا كافي اكفني نوائب الدنيا ومصائب الدهر وذل الفقر، اللهم يا غني أغنني بغناك عمن سواك وبجودك وفضلك عن خلقك، فإنك قلت وقولك الحق المبين: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا، اللهم يا مغني أسألك غنى الدهر إلى الأبد، اللهم يا فتاح افتح لي باب رحمتك وأسبل علي ستر عنايتك وسخر لي خادم هذه الأسماء بشيء أستعين به على معايشي وأمر ديني ودنياي وآخرتي وعاقبة أمري وسخره لي كما سخرت الريح والإنس والجن والوحش والطير لنبيك سليمان بن داود عليهما السلام، وبأهيا

شراهيا أدوناي اصباؤت آل شداي يا من أمره بين الكاف والنون ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 82-83].

وإذا أخلص النية والعمل فإن خادم الأسماء يأتي له بنفقة زائدة وربما وجدها في كل صباح عند رأسه وتكتب هذه الأوفاق في أطلس أخضر ويحمل لزيادة النجاح والإسراع في قضاء الحوائج.

تقرأ هذا الاسم العدد الواقع عليه. ثم تدعوا بهذا الدعاء سبع مرات فما سأل الله شيئا إلا أعطاه إياه خصوصا ما كان متعلقا بأمر معايش الدنيا الذي هو أعلا كل بلاء ومن قرأ الآية الشريفة المذكورة العدد الواقع عليها بعد كل صلاة ثم يقول الأسماء المتقدمة كل إسم بحدته يقرؤه العدد الواقع عليه بعد ذلك ثم يقول بعد فراغ الذكر من كل إسم ما يليق من الدعاء مثل الكافي، يقول: اللهم يا كافي اكفني إلى آخره، اللهم يا غني الدعاء المتقدم إلى آخره، اللهم يا مغني الدعاء إلى آخره، اللهم يا فتاح الدعاء إلى آخره يقول دعاء كل إسم بعد ذكر عدده الواقع عليه يقول ذلك الدعاء سبع مرات. من داوم على ذلك، فإن الأمور تقضى وتتهيأ له وتتيسر له بسهولة حتى لا يحتاج إلى أحد من أبناء الدنيا.

وإذا أردت جلب القلوب واجتماع العامة إليك، اقرأ الآية عددها دبر كل صلاة واقرأ دعوة التسخير 3 مرات وعند السحر تقرأ الآية عدد 900 والدعوة ثلاثا ترى عجبا ومن صام سبعة أيام عن كل ذي روح أو ما خرج منها وتطيب وبخر محله عند القراءة في أوقات الصلاة ثم قرأ الآية دبر كل صلاة 1350 مرة ثم يقرأ الدعوة عدد 3 ويكثر الصلاة على النبي عليه السلام والاستغفار فيزول الوهم والدهشة والخيالات الفاسدة التي تحصل للمرتاض وفي السابع يوم يحضر له خادم هذه الآية في شبه سلطان ويبدؤه بالسلام فيقوم المرتاض ويرد سلامه وليقل أجاب الله دعوتك كما أجبت دعوتي وأريد منك

الساعة أن تأمر واحدا من جنودك يمتثل أمري ويعينني على حوائج الدنيا والآخرة ولك علي عهد أن لا أصرفه في معصية بل في طاعة الله وطاعة نبيه عليه السلام فإذا أتبتك الله وقلت ذلك فإنه عليك بالبشاشة ويحثك على تلاوة الآية في كل وقت وصيام الاثنين والخميس وينهاك عما نهى عنه الشارع ويأمرك بطاعة الله والشفقة على خلقه والرأفة بالمساكين والنفقة على المحتاجين فإذا أجابه المرتاض لذلك فإنه يعطيه سيفا له نور ساطع يضيء به المحل وعليه سطر مكتوب ويفهمه قراءته فيكون عنده للشدائد ويعطيه خاتما أبيض عليه خطوط مكتوبة يسأله عن قراءتها فيعلمه بها فيجعلها في حرير أخضر في محل مرتفع فإذا أراد الدخول على أي ملك أو وزير يقضى له كل حاجة أرادها ولا يلبسه إلا في وقت الحاجة وعليه بالتقوى فإنها أساس كل شيء والله أعلم.

اعلم وفقك الله تعالى أنك إذا أردت خمود نار الأعداء ونكالهم وتمريضهم وتفريق جمعهم حتى تحل بهم البلايا وربما ينعدموا بالاصالة من الوجود تصوم ثلاثة أيام أولها الثلاثاء فإذا كان الليل بعد نيام الناس تقوم وتتوضأ وتصلي ركعتين تقرأ في الاولى الفاتحة والآية عدد 45 مرة ثم تأتي بالركعة الثانية تقرأ فيها ما تقدم فإذا سلمت تجلس ذليلا وتقول: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ عدد 450 ثم تقرأ هذه الآيات عدد 3 وهي: يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ. وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ. كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 19- 22] ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: 17] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35] وسورة الفيل ثم تصلي ركعتين تقرأ فيهما ما تقدم في الركعتين الأوليين فإذا سلمت تجلس بجلوسك أولا وتتلو الآية العدد ثم تذكر الآيات المتقدمة عدد 3 ثم تدعو الدعوة الآتية عدد 3 تفعل ذلك كل ليلة وتنظر ماذا يحل بالاعداء من البؤس والتشتيت ومن أراد قمع الجبابرة والظلمة وأهل السوء والمفسدين فليصل في جوف الليل ركعتين الأولى

بالفاتحة والآية يقرؤها عدد 450 مرة ويأتي بالركعة الثانية ويقرأ فيها كسابقتها ثم يدعوا بالدعوة ثلاثا ثم يصلي ركعتين كالمتقدمتين والآية والدعوة كذلك ثم يصلي ركعتين بأم القرآن والآية لكن يقرأ الآية عدد 150 فإذا سلم يقرأ الآية عدد 150 والدعوة ثلاثا ويدعوا على الظالم فما تمضي بقاية قليلة إلا وقد هلك وتصور حال القراءة مطلوبك بين عينيك وتنوي هلاكه.

والأخف منه إذا أردت أن تسلط على الظالم أي نوع من العذاب ترصد يوم السبت قبل طلوع الشمس بعد صلاة الفريضة وتقرأ الآية ألف مرة في محل خالي ثم تقول: بعد تلاوتك الآية عدد 60 مرة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ. قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 59- 60] خذوا كذا وكذا أحذ عزيز مقتدر فبالله ورسوله عليه السلام ثم بكم أجيبوا بالذي خلقكم من نوره وأسكنكم في سمائه وأدناكم من حجابه وقربكم من عرشه وأمدكم بنور هشعشع ساطع لامع تخطف به الأبصار وجعل بأيديهم حرابا من نار المغبوط بحبكم عليكم بالكلمات المقدمات بأخدام هذه الأسماء والآيات اقلعوا مع فلان بن فلانة كذا فإنه يكون.

فائدة جليلة: من قرأها على ظالم أخذ لوقته لكن ينبغي للعامل أن يهرب من ظالمه إلى الله أولا وثانيا وثالثا يقول: قد هربت منك إلى الله ربي ثلاثا فإن لم يجد خلاصا فليسل عليه سيفا من هذه الدعوة إذا كان الظالم مستحقا وكيفية العمل به أن تقوم في جنح الليل وتصلي ركعتين تقرأ في الأولى والثانية الفاتحة مرة والآية عدد 150 والآية التي تليها عدد 3 وقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: 19] وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ

الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: 17] والآية: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35] وسورة الفيل ولها 7 طرق: الطريقة الأولى: عدد القراءة في الصلاة وبعد الصلاة 150 وذلك بعدد سلطان. الطريقة الثانية: إذا صليت صلاة الفجر وبعد الفراغ من صلاة الفريضة جماعة تقرأ الآية عدد 150 وذلك بعدد قولك: سيف باتر وهو موافق للعدد الأول ثم تقرأ الآيات عدد 3 وهي: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: 39] اللهم اغش على كذا وكذا النار في قلبه وسائر بدنه ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: 51] ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: 19]. الطريقة الثالثة: إذا كان وقت الزوال وصليت الظهر مع الجماعة تجلس في خلوتك وتقرأ الآية ثلاثمائة إلا واحدا وذلك بعدد قولك: سيف ماحق ثم تدعوا بهذه الآيات ثلاثا تقول: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 19- 20] ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ. فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: 70- 72]. الطريقة الرابعة: إذا كان وقت العصر وصليت تجلس وتقرأ الآية الشريفة عدد 356 وذلك بعدد قولك: سيف مسلول ثم تقرأ الآيات ثم تقول: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 41] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 5]. الطريقة الخامسة: فإذا صليت المغرب تجلس وتقرأ الآية 641 وذلك بعد قولك: سيف قاتل ثم تقرأ هذه الآيات ثلاثا تقول: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29] ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: 13] ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ

إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: 42]. الطريقة السادسة: فإذا صليت العشاء تجلس وتقرأ الآية 248 مرة وهو عدد قولك: سيف محتد ثم تقرأ هذه الآيات ثلاثا تقول: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 49] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: 7-8]. الطريقة السابعة: إذا كان بعد الثلث الأول من الليل تجدد وضوءا وتصلي 6 ركعات تقرأ في الأولى بأم القرآن وبالآية عدد 753 مرة وذلك بعدد قولك: سيف باتر ثم تقرأ الآيات عدد 3 تقول: بسم الله الله أكبر عدد 3 ثم تقول: احرق كذا وكذا بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: 35] ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: 103- 104] ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 55] ﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: 8- 10] ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102] ﴿فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [غافر: 21] وتكون فعلت ببقية الركعات كفعلك في أول مرة فإذا فرغت من قراءة الآيات ثلاثا تبتديء بقراءة الدعوة عدد 3 مرات وهي هذه الدعوة:

بسم الله الرحمان الرحيم جبروت قهرك وسرعة إعانة نصرك وبغيرتك لا تهان حرماتك وبحمايتك لمن احتمى بآياتك نسألك يا الله يا سميع يا قريب يا مجيب يا سريع يا جبار يا منتقم يا قهار يا شديد البطش يا من لا يعجزه قهر الجبابرة ولا يعظم هلاك المردة من الملوك والأكاسرة أن تجعل كيد من كادني في نحره ومكر من مكر عائدا عليه وحفرة من حفر لي واقعا فيها ومن نصب لي شبكة الخداع يا سيدي مساقا لديها ومصادا فيها وأسيرا لديها اللهم بحق كيعص اكفنا هم العدا ولقهم الردا واجعلهم لكل حبيب قدا وسلط

عليهم عاجل النقم في اليوم والغدا اللهم بدد شملهم اللهم فرق جمعهم اللهم اقلل عددهم اللهم قل حدهم اللهم اجعل الدائرة إليهم اللهم اخرجهم عن دائرة الحلم واسلبهم مدد الإمهال وغل أيديهم واربط على قلوبهم ولا تبلغهم الأمال اللهم مزقهم كل ممزق مزقته لأعدائك انتصارا لأنبيائك ورسلك وأوليائك اللهم انتصر لنا انتصارك لأحبابك على أعدائك اللهم لا تمكن الأعداء فينا ولا تسلطهم علينا بذنوبنا حم 7 حم الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون حم عسق حمايتنا مما نخاف اللهم اعطنا أمل الرجاء وفوق الأمل يأمن هو ثلاثا يا من بفضله لفضله نسأل أسألك العجل العجل إلهي الإجابة الإجابة يا من أجاب نوحا في قومه يا من نصر إبراهيم على أعدائه يا من رد يوسف إلى يعقوب يا من كشف ضر أيوب يا من أجاب دعوة زكريا يا من قبل تسبيح يونس بن متى نسألك بأسرار أصحاب هذه الدعوات المستجابات أن تتقبل ما به دعوناك وأن تعطينا ما سألناك أنجز لنا وعدك الذي وعدته لعبادك المؤمنين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين انقطعت آمالنا وعزتك إلا منك وخاب رجاؤنا وحقك إلا فيك وان أبطأت غارة الأرحام وابتعدت فاقرب الشيء منا غارة الله يا غارة الله جدي السير مسرعة في حل عقدتنا يا غارة الله عدت العادون وجاروا. ورجوا الله مجيرا. وكفى بالله وليا. وكفى بالله نصيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سلام على نوح في العالمين. فما تقوم بعد ملازمة هذه الطرائق إلا وحاجتك مقضية.

الطريقة الثامنة: في التعطيف والتأليف وفعل الخيرات: تقرأ الآية عدد 450 بالتعطيف حتى لا يكاد المطلوب يخرج عن طاعة الطالب وكيفيته أن تقوم في جوف الليل وتتوضأ وتصلي 6 ركعات تقرأ في كل ركعة الفاتحة والآية العدد المعلوم فإذا سلمت تجلس وتقرأها عدد 950 مرة وفي حال قراءتك للآية تصور المطلوب بين عينيك كأنك تجذبه بالآية ثم تقرأ هذه الآيات 7 وهي: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165] ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ

إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63] ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: 39] تقرأ الآيات هذه عدد 7 وتعود لقراءة الآية عددها ثلاثا.

[الخواطر]

كل علم يسبق إليك فيه الخواطر، وتتبعها الصور، وتميل إليه النفس، وتلتذ به الطبيعة فارم به، وإن كان حقا، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله، واقتدي به، وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده، وبالأئمة الهداة المبرئين عن الهوى، ومتابعته تسلم من الشكوك، والظنون والأوهام والدعاوي الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه، وماذا عليك أن تكون عبدا لله، ولا علم، ولا عمل، وحسبك من العلم العلم بالوحدانية، ومن العمل به تأدية الفرض مع محبة الله، ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة الصحابة رضي الله عنهم، واعتقاد الحق للجماعة.

وحقيقة المحبة: متابعة المحبوب في جميع الأحوال؛ أنظر قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]. وقال رجل: متى الساعة يا رسول الله؟، قال: «ما أعددت لها؟»، قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «والمرء مع من أحب، ولو قصر في العمل» (البخاري: 5/ 2283 ومسلم: 4/ 2034).

وكل خاطر وحركة تمر على القلب ولا تثبت لها فهي برازخ الإيمان ومستودع الفضل والامتنان لعبده، ليفيده بما استقر وثبت من الإحسان ولو تركك وإياها لأدتك إلى محل الخسران بدليل التناجي بالإثم والعدوان ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: 9].

وقرأت سورة الإخلاص والمعوذتين ذات ليلة فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 4-6] رأيت بعد ذلك يقال لي: في شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك يذكرك أفعالك السيئة، وينسيك أفعالك الحسنة، ويكثر لديك ذات الشمال، فيذكر أفعالك السيئة، ويقلل عندك ذات اليمين؛ ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه إلى سوء الظن بالله ورسوله، فاحذرك هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد وأهل الورع والاجتهاد. وقال لي: إذا أردت أن تسلم من ذلك فلا تدبر لغد ولا بعد غد.

وإذا كثرت عليك الخواطر والوساوس، فتوجه بقلبك لشيخك، فإن لم يزل فإلى ربك، وقل: سبحان الملك الخلاق ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: 19- 20].

وإن أردت أن تسلم من الوساوس فلا تدبر لغد ولا لبعد غد. وسئل في وسائل الشيطان لعنه الله فقال: من الصورة يكلمك ومن المثال يخاطبك ومن الخواطر ينبهك وبالوساوس يحركك وبحق الحقيقة يستولي في حق الكفار. وقيل لي: اجعل خاطرك يا سيدي معنا، فقلت: إن خواطرنا مترتبة على حسن الظن منكم بنا.

ومن أراد صرف خاطره فليضع يده على قلبه وليقل: سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال سبع مرات وهو يقول: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: 19- 20].

[الخوف]

أوصاني أستاذي رضي الله عنه: أن خف من الله خوفا تأمن به من كل شيء، واحذر قلبك أن يأمن الله في شيء، فلا معنى للخوف من شيء، ولا للأمن من الله في شيء، لأنه عند كل شيء ومع كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، وقريب من كل شيء، ومحيط بكل شيء، تعالى عن الحدوث والأماكن، وعن الجهات وعن المحبة والقربة بالمسافة، وعن الدور بالمخلوقات. والحق الكل بوصف الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما هو عليه.

وإن مما تبين نفعه ووقف على بركاته، لمن كان عليه خوف من سلطان جائر، أو طلبه أحد بغير حق، أو روعه ظالم أو هاجه فزع، أو ضلت به طريق أن يقرأ سورة "يس" ثم يقول: بسم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، بسم الله الذي لا إله إلا هو ذو الجلال والإكرام بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم اللهم إني أعوذ بك من شر فلان وفلانة فإنه يكفي ذلك. واعلم أنه لو طبقت السماء طبقا واشتعلت الدنيا بالفتن ثم أطاع العبد ربه في نفس واحد يصدق اللجأ نجاه الله نجاة بقدر ما أخلص.

وكنت في سياحتي فبت ليلة في موضع كثير السباع فجعلت السباع تهمهم علي إلى الصبح، فما وجدت أنسا كتلك الليلة، فجلست على ربوة عالية. وقلت: والله لأصلين على رسول الله ﷺ، فإنه قال: «من صلى علي مرة صلاة؛ صلى الله عليه بها عشرا»، فإذا صلى الله تبارك وتعالى علي عشرا أبيت في أمن الله تعالى. ففعلت ذلك فلم أخف شيئا، فخطر لي أنه حصل لي من مقام الأنس بالله شيء، فلما كان عند السحر توجهت إلى غدير ماء لأتوضأ لصلاة الصبح، وكان بإزائه حجل فأحست بي فطرن ولأجنحتهن خفقان عظيم، فخفق قلبي رعبا وأدركني الدهش، فرجعت إلى خلفي فخوطبت في سري: يا علي

لما بت البارحة آمنا بالله، لم تخف همهمة السباع، ولما قمت اليوم بنفسك أخافك خفقان ريش الحجل. لكنك كنت البارحة بنا واليوم بنفسك.

وكلما ضاق قلبي من الأذى أتوضأ وأتوجه إلى الله تعالى، فهممت أن أدعوا على السلطان، فقيل لي: إن الله لا يرضى لك أن تدعو بالجزع من مخلوق، فألهمت أن أقول: يا من ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255] أسألك الإيمان بحفظك إيمانا يسكن به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق، واقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب، كما حجبته عن إبراهيم خليلك، فلم يحتج بجبريل رسولك، ولا سؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوه، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء؟ كلا، اللهم إني أسألك أن تفنيني لقربك مني حتى لا أرى ولا أجس بقرب شيء، ولا ببعده عني، إنك على كل شيء قدير.

وإذا خوفك أحد من الجن أو الإنس فقل: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]. وإذا ورد عليك من يؤثر الدنيا على الآخرة فقل: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، سيغنينا الله من فضله ورسوله. إنا إلى ربنا راغبون، يا من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، أجرني مما أوقعتني فيه، فقيل لي: لا تهن إلى الله في الجزع والسخط فيمقتك الله. فقلت: ضيق علي هذا الأمر. فقال: نحن قدرناه عليك لنربيك ونعلمك. فقلت: إياك أن تقف مع الخلق، بل انف المنافع والمضار عنهم؛ لأنها ليست منهم، واشهدها من الله فيهم، وفر إلى الله منهم بشهود القدر الجاري عليك وعليهم، أو لك ولهم، ولا تخف خوفا تغفل به عن الله تعالى، وتنسى وترد القدر إليهم وتهلك. وكل خوف يردك إلى غيره فصاحبه مذموم أو ناقص ملوم.

وحين جئت إلى أهل الإسكندرية سألتهم: أتجزعون وتهلعون؟ قالوا: نعم، فقلت: أنتم إذا لا تصلون وكان قد سألتهم أولا: أتصلون؟ قالوا: نعم، فقلت: أتجزعون وتهلعون؟، قالوا: نعم. فقلت: إذا أنتم لا تصلون!، قالوا: أفنتركها؟.

وقلت: اللهم إني تبت إليك فأعني وقيدني وقوني وانصرني وثبتني واعصمني واسترني بين خلقك ولا تفضحني عند رسولك. فقيل لي: إنك مشرك قلت: كيف؟ فقيل: إنك خفت الفضيحة عند الخلق؛ فإنما تخاف أن يفضحك الله بين الناس، وليكن قلبك متعلقا بالله تعالى.

[الدليل]

الدليل: ينقسم إلى ثلاثة أقسام: من طريق العقل، ومن طريق الكرامة، ومن طريق السر، وهذا الثالث للنبيين وبعض الصديقين، ودليل الكرامة لأولياء الله المقربين ودليل العقل للعلماء.

وسألت أستاذي رضي الله عنه عن قول الرسول ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا». فقال: يعني دلوهم على الله، ولا تدلوهم على غيره، فإن من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك.

[الدنيا]

كلما حرمت شيئا من الدنيا ارتفعت درجتك في الآخرة، وكلما أعطيت شيئا منها نقصت درجتك ولو كنت كائنا ما كان، وقد جعل الله سبحانه زينة الدنيا اختبار العباد يتميز من هو معها فمن هو مع مولاه لم تشغله بهجتها، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7].

وقال بعضهم: أف لأشغال الدنيا إذا أقبلت، وأف لحسرتها إذا أدبرت، فالعاقل لا يركن لشيء إذا أقبل كان شغلا، وإذا أدبر كان حسرة. وقيل لي: قد طلبوا وأخذوا فقلت: من أخذ شيئا من الدنيا حلالا بشرط الأدب سلم قلبه من التكدير ومن نار الحجب، ولأن يغنيك الله تعالى عن الدنيا خير لك من أن يغنيك بها، فوالله ما استغنى بها أحد قط، وكيف يستغني بها بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: 77].

ورأيت في النوم طائفة من الغزلان يصطادونها أناس، لم ار أقبح منهم صورة، فتمكن الصبيان منها وجعلوا يلعبون بها، فاستيقظت وتعجبت منها، ثم نمت فرأيت رجلا جميل الصورة يقول لي: أجرى الحيوانات وأمنعها الغزلان، ولقد رأيتها تصطاد ويلعب بها الصبيان، فكذلك أسبق الرجال جريا أهل العلم والعرفان، ولقد رأيت النساء والدنيا تأخذ بعقولهم فيلعب بهم الشيطان. فاحذروا النساء والدنيا، والتزموا الصدق والتقوى، واهجروا مواطن السوء والشر تحظوا بالدرجات العلا.

وانزع حب الدنيا بالايثار، وعن المعصية بالإصرار، وداوم على وسيلة الرحمة اللدنية، واستغن بها على الفعلية، ولا تعلق قلبك بشيء تكن من الراسخين في العلم الذين لا يغيب عنهم سر ولا علم، فإن خطر بقلبك خطرات المعصية والدنيا فالقها تحت قدميك حقارة وزهدا، وهذا يملأ قلبك علما ورشدا، ولا تسرف بترك الدنيا، فتغشاك ظلمتها، وتنحل أعضاؤك لها، ثم لابد فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها، إما بالهمة أو الفكرة، أو بالارادة أو بالحركة، فهناك يتحير اللب ويكون العبد ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: 71] وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 90] ولا هدى إلا لمن اتقى، ولا تقوى لمحب الدنيا، إنما التقوى لمن أعرض عنها، ولا يعرض عن الدنيا إلا لمن هانت عليه نفسه، ولا تهون النفس إلا عند من عرفها،

ولا يعرفها إلا من عرف الله، ولا يعرف الله إلا من أحبه، ولا يحبه إلا من اصطفاه واجتباه، وحال بينه وبين نفسه وشيطانه وهواه، وقل: يا الله، يا حليم يا قدير، يا مدبر يا مريد، يا عزيز يا حكيم، يا حميد يا الله، يا رب يا مليك يا موجود، يا هادي يا منعم، هب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وأنعم علي بنعمة الدين، وبالهداية إلى صراط مستقيم ﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ بحرمة هذا الإسم الأعظم آمين.

ودخل علي في المغرب أحد كبراء الدولة فقال لي: ما أرى لك كثير عمل فأخبرني بم حبك الناس وعظموك. فقلت له: لي حسنة واحدة افترضها الله على نبيه ﷺ تمسكت بها. فقال: وما هي؟ فقلت له: الإعراض عنكم وعن دنياكم. قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: 29].

والمؤمن في الدنيا أسير، ولا فكاك للأسير إلا بإحدى ثلاث: إما بالحيلة، وإما بالفدية، وإما بالعناية. وحيث أطلقنا نعيم الدنيا فالمراد بها المال، والطعام، والكلام، والمنام. فالمال يطغي، والطعام يقسي، والكلام يلهي، والمنام ينسي.

ولا كبيرة عندنا أكبر في إثنين: حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، والمقام على الجهل بأحكام الدين بالرضا، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والمقام على الجهل أصل كل معصية. وأسبق الرجال جريا أهل العلم والعرفان، ولقد رأيت النساء والدنيا تأخذ بعقولهم فيلعب بهم الشيطان فاحذر النساء والدنيا والتزم الصدق والتقوى واهجر مواطن السوء تحظ بالدرجات العلى.

واتق الله في الفاحشة جملة وتفصيلا، وفي الميل إلى الدنيا صورة وتمثيلا، فالدنيا إبنة إبليس فمن خطبها كثر تردد أبيها إليه، فإن دخل بها أقام عنده بالكلية، ولا كبيرة عندنا أكبر من اثنين: حب الدنيا والإيثار (الأثرة) والمنام على الجهل بالرضى: لأن حب الدنيا رأس

كل خطيئة والمقام على الجهل أصل كل معصية، ومن أراد عز الدنيا فليرح من الدنيا وأهلها قلبه، وأخس الناس منزلة من بخل بالدنيا على من لا يستحقها، فكيف بمن بخل بها على من يستحقها.

ورأيت الصديق رضي الله عنه في المنام فقال لي: هل تدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب.فقلت: ماهو. قال: تركها عند الوجد والوجدان ووجود الراحة منها عند الفقد.

والدنيا التي لا حساب عليها في الآجل، ولا حجاب معها في العاجل، هي التي لا إرادة فيها لصاحبها قبل وجودها، ولا معها –لها - مع وجودها، ولا أسف عليها عند فقدها، والحر الكريم من يأخذ منه على المواجهة، ويدعها به على المواجهة لا أثر للأغيار في قلبه فتفكر.

إلهي إن الدنيا صغيرة حقيرة ما فيها إلا ذكر الله، وإن الآخرة كريمة وكريم ما فيها، وأنت الذي حقرت الحقير وكرمت الكريم، فكيف يكون كريما من طلب غيرك؟ أم كيف يكون زاهدا من اختار لدنياه معك؟ فحققني بحقائق الزهد حتى أستغني عن طلب غيرك وبمعرفتك حتى لا أحتاج إلى طلبك، إلهي كيف يصل إليك من طلبك أم كيف يفوتك من هرب منك؟ فاطلبني برحمتك ولا تطلبني بنقمتك، يا رحيم يا منتقم، إنك على كل شيء قدير.

[الدين]

إذا تداينت بدين فلتتوجه بقلبك إلى الله تعالى، فتداين على الله تعالى؛ فإذا تداينت على الله فعلى الله أداؤه وحمل عنك أثقاله، وإن تداينت على نفسك أو على معلوم هو لك ثقل عليك وإن أداه، وربما أسرفت أو سوفت، أو ضيعت أو ضللت، أو ماطلت أو هونت، أو قدمت أو أخرت، أو ظلمت أو كذبت خسرت وما ربحت. فقيل لي: وكيف التداين على

الله تعالى؟ فقلت: بقطع النفس عن الجهات، وانتزاع القلب عن العادات، وعلقه بمن ملك الأرض والسماوات، وقل: اللهم عليك تداينت، وباسمك الذي حملتني به حملت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وإليك أمري فوضت، وأعوذ بك من الدخول في هوى الجهل والنفس والفسق، وفي المعاداة وفي الشر والدنس والرجس، فإن عارضك معارض من معلوم هواك، أو من العادات التي تجري إليها نفسك، فاهرب إلى الله تعالى منها هروبك من النار خوفا أن تصيبك، وقل: أعود بك من النار، ومن عمل أهل النار؛ وانقذني واغفر لي يا عزيز، يا غفار. فهذه من مراتب علوم المعرفة والمعاملات، فاهرب من نفسك، واحتسب أجرك على الله.

[الذكر]

الأذكار أربعة: ذكر تذكره، وذكر تذكر به، وذكر يذكرك، وذكر تذكر به، فالذكر الأول: حظ العوام، وهو الذي تطرد به الغفلة أو ما تخافه من الغفلة، والثاني: تذكر به: أي مذكور إما العذاب، وإما النعيم، وإما القرب، وإما البعد، أو غير ذلك، وإما الله عز وجل. والثالث: ذكر يذكرك مذكورات أربعة: الحسنات من الله، والسيئات من قبل النفس ومن فعل العدو، وإن كان الله هو الخالق لها، والرابع: يقول الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] ذكر تذكر به وهو ذكر الله تعالى لعبده وليس للعبد فيه متعلق، وإن كان يجري على لسانه، وهو موضع الفناء بالذكر أو بالمذكور العلي الأعلى فإذا دخلت فيه صار الذاكر مذكورا، والمذكور ذاكرا، وهو حقيقة ما ينتهي إليه في السلوك والله خير وأبقى.

وعليك أيها الأخ بالذكر الموجب للأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة، وهو الموجب أيضا لرضوان الله في الدنيا والآخرة، وتمسك به، وداوم عليه، وهو أن تقول: الحمد لله، واستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الحمد لله يا ذا المنن والإحسان من

الله، واستغفر الله بإزاء ما من قبل النفس ومن قبل العدو، والاثم وإن كان من الله خلقا وإرادة، ولا حول ولا قوة إلا بالله بإزاء عوارض ما يرد من الله عليك وما يصدر إليه منك.

وتنبه فإن السر قلما يقع في الذكر أو في الفكر أو في السكون أو في الصمت إلا على واحدة من هذه الأربعة الحسنة أو السيئة، فقل: الحمد لله، واستغفر الله فإن عرض لك عارض من الله أو من نفسك لم يكن بعد خيرا أو شرا، فلست بقادر على دفعه أو جلبه، فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، واجمع بين هذه الأذكار الثلاثة في عموم الأوقات، وداوم عليها تجد بركتها إن شاء الله.

واقرع باب الذكر باللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه بملازمة الصمت عن الأمثال والأجناس، ومراعاة السر عن محادثة النفس في جميع الأنفاس إن أردت الغنى.

وحقيقة الذكر: ما اطمأن بمعناه القلب، وتجلى في حقائق سحائب أنوار سمائه الرب، وهن ثلاث: فرغ لسانك للذكر، وقلبك للشكر، وبدنك لمتابعة الأمر فأنت إذا من الصالحين، وما اطمأن بمعناه القلب وتجلى في حقائق سمائه الرب، والانقطاع عن الذاكر إلى المذكور، وعن كل شيء سواه لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 8].

وإذا ثقل الذكر على لسانك، وكثر اللغو في مقالك، وانبسطت الجوارح في شهواتك، وانسد باب الفكرة في مصالحك، فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك، أو لكمون إرادة النفاق في قلبك، وليس لك طريق إلا التوبة والإصلاح والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله تعالى لتصلح حالك؛ ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 146] ولم يقل "من المؤمنين"، فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيها.

وإذا ترك العارف الذكر على وجه الغفلة نفسا أو نفسين، قيض الله تعالى له شيطانا فهو له قرين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36]. وأما غير العارف فيسامح بمثل ذلك، ولا يؤخذ إلا في مثل درجة أو درجتين، أو زمن أو زمنين، أو ساعة أو ساعتين على حسب المراتب؛ إنه بالمرصاد لمن أقبل على الله، فيقف تجاه قلبه، فإذا دخلته الغفلة دخل، وإذا دخله الذكر خرج. وإذا كان الشيطان يدنس القلب بدخول مرة في النهار، فكيف بقلب باض فيه وفرخ؟. وهنا معنيين واحد لم يحضر بجسده يعني يغيب والثاني نعم حاضر بجسده ولكنه فكره في مشاغله ودنيته عند مجالس الذكر فاعلم أنه قد حرم بركات ذلك تشويش باطنه وتبديل فهمه.

وكنت أيام بدايتي اشتغل بالذكر، حتى نسيت غالب القرآن، فرأيت رسول الله ﷺ، وقال لي: «يا علي، تركت تلاوة كلام ربك واشتغلت بوريداتك هذه»، فمن تلك الواقعة رتبت لي كل يوم عشرة أحزاب وكررت محفوظاتي في العلم التي كنت نسيتها.

[الذل]

الذل من قبل أحبابك أكثر من الذل من قبل أعدائك، لأن الذل من قبل الأعداء إنما يكون زمن قبل حب الدنيا والنفس، فمن أبغضهما فقد وقى من شر كل عدو، فبعد البغض النفس والمال إذا قابلك شيء من عدوك لجأت إلى ربك بالدعاء والتضرع والاستغفار حتى تجده أقرب إليك من كل شيء، هناك ظفرت بالخير من عدوك إذا رجعت بسببه إلى ربك وإن غفلت ورأيت النصرة من أحبابك وقلت لولا فلان لكان كذا وكذا ومن أجله سلمت من كذا فانظر إلى مصيبة لو عقلت وهل سلمت إلا من شيء لم يردك الله به ولو أرادك به فمن ذا الذي يعصمك منه ثم المصيبة العظمى أنك ظننت النجاة من شر عدوك وأنت لم ترد به وغفلت عن شر يريد بك من رؤية النصرة من أحبابك ثم أردفك بالذل الهم والخدمة عليهم والتواضع بين أيديهم كأنهم أرباب ولا تعد ذلك شر

بل تعده خيرا وكفى بهذا فتقيض لهذه الدقيقة واستعمل العلم جهدك في كل موطن واحذر فضلا عن الجهل واعلم أنك عبد مسخر وهم مسخرون مثلك.

وسألت سيدي أبا محمد عبد السلام بن مشيش يوما عن قول النبي ﷺ: «المؤمن لا يذل نفسه» (رواه ابن حجر: الأمالي المطلقة: 151)، فقال: يا علي: لهواه، ولكن يذلها لمولاه.

والله ما رأيت العز إلا في الذل؛ اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا، فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك، وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقد تصحبه أنوار محبتك.

[الذنب]

من أراد ألا يضره ذنب فليقل: اللهم إني أعوذ بك من عذابك يوم تبعث عبادك، وأعوذ بك من عاجل العذاب، ومن سوء الحساب، فإنك لسريع العقاب، وإنك لغفور رحيم، رب إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي وارحمني وتب علي: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87].

وتفكرت في ذنوبي فإذا النداء علي: نسيت عهدي وغفلت عن ودي وتذكرت ما تقربت به إلي ونسيت ما توددت به إليك، أين كنت من ذكري وعلمي ومشيتي قبل القبل ثم أمددتك بقدرتي وتخصيص إرادتي على علمي؟.

وإن أردت أن لا يصدأ لك قلب، ولا يلحقك هم ولا كرب، ولا يبقى عليك ذنب؛ فأكثر من قول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، اللهم ثبت علمها في قلبي، واغفر لي ذنبي، واغفر للمؤمنين والمؤمنات وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59].

ودخل علي رجل، فقال لي: يا أبا الحسن! أنا قد تبت، أأذكر ذنوبي وأضعها نصب عيني دائما أم أنساها؟، فقلت له: اجعل ذنوبك أمام عينيك من أجل ألا تنساها ومن أجل أن تكثر من التوبة. فقال تلميذ لي: يا أبا الحسن! لقد كان في حالة الذنوب مع الله في حالة جفاء، فلما تاب إلى الله صار مَع الله في حالة الوفاء، ومن كان في جفاء ثم صار في وفاء فذكر الجفاء بعد الوفاء جفاء. وأقبح الذنوب تعلق النفس بالعبادات واستحلاؤها.

[الربا]

الربا توجه القلب بالعمل إلى غير الله من حيث لم يأذن الله تعالى.

[رجال العدد]

رجال العدد: لا ينقصون عن مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والله أعلم بخلقه وإنما سموا رجال العدد لأنهم إذا مات واحد منهم أبدل الله عوضه مثله أو خيرا منه فلا يخطر ببالك عدم الأولياء في زماننا لكثرة ما ترى من الجهل والظلم البين فتحير تحيرا واسعا وإنما أخفاهم الله وسترهم غيرة عليهم ورحمة لخلقه لغفلتهم عن مواهب الله سبحانه فقد كثر أنوارهم وأجل مقدارهم على مراده ولا يدبرون ولا يختارون ولا يقدمون ولا يؤخرون ولا يقفون مع شيء دون الله إذ لا يوجد لغيره فعل فهم عبيد الوقت لا عبيد الأوقات لا يعرفون السوي ولا يحل بهم بعد ولا ثوي قد عافاهم الله من الروق وخوف الخلق فعليك بالايمان بأولياء الله ومحبتهم.

[الرزق]

الرزق إثنان: معجل ومؤجل فما يلائمه حظ معاشه، وما يؤلمه رزق معاده فاختر ما يبقى على ما يفنى والآخرة خير وأبقى. وأقبح الناس من يحتال على الخلق في طلب الرزق بطاعة الله، وبتلاوة كتاب الله سبحانه، وأقبح منه من يحتال على الله بقطع العلائق والتملق بالسلائق وبالدعاء والتضرع وسائر العمل وقد جف القلم بما هو كائن والرزق مقسوم ليس تقوى تقي تزيده ولا فجور فاجر ينقصه. فاخلصنا بتوحيدك وفي العمل بطاعتك وفي الدعاء والتضرع والالتجاء إليك بمحض العبودية الخالصة لوجهك، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وأكثر ما حجب الخلق عن الله شيئان: هم الرزق، وخوف الخلق. وهم الرزق أشد الحجابين، وذلك لأن أكثر الناس يخلون من خوف الخلق، ولكنهم لا يخلوا أحد منهم من هم الرزق إلا القليل، لاسيما وشاهد الفاقة قائم بوجود ذلك، فأنت مفتقر إلى ما يقيم بنيتك ويشد قوتك.

ورأيت في المنام صبايا يصيحون في جو السماء: إنما تساق لرزقك، أو لأجلك، أو لما يقضي الله به عليك، أو بك، أو لك، وهي خمس لا سادس لها. فاتق الله إينما كنت ولا تعدل بالتقوى شيئا فإن العاقبة للمتقين فيحق لهم يحبهم ويحبونه ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم فقل أعوذ بالله من سوء القضاء ومن جزع النفس عند ورود البلاء ومن الفرح والحزن والهم والغم في الشدة والرخا.

وسمعت قائلا يقول: ما صبر من أن، ولا سلم من تكلف، ولا رضي من سأل، ولا فوض من دبر، ولا توكل من دعا، وهي خمسة، وما أحوجك إلى هذه الخمسة أن تموت

عليها وقل: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24]، فزدني من فضلك وإحسانك، واجعلني من الشاكرين لنعمائك.

وضيق اليد شرف لكل الناس، أو لقطب، أو خليفة، أو أمين لا يخون الله تعالى برؤية نفسه على من ينفق عليه من العيال والفقراء طرفة عين. ولو أن السماء طبقة من نحاس، والأرض طبقة من حديد، والخلق كلهم عيالي ما حملت للرزق هما.

وقيل لي: يا علي: اهبط إلى الناس ينتفعون بك فقلت: يارب أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم، فقيل لي: انزل فقد أصحبناك السلامة، ورفعنا عنك الملامة، فقلت: يارب تكلني إلى الناس أكل من دريهماتهم، فقيل لي: أنفق يا علي: أنا الملي إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب.

وكنت في بعض سياحاتي، وقد آويت إلى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين، وبقيت في البادية ثلاثة أيام لم يفتح لي بشيء، فبعد الثلاثة أيام جاز علي بعض النصارى، كانت قد أرست سفينتهم هنالك، فلما رأوني متكئا، قالوا: هذا قسيس من المسلمين، فوضعوا عند رأسي طعاما وإداما كثيرا، وانصرفوا فقلت: يا للعجب، كيف رزقت على أيدي الروم ومنعت ذلك من المسلمين! وإذا قائل يقول لي: ليس الرجل من نصر بأحبابه، إنما الرجل من نصر بأعدائه.

اللهم وسع أرزاقنا، وكثر أضيافنا، واجعلنا من المتقين في سبيل مرضاتك قصدا بلا إسراف ولا تقتير، ووفقنا لذلك واهدنا بهدايتك، وأخلصنا بإخلاصك عن إخلاصنا، وقنا من الشح والبخل والمن ومن التهمة في الرزق ومن الشك وسوء الظن، ومن الاعتماد على الغير ومن التعرض في القول والعمل ومن دعوى التوكل عليك وتفويض الأمر إليك مع خلو الباطن عن مشاهدة قدرتك ومطالعة إرادتك، وملازمة النظر إلى علمك.

[رسالة إلى الشيخ أبي الحسن علي بن مخلوف الصقلي]

بسم الله الرحمان الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيئين. هذا من أبي الحسن علي بن عبد الله عرف بالشاذلي إلى ولده الطيب المبارك الصفي الزكي المبرئ من سبل المهالك، علي بن مخلوف الصقلي؛ سلام عليك ورحمته وبركاته.

اعلم أيدك الله بنور البصيرة وصفاء السريرة، أن رسول الله ﷺ قيل له: من أولياء الله يا رسول الله؟، قال: «الذين إذا رؤوا ذكر الله» (رواه يعلى بن أمية: السخاوي: الجامع الصحيح)؛ فافهم معنى قوله: إذا رؤوا ذكر الله. فاعدل عن رؤية الأجسام إلى رؤية المعاني والأفهام عدولا كاملا وعن رؤية البصر العامية التي تقع الشركة فيها مع الأنعام التي لا بصيرة لها، واهتد بنور الله المستودع في القلوب الذي به نظروا واعتبروا ووقفوا وتحققوا، ولا تكن مثل أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 198]. هذا صريح في أطيب الخلق وأجملهم وأبصرهم، به وبنوره وبطيبه طاب كل شيء. وإنه لأمر عجيب في إيثاره الطيب، لاتفاق العلماء أن رائحته أطيب من كل طيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؛ فافهم وادخل في ديوان معرفته ﷺ تسليما.

ومالك لا تقول كما قال عمر رضي الله عنه: والله ما أكل إلا لنا، ولا شرب إلا لنا، ولا نكح إلا لنا. ثم كذلك لا تطيب إلا لنا، فهو إذا أصل كل طيب، وبهاء كل معدن، وهو ﷺ سلك معدن المعادن؛ فاقتبس من نوره، واغترف من بحر حبه، واشرب من معرفته، وتزين بطاعته تكن الأشياء طوع يدك.

اللهم إنه العلم اللدني، والعمل الصالح والرزق الهني، واجعل الأشياء طوع يديه وزهده فيها مع الملك لها، واجعله من آل إبراهيم ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 54]، واجعله اللهم من آل محمد.

فأنظر إلى هذا الزهد وامحه عن نفسك واكتمه عن أبناء جنسك إلا من يفاوضك في أمرك، فأين تجده بعد نصب أنوار النبوءة ومعدن الصديقية إلا من خص بإسمه الأعظم المقرون بكن، بل من أشرف على القضاء الأول والقدر الجامع للأقدار، وبه وقع الرضى الذي لا ضد له، وعنه تفرعت الأقدار والأقضية إلى محل التقسيم والأضداد، حيث نادى الشرع بما يحب ويبغض، فمن جهل هذا أو توهم فاضرب له مثلا بآدم عليه السلام وهو الموجود الأول الإنساني الجامع للبشر، وهل تجد فيه شيئا يبغض؟ كلا، وهو الجامع لكل مؤمن وكافر، ومطيع وعاصي، وموحد ومشرك، ومخلص ومنافق.

فلما تفرقت ومنه المتفرقات نادى الشرع بالحب والبغض، والرضى والسخط، والأصل ليس الأمر إلا رضى محبوب، وهو آدم عليه السلام والذرية الخارجة منه كما فصلت لك، وكذلك القضاء الأول مع الأقدار المتفرقة، وعكف النبيون والمرسلون والأقطاب بأسرارهم عليه؛ أي على القضاء الأول، فلا يشهدون إلا الله وقضاءه، وبينوا وفصلوا وشرحوا وشرعوا لمن دونهم حتى يأتي أمر الله لمن يشاء من صديق أو صفي مصطنع لكشف هذا العلم مع علم البدء وعلم الروح وعلم المحبة وعلم البرزخ قبل مفتتح الوجود، ومنه انفصلت البرازخ في كل شيء بين الأضداد والأنداد والأمثال.

ومن ظن أن هذا العلم: أعني علم الروح وغيره، مما ذكر وما يذكر لم يحط به الخاصة العليا، أهل البدء الأول الأعلى فقد وقع في عظيمين: جهل أولياء الله إذ وصفهم بالقصور عن ذلك، وظن بربه أنه منعهم، وكيف يجوز أن يظن على مخصوص، وسرى به التكذيب إلى القدرة والشرع بقوله عن اليهود أو عن العرب، كما تضمن الخلاف: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]. فما الدليل لك منها على جهل الصديقين وأهل خاصة الله تعالى العليا؟.

والكشف عن هذا أن السؤال يقع بأربعة أحرف: بهل، وكيف، ولما، ومن، فهل يقع بها السؤال عن الشيء، أموجود هو أو معدوم؟ وكيف يقع بها السؤال عن حال الشيء، ولم يقع السؤال بها عن العلة، وليس في الآية شيء من هذا، فإنك إن قلت فيها معنى (هل)، ومعنى هل يقتضي: هل الروح موجود أو معدوم؟؛ وهل عرفوا وجوده من قبل، ولولا ذلك لما قال لرسول الله ﷺ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ فثبت أنهم عرفوا وجوده، فبطل هذا.

وليس في هذا سؤال عن الحال كيف هو، ولا سؤال عن العلة لم كان كذا وكذا، ولو كان سؤالهم عن هذين لما قنعوا بقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. ولشغبوا وترددوا ونددوا إذ ذاك شغلهم وعادتهم وإرادتهم، فثبت أن السؤال إنما كان عن الشيء من أين هو؟ بدليل الجواب والبيان الظاهر الشافي بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ إذ الرسول ﷺ عالم بما سألوا عنه، والله أعلم عن الله بذلك. فأجاب بذلك كما تقول: «آدم فسألك عنه»، وفهم المسئول السؤال، فقال: «آدم من تراب»، فإذا رضي الجواب وقنع، وليس يرجع العدو إلا بفهم عظيم من الحق العظيم الذي لا مرد له، فكيف يزعم الزاعم أنه لا يعرف ولا يجوز أن يعرف؟.

وقد أوجب الله تعالى علينا معرفته، ولا مثيل له، ولو ضيعناها لكنا كفارا أو عصاة، فكيف بموجود مخلوق أمثاله كثيرة؟ هذا عين الجهل أن يقال: لا يجوز أن يعرف، ومن له المثال والنظير وهو الروح، ويوجب معرفة من لا شبيه له ولا نظير، فنعوذ بالله من جهل الجاهلين وظلم الظالمين.

والذي أقول به إن لله أسرارا لا يسع فيها الرسم، ولا يليق بها الكتم، أي لا ترسم في الدواوين لعمى البصائر وضعفاء النظائر، ولا يليق بها الكتم لوضوحها وشدة ظهورها، فلا تعبأن بهم مع كثرة حججهم وذل للحق، واخضع له فيما هم فيه، أو أعرض عنهم فيما لا علم لهم به؛ وقد أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام وبسائر الأنبياء عليهم السلام، وهو الفاضل الذي لا يصل إليه أحد.

ويقول قد شاركتهم في النبوة والرسالة والهداية والأمور الطارئة على النفوس والأبدان والقلوب والأرواح، واقتدي بهم فيما فيه الشركة، وما خصصنا به فينا وإلينا؛ كذلك أيضا من فهم هذا السر بها فإن الله مع عامة المؤمنين ومع أوساطهم ومع الأهلين منهم وفارقهم فيما هو خاص للمخصوصين، فإن تكن منهم فازدد بعلمك وعملك فقرا إلى الله تعالى وتواضعا للعباد واعطف بالرحمة على عامة المؤمنين، ولو كانوا ظالمين، إلا حيث أمرك الله بالغلظة عليهم مع الدعاء الصالح والدفع عنهم.

وإنما ذكرت هذا مع علمي بعدم إيماني بما هو دونه فإذا ذكرت هذا مع علمك بعدم التحقيق لما دونه هذا لئلا تهتز النفس فتدعي ما ليس لها، واجلس مع الباب تظفر بكل ما تريد من رب الأرباب.

والزم أدب الحضرة إن كنت عالما بها، فإن لم تعلم فافهم من أبيك ما تسر به، فذو الحضرة له أربعة مواطن كلها مراكز سره وروحه وقلبه ونفسه وعقله مطمئن بالإيمان والتوحيد والعلم، والمعرفة والنور، واليقين والحياء، والهيبة والأنس والمحبة والبيان، ناطقا بلسان البيان.

يقول في آداب المراكز: اللهم إني أسألك لزوم النظر إليك، وإلقاء السمع بين يديك، والتوطين لما يرد علي الحكم منك، وإن أرجعتني إلى خلقك فنسألك حسن الأدب بالإقبال على من أقبل عليك وبالإعراض عمن أعرض عنك، وإن أرجعتني إلى حقوقك

فنسألك التأدب بآداب رسولك، ولا تحجبني بعلمي عنك، وإن أرجعتني إلى حظوظي فنسألك التمكين من إذنك بموافقة القول منك وبالإشارة الثابتة عنك، واجعلني ممن يأخذ ذلك بذلك، وقرب الحكمة من أفواهنا، وأنطق بها ألسنتنا واملأ بها قلوبنا واستعمل بها ما ظهر وما بطن منا وأيدنا بروح منك حتى لا نؤذي أنفسنا بأهوائنا، ولا نتبع شيطاننا، واجعلنا من حزبك فإن حزبك هم الغالبون.

واعلم أن كتابك قد وصل إلينا ولاح منه السرور لقلوبنا، وابتهجت به صدورنا، وسار لسان الجمع فيه مبسوط، والفرق عنه مضبوط، والجمع في صاحبك لا يليق به النطق، واطوه في سرك بمشاهدة التوحيد لربك وهو على ما هو أولى بي وبك، وقد قلت: لمن قبلك، وكأنك المخاطب دونه إن أردت التي لا لوم فيها ولا عتاب؛ فليكن الفرق في لسانك موجودا، والجمع في سرك مشهودا، ولا تغتر بفنائك عنه ولا ببقائك، وفر إلى الله من كل زوج ولا ترجع لشيء دق أو جل إلا بإذنه. كيف تغفل عنه، وقد وبخك بأستاذك أو هو معك كأنه قائم عليك في كل أفعالك، تشهده البصيرة كأنك أنت هو؛ فما ظنك بالقائم على كل نفس بما كسبت.

وتفسير الإذن من الله علمه بقوله: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: 110]، ثم قال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110]، قم قال: ﴿بِإِذْنِي﴾ وبإذن الله مكررا، أي بعلم الله، ومكن عيسى عليه السلام من ذلك العلم؛ فإذا قارنه القول كان أتم وأكثر ما يكون في المباح وحظوظ النفس إذا الواجب والمندوب قد تناولها الأمر والمباح قد خرج عنهما، فاحتاج الولي هاهنا إلى الإذن؛ فلا تخلط الإذن بالأمر، فتغلط وتسقط جانبا من أحكام الشرع، فتكون من الجاهلين.

ومعنى الإذن في حق الولي نور ينبسط على القلوب يخلقه الله تعالى فيه وعليه، فيما ترى ذلك النور على الشيء الذي يريده فيدركه نورا مع نور، أو ظلمة تحت ذلك النور، فذلك النور ينبئك أن تأخذ إن شئت، أو تترك أو تقبل أو تدبر، أو تعطي أو تمنع، أو تقوم أو تجلس، أو تسافر أو تقيم. هذا باب المباح المأذون فيه بالتخيير، فإذا قارنت القول تأكد الفعل المباح بمراد الله، فإن قارنته نية صحيحة لفعل يزال عنه حكم المباح وصار مندوبا، وإن ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب فلا يخلو أن يلوح عليها لائح القبض بانقباض القلب، فاحذر ذلك وتجنبه؛ فإنه المحذور أو يكاد. ولا تقطع ذلك إلا ببينة من كتاب الله أو سنة أو إجماع، أو بخلاف لمقلد قلدته كمالك أو الشافعي أو غيرهما من العلماء الراسخين. فاحكم كذلك على أصل صحيح، وإن تكن الظلمة شبه غيم لا يتصدع معه القلب، ولا يتفرغ به الذهن، فتباعد عنه؛ فإنه يكاد أن يكون مكروها، ولا تحكم بعقلك ورأيك، فقد ضل من هاهنا خلق كثير، ولا تفت أحدا وإن استفتاك، وأعط الورع حقه ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، فإن تأدبت هاهنا فعن قريب تأتيك البينة من ربك والشاهد يتولها منه، فهذه نبذة كبيرة من هذا الأمر. ولم قصدي وضعها، ولكن جرى اللسان والقلب بما شاء، فنسأله المنة والغفران والمشاهدة في أعلى مقامات درجات الإحسان.

وأما ما بعثت به إلينا فقد وصل إلينا وفرحنا به، وذكرنا أيادي الإنعام في سالف الدهر، والماضي من الأيام، ولولا أننا نطمع باللقاء لأتحفناك بما أتحفتنا، فنسأل الله الجمع على ما يحبه ويرضاه.

وأما ما ذكرت من أمر سفرك، فيكون عندنا وإن كانت القلوب طامعة حتى جاء مركب المهدية، وكأنها كزت وانفضت هدم مجيئكم. وأما الزيتوني فأمره قد اهتم له قلبي من قبل مجيء كتابكم إلينا، واغتمت له قلوبنا. وقل له يثبت حتى يقضي الله ما يريده. كان عليه ألوف عددها مائة ألف أو عشرة آلاف. وهو يسمع أمورا، ويبصر أمورا، ويشت الأحباب

وحزنت وما يئسنا، وكان ذلك الاختيار حكما حسنا، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون، وجاء الفرج من الله وكأن ذلك لم يكن. فنسأل الله أن يوزعنا شكر نعمائه، وأن يخلص أخانا وحبيبنا من ذلك الذل إلى عز الغنى والشهود لأفضاله وإحسانه.

وقد وصل اهتزازكم واهتزاز الحاج زكريا والحاج يحي، والحاج عبد الله والزروق والونشريسي، وعبد الله الفيتور، والمرابط محمد، وقد وصل ذلك الغلام مسعود، واجتاز على ابن عمهم علي، ورغبناه في الجلوس، وسافر إلى الحج ولم يجلس عندنا شيئا بعد الرغبة فيه.

وبعدما وصل إلينا انكسار سفركم انكسرت قلوبنا، وكذلك القابسي في عزيمته، فمنكم المستثير ومنكم الصامت ومنكم المقهور بهمه. فوالله الذي لا إله إلا هو لو كنت لها قويا ببصر يعينني لأخوض كل بر وبحر لأصحابي حتى نخلصهم لما يحبون من الفتن بمشيئة الله ومعونته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

واستشار من استشار على السفر في البر أو في البحر، و أو ما قام إلى الحزن، فاعلموا أن مركب المهدية قد نزل في تسعة عشر يوما، ووجدنا أحمد الصابوني بالجد في السفر إلى بيت الله الحرام وعزمنا على النهوض قبل وصولكم، وكنت راجيا لكم، ولولا أنا سبعون نسمة قد وطنوا على السفر معي في هذه السنة وباعوا أشياء وهم نيف ومائتان، والسبعون خاصتم منهم الفقهاء والعلماء، ولا أعلم طائفة من الخلفاء والأمناء والنقباء والنجباء والأبدال الأخفياء والأخيار، فوجدت معدنهم باليمن، وأرجوا لقاء بعضهم. ولولا هذه الطائفة مكثت عليكم عاما حتى تأتوا، ولكن أمواجهم حملتني، وانقادت النفس لدعوة الله، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ونحن إن شاء الله على السفر بجميع أهلنا في شهر تاريخه أو بعده بقليل. ولسبب الإمساك في العادة زرع لنا يدرس، قد جرت في ثلاثة مواضع من غير كد ولا لغب، ولا

أصل ولا أخذ في فرع، بل بفضل من الله على أيدي من أحبنا بمراده ولا شهود بادية ولا اهتبال بهمة. فبارك الله في أهل الفضل، وزاد منهم فضلا. والنقلة إلى مصر، ثم إلى الصعيد، وكل يريد خدمتنا، ونحن طامعون بأخذ نصف سنة قبل الوقوف إن شاء الله. ولا أخاف من يزعجني إلا من تعلق بي، وأراهم لا يتركونني كما قررت لكم وهذه إرادتي وبالله أستعين وهو حسبي ونعم الوكيل.

وأهلي أيضا قد تعلقوا ببياناتهم، واتخذوا الثغر موطنا، ولا وطن لي ولا ملحوظ إلا مقدوره بإرادته على بساط قدرته، ملاحظا لذاته، الكل كلمة، والأمر أمره، والسر سره، والسلطان والملك له يؤتيه من يشاء بالإشراف عليه، وهو غني عنه، والله ذو الفضل العظيم.

وأما ما ذكرتم من السفر في البر والبحر، فلا تعولوا على البر بشيء من أمرين: الجوع، والخوف. وقد بلغت الزبيبة في برقة مبلغا شديدا شاقا، وقلما يوجد الطعام، فالداخلون ينالون منه، وقلما ينال أحد منهم شيئا ولو كان الرخاء؛ فلا تدخلوا هذه الطريقة إلا بغنى وعناية، عادية من متقدم شيخ مكين سخي ذي جاه أو بيقين خاص يأخذ من الحق، محمول بالصدق ناسيا لنفسه مقاسيا ليقينه وتوكله الحق دليله، ويد الله على رأسه، والقدرة تكفله والمحبة تحمله، والشوق يقلقه. تقول له النار: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي. وهذا قليل وجوده فيكم، وقليل وجوده في غيركم؛ فمن وجد ذلك في نفسه خاصة وهو عن غيره بمعزل، إذ لا مرتبة له في الملك، فابكوا، ثم أبكوا بأبصار الرؤوس على فقد أبصار الحاملين لأثقالنا، والذاهبين عنا والعالمين بأحوالنا، كأنكم جهال فيها معنا، تعدهم كواحد منا لكن الله لم يخل الأرض من واحد أو ثلاث أو سبع، وهم خصوص هذه الأمة في كل زمان لكن شقوتنا ودعاوينا وفتنتنا بالدنس من أعمالنا أوجب حجابنا ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2- 3]. وفسر سهل بن عبد الله هذه التقوى بالتبرء من الحول والقوة، وعدل عما تزين به الباطلون من

ظاهر التقوى مع دنس باطنهم؛ وصحيح أن عبدا ظاهره المعاصي والشهوات، ويحمل نفسه على أنواع الطاعات، وقد سد الأفق بالدعاوي والأقتداء، وإضافة الحول والقوة إلى نفسه، فهذا عبد قد أكثر الجدال وجاوز الحد، وأعظم الفرية والعجب، فلا يقوم خيره شره، والمحققون يبغون الأشياء، وينتظرون إلى البواعث والثمار، فإذا فقدوا الثمار علموا أن علمهم وعملهم مدخول، فإذا فقدت البواعث الصحيحة في الوصول فلا يعدون لأعمالهم ثوابا. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2].

فيا مدعي التقوى أين المخرج؟ فإذا رأيت المخرج فبوعد الله تعالى وضمانه، وإن لم تجد بتقواك إلا تحيرا فمن الصادق ومن الكاذب؟ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]. ولا يصح التوكل إلا لمتق، ولا تتم التقوى إلا لمتوكل؛ فدقق النظر في البواعث والأصول والثمار، والله يحب الصابرين.

وأما ركوب البحر فهو أقرب وأحب إلي، وأقل للإنفاق. فمن وجد الركوب من المهدية فقد أوصينا عليكم الشيخ أبا علي السقاط، ولا ينتقل أحدكم إليه إلا على يقين في غالب الظن، لئلا يمتحق زاده مع هم النفس وتعب القلب. وإن كان الأمر كذلك فانظروا، وقدروا سفرنا من الثغر، يجيء أحدكم، ولا يجد من يأنس إليه، فينقطع قلبه، ويضيق عليه الوقت، فلا هو إلى حرم الله تعالى ولا هو إلى بيته. اللهم إلا من وطن نفسه على الأرياح على أي وجه تقلب، وكان ممن قال الله تعالى فيه: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: 16]. أتراهم منع جنوبهم عن مضاجع النوم وترك قلوبهم مضطجعة وساكنة إلى غيره؟ بل رفع قلوبهم عن كل شيء ولا يضاجعون بأسرارهم شيئا، فافهم هذا المعنى. تتجافى جنوبهم عن مضاجعة الأغيار، ومنازعة الأقدار ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: 16] إليه وفيه فالخوف منه قطعهم عن غيره، وبالشوق إليه أجمعهم فيه ﴿وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: 16]، ولو وسعني بسط الكلام هاهنا لكتبت لكم سجلات، لكن الحق قد قدر القلوب بقدرته وأنعشها بحكمته، وأغناها بمناجاته عن مخاطبة خلقه.

وأما أمر الحاج زكريا أنه عطل بسبب خمسة عشر دينارا، ولو جاء بسفل مثلها ومثلها فالمرجو من الله أداؤها، ولكن كتابه يقتضي أكثر من ذلك في نظر العلم والله الموفق للصواب.

وأما الفقير أبو يحي فقد بلغني عزمه، وسلموا عليه وأخبروه أن ابن عمه حج وهو في الثغر عند إبني عمه إبراهيم ومحمد، وهما جليلا القدر في الفضل والعلم الكبير منهم متجرد للتصوف، عدل حسيب في الدين والخير والسماحة، وأما محمد فهو بالغ في علم الأصلين، فقد أخذ من الفروع قوتا، وهو متزوج، وأخوه عازب، وإن قدم أحد منكم فدلوه على الفقيهين الجليلين: أبي عمر وأخيه جمال الدين، وعلى الفقيه السديد أبي محمد عبد الوهاب: إن من الله عليه وعلى صهري شرف الدين.

ونحن نوصي بذلك: وأما الكتاب الذي أخبرتم أنه اشترى فإن مكنكم منه فليأت به أحد أو تدفعوه مع من يوثق به ليدفع عند بعض هؤلاء الفقهاء الفضلاء أو لجمال أو صهري أو لسديد وأذنت لكم أن تسلموا على أصحابي بالحضر والبادية مشافهة وتبلغا وكتابة منكم على ما استطعتم والسلام عليكم وعلى من ذكر ومن لم يذكر وعلى أهل البلاد والإقليم جميعا ورحمة الله وبركاته. وصلى الله على أله وصحبه وسلم تسليما. تاريخه ليلة الخميس عشرة من محرم سنة ست وأربعين وستمائة.

[رسالة إلى الشيخ أبي محمد بن سلامة]

بسم الله الرحمان الرحيم، الكتاب إليكم من الثغر، حرسه الله، ونحن في سوابغ نعم الله نتقلب. وهو بفضله وبوده إلينا يتحبب. قد ألقي علينا وعلى أحبابنا كنفه. وجعلنا عنده فما ألطفه! ندعوه فيلبينا، وبالعطاء قبل السؤال ينادينا. فلله الحمد كثيرا كما ينبغي لوجهه الكريم، وجلاله العظيم. وأما الأهل والأولاد والأصهار والأحباب ففي سوابغ نعم الله يتقلبون، وبإحسانه ظاهرا وباطنا مغمورون، نسأل الله المزيد التام العام لكم ولهم أجمعين، وأن ينوب عنا في شكره، إنه أكرم الأكرمين. وإنه آواكم وستركم وقد عزمنا في هذا العام المبارك على حج بيت الله الحرام وزيارة قبره ورسوله محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وإنا عازمون على التوجه إلى القاهرة فقد كتبه بيسير إن شاء الله تعالى للتحدث مع السلطان في شأن المركب فإن هيأه الله فمنامي وقتها وإن كان غير ذلك توجهنا في رجب إن شاء الله تعالى فمن كانت له منكم عزيمة فليبادر فنحن ننتظر وأقومكم علينا فليبادر منكم من يبادر.. بأبي الحسن بن مخلوف طال انتظارنا إليك فإن فلان عندك عزم بالدخول إلى جهتنا والوصول بناحيتنا ولا تتأخرون أن تهيأ الوصول إلينا لأحد منكم وإن كان غلبت إلى قدام بمقامكم أوبمقام أحدكم فكاتبون مسرعين بما عندكم والله المسؤول في عنايتكم وهو حسبنا الله ونعم الوكيل وعليه توكلنا إن كنتم مؤمنين.

ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة، وكانت ليلة القدر، وسمعت سيدي رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقول: «يا علي، طهر ثيابك من الدنس، تحظى بمدد الله في كل نفس»، فقلت: يا رسول الله: وما ثيابي يا رسول الله؟ فقال: «اعلم إن الله قد خلع عليك خمس خلع: خلعة المحبة، وخلعة المعرفة، وخلعة التوحيد، وخلعة الإيمان، وخلعة الإسلام. فمن أحب الله، هان عليه كل شيء، ومن عرف الله، صغر لديه كل شيء، ومن وحد الله، لم يشرك به شيئا، ومن آمن بالله، أمن من كل شيء، ومن أسلم لله قل ما يعصيه، وإن عصاه

اعتذر إليه، وإذا اعتذر إليه قبل عذره». ففهمت حينئذ قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: 4].

رجال جبلهم الله على حسن عبوديته، وأخلصهم لإخلاص توحيد ربوبيته، واتباع شريعته، فيما منع أسرارهم بأنوار حضرته. وأمد أرواحهم بمعاني المعارف. وخصائص عنايته، وأجال عقولهم في عظمته. ورمي نفوسهم فأحرزها وأخرجها من ظلمة الجهل. وهداهم بنجوم العلم وشمس معرفته. وأيد عقائدهم ببرهان كتابه وسنته ومحا عزائمهم بتحقيق غلبة مشيئتهم. وطوى إرادتهم بتيقن وقفها على إرادته. وزينهم بزينة الزهد، وحلية التوكل، وشرف الورع، ونور العلم وضياء المعرفة. وألهمهم لفضله وطوله. وتولاهم فأغناهم به عن غيره. وجعل منهم مفاتيح لقلوب الورى، وينابيع الحكمة الكبرى، يتلقونها شرعا، ويلقونها لأهلها سرا وجهرا. ومنهم من سترته الأقدار، وحجبته عن الأغيار، لينفرد بالتمكن في حقيقة الأسرار. تعرف كلا بسيماهم. باطنهم مع الحق، وظاهرهم مع الخلق. فهم هم، ولا هم هم في الوجود، بوصف الغناء ظاهرين، صفوا وافترقوا في سيرهم سننا، ظاهرهم الفقر وباطنهم الغنى، يتخلقون بأخلاق نبيهم ﷺ، كما قال العلي الأعلى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: 8].

واعلموا أكرمكم الله أن حق التوكل صدق كل شيء فعلى القلب سواه الله وحقيقة نسيان كل شيء سواه وسره وجود يحبه ويرضاه.

واعلموا أيدكم الله بنور توفيقه أن حقيقة الرضى وجود الحر عوضا عن النفس والخلق بمثال ضري وهو أي رأيت جماعة من الناس جمعها إلى ملوك وأمراء ومن دونهم من سائر وفد منهم يمكن لكل واحد ولده لا يرضى به بدلا ولا يطلب عنه حولا فقيل: حقيقة الرضى وجود الحق عوضا عن النفس والخلق فافهموا ذلك.

واعلموا بسر لي في ليلة دعاء فقلت: اللهم أجمل قضاؤك وفخارك ولقائك وذاتك وذات رسولك أحب إلي من نفسي وأهلي وولدي ومالي والناس أجمعين فكنت أقرأها بوجد وأجد لها حلاوة فكثر ذلك علي فقلت: شيء يتول وقضاء يحدث فيما أنا قاعد إذ قيل لي: نورا كان له وقع في البير وصلت فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل لي: أهذا كانت تلك المقدمة فبقيت إلى الليل فرأيت كأني أتيت إلى باب الجنة واستقبلني قصور وأمر عظيم وإذا بنور تابعه نيران وسخط يقول لي: هي سبع مائة نور وطول كل نور منها أربعين ميلا وعرضه عشرين ميلا ثم قال: مما يعطى العبد في الجنة ولو أعطى ذالك في الدنيا لما أنفعه به مع أن الجنة.. العز والفنا هو حكمه الاضافة والملائكة والإسم والتسمية بالعلم والقدرة والإرادة والذكر والحكمة بأي ملك مطهر وقيومه تتناول أقصاه كما تتناول أدناه.

وإن أردت كرامتي فعليك بطاعتي والإعراض عن معصيتي فإن زللت تغلبه الشهوة وعظيم القدرة فاعلم قربك مني ونظري إليك إحاطتي بك وقدرتي عليك واستنقد نفسك ومن عظيم قدرتي وقل يا موجود قبل كل موجود وهو الآن على ما هو عليه موجود يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض مما رحبت ولا ملجا منك إلا إليك فاغفر لي وإرحمني وتب علي لا توب إلا إليك إنك أنت التواب الرحيم.

ويا أبا محمد بن سلامة اعلم أهل المسافرين إنا عازمين إلى الحج فمن كانت له همة فليبادر ولا يأتنا وقد كتابك عبد المسرافي وفيها ما تضمنه وسورة فودائع الله فيك فاسئل الله أن لا يطفئ لك نورا أبدا بحرمة سيدنا محمد المصطفى ﷺ وإذا وصلتم أو وصل بعضكم وكان صحبكم شيء من الإدام كما عهد من ودكم فلتبادر لنا به وأبا الحسن بن مخلوف ان قدر بتوجيهك إلينا أو أحد من الاصحاب فليكف الجارية التي كنا كتبنا لكم فيها صحبتك أو صحبت الشاطبي أو صحبة من يصل وتعلموا أبا محمد الشاطبي أن أهله بعافية والحمد لله جمع الله شملنا بكم عن قريب على أفضل حال وتولى أمركم أجمعين

بذاته إنه أكرم الأكرمين. آمين والسلام الدائم عليكم أجمعين ورحمة الله وبركاته وكاتبه إليكم أخوكم في الله أحمد بن أحمد بن عثمان إلى ما يسلم عليكم أجمعين ويسئل منكم الدعاء له ولوالديه ولبنته وأهله والحمد لله رب العالمين كتب في شهر ربيع الأول سنة خمسة وخمسين وستمائة.

[رسالة إلى الشيخ أبي يحي المحجوب جميل الحبيبي]

بسم الله الرحمان الرحيم، من أبي الحسن علي بن عبد الله الحسني المعروف بالشاذلي إلى الشيخ الأقدس أبي يحي: سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته. أما بعد؛ فإني منذ اثنتي عشرة سنة أغدو وأروح فيما هيأ الله تعالى لي من سفر الروم على عساكر أولياء الله تعالى، فما مررت بك إلا وجدتك روحا طيبة، تعقلها العقول، وتسكن إليها القلوب، وتألفها النفوس وترتاح إليها الأفئدة، ويبتهج بها السر ويذعن إليها الأمر، ويجتمع بها كل مفترق ولا يجهله عن علم، ولا يعلمه من جهل، فوجدت أدناهم بمنزلة الرجلين، وأعلاهم بمنزلة الرأس؛ فلا رأس إلا برجلين، ولا رجلين إلا برأس والكل واحد، والتخصيص بمن طهرهم الله بماء التمحيص فوصلوا رتبة التخصيص.

فأول طهارتهم التي هي شرط في طريقتهم، الإعراض عما سوى الله تعالى؛ فصلوا صلاة متقبلة بالإقبال على الله تعالى فناجاهم بما سمعوا من لذيذ خطابه، وسقاهم من كؤوس المحبة فأسكرهم من شرابه، ثم تولاهم تولية التخصيص لما كملوا، وأبرزهم للخلق بما به فضلوا، فجاؤوا ملوكا في زي الفقراء.

عمدة الملوك الأموال والعدد والجاه والأنصار، وعمدة الفقراء الغنى بالله تعالى والرضى بمجاري الأقدار. قليل من يحبهم في العدد كثير في المعنى، كثير ممن يبغضهم العدد قليل في المعنى. الشمس واحدة كثيرة في معناها والنجوم عدد قليل في المعنى عند

ظهور الشمس ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، وهم كثيرون في المعنى ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 43]، وهي سنة الله مع الأولياء فاستبانت فضيلة الولي بكثرة أعدائه وقلة أنصاره، ثم لا يعبأ بهم، بل يحرضهم على نفسه ويقول: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ. إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 195- 196] و ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾ [التوبة: 40]. فيا حبيبي أبا يحي لا تعبأ بمن ناوأك، ولا تعتمد على من تولاك، فإنما هي ربوبية تولت عبودية، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 123] عموما في كل مدينة وقرية. إن المجرمين هنا أكابرها والصالحين فقراؤها، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 43]. وكفى بالله وكيلا؛ فاجلس يا حبيبي أبا يحي جلوس من فقد الكل وعزاه الله تعالى بقوله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: 26]، وبقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، فليس بعاقل من لم يتعز عندي بعز الله، وإني لمشتاق إلى لقائك، وأرجوه من الله تعالى، والسلام.

[رسالة إلى بعض أصحابه]

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله الذي متع قلوب أوليائه بأنوار حضرته وأحرزها من خطرات الإلقاء بنجوم معرفته، وأوقف الملائكة في الملأ الأعلى ناظرة لربها ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ [السجدة: 15] بالإذعان ورؤية أهل التخصيص لها في سائر أيامها، وجعلهم ينابيع الحكمة الكبرى إذ هم يأخذونها من بارئها، فهم بهم، ولا هم بهم من حيث الوجود والحق، أعني لا هم من حيث الوجود والخلق، كملوا إذ حملوا فصاروا حاملين لأوصاف الخلق، وحاملين بأوصاف الحق، إن نظرتم

من جهة الخلق رأيت أوصاف البشر، وإن نظرتهم من جهة الحق رأيت أوصاف الله تعالى وزينته.

ظاهرهم الفقر وباطنهم الغنى، تخلقوا بأخلاق نبيهم ﷺ، إذ قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: 8]، أفتراه أغناه بالمال؟ كلا وقد شد الحجر على بطنه من شدة الجوع، وأطعم الجيش من صاع، وخرج من مكة على قدميه، وعرج به إلى فوق السموات العلى، ثم رجع إلى منزله من ليلته، فانظر الأمرين وإلى كماله فيهما، فإن قلت: بشرا، قلت لك: نعم بشرا لا كالبشر، كما تقول في الياقوت حجر لا كالأحجار، إذ هو عين الله تعالى الكبرى في خلقه، كذلك فأعطي الأولياء التنزيه بين الخلق؛ إذ هم لله وبالله، إذ لا علة منهم إليه كما لا علة منه إليهم، فهموا ما قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان» (رواه النسائي في السنن الكبرى: 6/ 363 والبخاري: 2953)، فكانوا لله ولا شيء معهم، كما كان لهم، ولا شيء معه، فهذا حق التخصيص، فليت العلماء علموا علم فقرهم وذلهم، ولكن لا يعلمون إلا من حيث الأضداد يعلمون ذلك، وأما ما ظهروا به من العز والغنى فلا سبيل إلى ذلك، إلا لقطب أو خليفة أو أمين، و ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: 10]، فإنهم أمناء والأمين لا يكون خائنا، فاحبس على الأمر يدك وعض عليه بنواجذك، ولا تكترث لحسادك، فمن أحب أن يقل حساده فكأنه أحب أن تقل لديه نعم الله، وقد قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ بعد بسم الله الرحمان الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 1- 5]، كأنه قال له: سلني أن أكفيك من شر حسادك ولا تسألني أن أقطعهم عنك بالكلية، فإن الحساد من النعم، ولا تذمن نعمي عليك، فتيأس يا مسكين إن أردت الشفاء فلعله أن يقع بكشف الخطاب ولا تطمع أن يقع معه بالكتاب أو الحجاب، والسلام.

[رسالة إلى بعض أصحابه]

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيئين، أرجوا الله أن يمدكم في سفركم بالتيسير في أرزاقكم وبالصحة في أبدانكم وبالعز بين أمثالكم، وبالمغفرة لذنوبكم وتنزلون على أربعة أشياء: القبول من الخلق والرضى عن الحق، والغنا عن الكثرة، والهناء مع القلة، فلا ترغبون فيما لكم فتعاقبوا بالطلب لغيركم، وهذه أوفى عقوبة الراغبين، وأعظمها الحجاب عن رب العالمين.

وعليكم بأربعة: الألفة وحسن الصحبة، والقيام بالفريضة والتوكل على الله في كل حركة، والرباط: الرباط ثم الرباط على ثلاثة أشياء: لا تتهم الله في شيء، ولا تؤثر نفسك على الله في شيء، وعليك بحسن الظن بالله في كل شيء.

وتفسير الإيثار إذا اعترضتك حقوق ربك وحظوظ نفسك فلا تؤثرن الحظوظ على الحقوق، ففي الإيثار للحقوق محبة الله، وإذا اعترضك مندوب ومكروه، فلا تؤثر المكروه على المندوب، ففي الإيثار للمندوب محبة رسول الله ﷺ ولن يسهل ذلك إلا على عبد لا يحب إلا الله وحده، أو أحب ما أمر الله به شرعا لدينه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[رسالة إلى بعض أصحابه]

بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله، إذا ثقل الذكر على لسانك وكثر اللغو من مقالك وانبسطت الجوارح في شهواتك وأنسك باب الفكر في مصالحك فاعلم ان ذلك من عظيم أوزارك والمكنون إرادة النفاق في قلبك وليس لك طريق إلى التوبة والإصلاح وعليك بطاعة الله والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 146]. ولم يقل من المؤمنين فتأمل هاذا القول إن كنت فهيما.

وتعلم يا با محمد عبد الله بن سلامة أنا كتبنا لأبي عبد الله محمد بن أبي الحسن كتابا في حق علي من خصيب على ما أشار إليه، وهو صحبة هذا الكتاب، والسلام.

[رسالة إلى بعض القضاة]

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله، وأنتم أيدكم الله أعلم ببعد العامة عن إقامة حججهم والخروج مما لا يلزمهم والتفطن لما ينفعهم في الوصول إلى حقوقهم ودفع ظلم من منعهم أو ترتب عليهم في أخذها.

والمسئول من إحسانكم أيدكم الله معاملة هذا الصهر المذكور في هذا العلو بما لا يجب عليكم، ولا يمتنع في حقكم بإمعان النظر وإرشاده إليه، فأنا وإياكم إن شاء الله من سؤال ذلك بل العلماء الحكام اتساع النظر وإجراء الأحكام على حسب الوقائع وأسبابها وما يتعلق بها ويترتب عليها من المصالح والمقاصد ونظركم وعنايتكم كافية مغنية عن مزيد تأكيد في حقه، والسلام.

[رسالة إلى الروضة النبوية]

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، صلى الله عليك يا رسول الله أفضل وأزكى وأسنى وأعلى صلاة صلاها على أحد من أنبيائه وأصفيائه، وأشهد يا رسول الله أنك بلغت ما أرسلت به، ونصحت أمتك، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين، وكنت كما نعتك الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ

رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: 128- 129]، فصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه من أهل سماواته وأرضه عليك يا رسول الله، السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ﷺ يا أبا بكر وعمر ورحمة الله وبركاته، فجزاكما الله عن الإسلام وأهله أفضل ما جازى به وزيري نبي في حياته، وعلى حسن خلافته في أمته بعد وفاته، وخلفتما بالعدل والإحسان، وعلى أحسن خلافته في أمته بعد وفاته، فلقد كنتما لرسول الله ﷺ وزيري صدق، وخلفتماه بالعدل والإحسان في أمته بعد وفاته، فجزاكما الله عن ذلك مرافقته في الجنة وإيانا معكم برحمته، إنه أرحم الراحمين.

اللهم إني أشهدك وأشهد به رسولك، وأشهد به أبا أبكر وعمر، وأشهد الملائكة النازلين بهذه الروضة الكريمة، والعاكفين عليها، أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين، وأشهد أن كل ما جاء به من أمر ونهي، وخبر عما كان وما هو كائن، فهو صدق لا شك فيه ولا امتراء، وإني مقر بذلك بجنايتي ومعصيتي في الخطرة والفكرة، والإرادة والغفلة، وما استشار به علي إذا شئت أخذت، وإذا شئت عفوت عنه، مما هو متضمن للكفر والنفاق والبدعة والضلالة والمعصية أو سوء الأدب معك ومع رسولك وأنبيائك وأوليائك من الملائكة والإنس والجن، وما خصصت به من شيء في ملكك، فقد ظلمت نفسي بجميع ذلك، فامتن علي بالذي مننت به على أوليائك، فإنك أنت الله الملك المنان الكريم الغفور الرحيم.

[رسالة في مدح النبي ﷺ]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أوجد الوجود وعمرهم بجنوده وبره، وأنزل على عبده الكتاب تعظيما لفضله وتسجيلا لقدره، وأعطاه عطاء لا حد لحده ولا حصر لحصره وعلى جيد الوجود بجوهرة عقد شرفه فكان واسطة عقد نحره، وأسرى به والليل

أسود الذوايب وعاد وما نصل من خضاب شعره، ولا ابيض مفرق رأسه بمشيب فجره، فكم بين من سعد بوصل الله ثم وبين من شقي بطرده وهجره، ولما ترقى ﷺ إلى سدرة المنتهى كان الرقيب بين ظلال ظلاله وسدره ثم دنى لنيل المنى وسمع خطاب إني أنا، وزيد مشتغل بحديث عمره. أنزل الله عليه القرآن في شهر رمضان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فكان ليلة قدره ليلة شرفه وقدره، بين في سوره المحكمة فضل حبيبه محمد ﷺ ووفقه لحمده وشكره، وعلمه علوم غيبه وأطلعه على مكنون سره.

فالفاتحة استفتاحه بحمد ربه وشكره، والبقرة نطقت آياتها بعظيم سؤدده وفخره، وآل عمران أنه مفيد دهره، وعين عنصره وفريد عصره. والنساء ما ولدت مثله فهو وحيد زمان إلى يوم بعثته وحشره، والمائدة مائدة كرمه وجوده وبره، والأنعام سخرت له فتشرفت بركوبه عليها وما كل مركوب يتشرف بالراكب على ظهره، والأعراف اعترفت رجالها بمعارف عوارفه وخبره، والأنفال لله ولرسوله فذكره مقرون بذكره، والتوبة على الله لمن أقلع عن ذنبه ووزره، ويونس تشفع به في خلاصه من ظلمة حوته وبحره، وهود أقر له برفعة مقره، ويوسف استعار حلة حسنه فأذهل بها أهل عصره، والرعد سل سيف برقه لتخويف أعدائه فهم تحت رعبه وذعره، وإبراهيم به نجا من نار نمرود لما مجج في غدران غدره، والحجر تشرف به لما جلس في حجره، والنحل وصلت إلى حلاوة منطقه وشنب ثغره، فسبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام غلى المسجد الأقصى وجعله تحت كنفه وستره، والكهف كهف جلوسه في مجلس العز ومستقره، ومريم لم تجد ببركته ألم الطلق ولا تضررت بضره، وطه طاء العلا بقدمك يا طاهر يا موصوفا بطهره، والأنبياء كلهم شهدوا في محضر حضوره بأنه سيد الكون بأسره، والحج بين مناسكه لأمته فقرأها المسافر في سفره، والمؤمنون آمنوا به فأمنوا به من كيد الشيطان ومكره، والنور خاتم نبوته فالسعيد من قرأ نقش سطره، والفرقان تشريفه على الفرقاء ذا نفر في نفره يوم نفره، والشعراء عجزت عن القيام بمدحه فلا أثر للشاعر وشعره، والنمل

احتمت بجاهه من جيش سليمان لما سمعت في البر تلتقط من بره، والقصص فيها أخباره بأخبار الأمم وما كان فيهم من شر القول وجهره، والعنكبوت نسج على باب غاره لما دخل فيه مع صاحبه وصديقه وخليفته على أمته، والروم غلبت يوم حربه ودخلت تحت قهره، ولقمان لقن من حكمته واغترف من بحره، ذو المضاجع تتجافى عنها الجنوب ويقطعون الليل بتسبيح خالقهم وذكره، والأحزاب تفرقت بين يديه واجتمعت في حصن حصره، وسبأ سبا كل قلب بجماله فانطوى على قلفة من فكره، وفاطر فطرت أكباد حساده وانقلب كبيرهم في ثوب كبره، ويس تعلم أنه سيد المرسلين والصادق في وعده وعده والموتى بنذره، والصافات صفت جنود عساكره المؤيدة بالملائكة يوم بدره، وصاد صادق القلب الطائر عليه لما التقط من حب حبه عند بدره، والزمر جاءت لبابه المنكسر فرأى جيران كسره، والغافر أعلمت بغفران ذنوب أمته وإطلاق أسيرهم من أسره، وفصلت فصلت أعضاء من رغب عن ملته فلم يصح جاهلهم من سكره، والشورى أذنت بمشاورته لأصحابه وهو المشار إليه في عز الأمر ويسره، والزخرف خرج عنه ولم يلتفت إلى جوهره ودبره، والدخان أحرق قلوب أعدائه بوجهه وحره، والجاثية معلمة بجثيان الخلائق على الركب الجبارين سده وجره، والأحقاف كل ذرة منها تشهد برسالته وكذا كل من في الوجود من بعوضة وذره، والقتال أمر به لمن بارزه بجحده وكفره، والفتح حصل على يديه والله المتوكل بنصره، والحجرات تدل على أن العلم تحت حجره، وقاف قم بالذكر المنزل عليه وناهيك من ذاكر يتشرف الذاكر بذكره، والذاريات تحقق لواءه عند نشره، والطور ما قنع الله تعالى به بل أجلسه على بساط الحضورمع طلاقة وجهه ولبشره، والنجم قسم بأنه ما ضل وكيف يضل من يهتدي به الساري في بره وبحره، والقمر ما كمل أن يصل إلى جمال وجهه ولا يساوي قلامة ظفره، والرحمن عرض عليه ﷺ مفاتيح كنوز الأرض فأعرض عنها وقنع من العشير بنزره، والواقعة واقعة بمخالفه فلا يقوم يوم القيامة بعذره، والحديد قوة سلاحه وحده بيضه وسمره، والمجادلة مجادلته

عن الدين وإرغامه أنف الكافر بكفره، والحشر فهو ﷺ الشفيع في العاصي يوم حشره، والممتحنة ممتحنة لقلوب محبيه لمحبته وسداررهم بارزة، والصف في الجمعة أيتم به ففاز بالسعادة وعظيم أجره، والمنافقون عليه يرون التغابن إذا نزلوا في دركات الجحيم وقعره وصعد المؤمن به إلى غرفات قصره، والطلاق بين الله توله أحكامه في محكم ذكره، وجاءت سورة التحريم له بالتحليل لئلا يصير على ما أكره، والملك لمن حكمه في الوجود وجعله تحت نهيه وأمره، والقلم جرى بسعوده فقل لحسوده يستعين على مرضه بصبره، والحاقة تحقيق العذاب على من لم يتعظ بوعظه وزجره، وسأل سائل لم يجد مثل خبزه وحبره، ونوح كتب اسمه على لوح سفينته فسلم من الطوفان وزجره، والجن آمنت بقرآنه المرتل بشفعه ووتره، وهو المزمل والمدثر بحلل الكرامة إذا قام من قبره، والقيامة فيها إقامة حرمته وجاحد حقه قد اعترف به بعد نكره، والإنسان يتعلق بذيل كرمه إذا لم يجد سبيلا إلى مفره، والمرسلات سحائب كفيه الهاطلة على عبد الرجا وحره، والبناء نبأه العظيم الذي أزعج المادح عن نظمه ونثره، والنازعات نازعات أرواح أعدائه الذين رضوا من حلو العيش بمره، وعبس من غلب عليه شقاوة الحسد وراح بعد ربحه بخسره، وكورت الشمس حياء من من أنوار شمس جماله وبدره، والانفطار فطرت أكباد مخالفيه الذين لم يأتمروا بأمره، والمطففون ويل لهم من غضبه، وما زاد في التطفف نقص من عمره، والانشقاق شق على أهل الشقاق ورد كيد المعاند في نحره، والبروج بروج سعوده الثابتة في قلب الأفق وجناح نسره، والطارق أمرنا ﷺ أن نعوذ من شره، والأعلى نوره في الملأ الأعلى بعظيم ذكره، والغاشية حملت بين يديه ليلة معراجه والوجود قد عبق بعطره، والفجر مفرق رأسه الكريم، ولا أقسم تفخيما لحرمته وتعظيما لفخره، والشمس بياض جبينه، والليل سواد شعره، والضحى شعاع أنواره وبريق ثغره، وألم نشرح فيها شرح صدره ورفع ذكره ووضع وزره، والتين تأكيد قسم بأنه أحسن العالمين والمخصوص بالسر الذي يسري بسره، وقيل له ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾

[العلق: 1] فقراء وتبتل لذكره، والقدر فالبينة تشهد بعظيم قدره، والزلزلة زلزلت كل من نصب له شباك كيده ومكره، والعاديات عاديات على من جال في ميدان الطغيان بكره وفره، والقارعة قارعة لحاده بهينة ذكره، ولم يلهه التكاثر ولا اشتغل بجمع بيضه وصفره، وأقسم الله بالعصران، الهمزة واللمزة لهم الويل وأنهم لفي ضيق عصيره، وأصحاب الفيل لأجله رموا بحجارة من سجيل فكان الحجر يدخل من رأس أحدهم ويخرج من دبره، وقريش تشرفت بشرفه وفقيرهم استغنى به من بعد فقره، وفي أرايت تهديد لمن كذب بدينه وجلالة قدره، والكوثر له إذا اشتد العطش من هول يو القيامة وشدة حره والخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم شتان من صدق في حبهم ونجا من عمره، ومن أبغضهم أو واحدا منهم لم يذق قطرة من قطره، والكافرون هالك كل منهم بجحده وكفره، والمؤمنون ما رأوا بالفتح وتأييد الله ونصره، وأبو لهب قد التهب بلهيب جمره، والإخلاص سبب الخلاص والخواص خصوا بمزيد أجره، وقل أعوذ برب الفلق تفيد قارئها من كل ذي شر ومن نفث الحاسد وسحره، وقل أعوذ برب الناس تعيذ قارئها من وسوسة الشيطان وخطره وبالمعوذتين أعاذ الله محمدا ﷺ من سحر الحسود ومكره.

فسبحان من خص هذا النبي الكريم بإنزال هذا القرآن العظيم ورفع عظيم قدره، أحمده على حلو القضاء ومره وأشكره، فشكره كفيل بمزيد بره، وأستغفره وأتوب إليه من ارتكاب نهيه ومخالفة أمره، واسأله النظر إلى وجهه الكريم في جنات النعيم يوم المزيد وفخره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه ولطفه وبره، الذي خلق الخلق وأحصاهم عددا، وقسم الأرزاق ولم ينس أحدا، بل يرزق الطير في وكره، والوحش في بره، والحوت في بحره، لا صاحبة له ولا ولد له ولا شبيه له، تعالى الله عن تشبيه المشبه وعن تعطيل المعطل وكفره، شهادة تنجي قائلها من لهيب السعير وجمره، وتسكنه أعلا غرف الفردوس وأحسن قصره، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله ونبيه ودليله الذي زين به عقد النبوة من ياقوته ودره، وأنزل الله القرآن بتعظيم قدره

وتفخيم شأنه وأمره، وجعل الجنة ماء، وأمن من أمن به ومشى على أثره، والنار مثوى من كذب به وتمادى في غيه وكفره، ومن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشرا، فيا سعادة من صلى عليه وفاز بعشرة، صلى الله عليه، أشرف الربيع بنور نوره، وما تزين الشجر في الروض بثمره وزهره، وعلى صاحبه وخليفته من بعده والمبادر إلى تصديقه ولم يلتفت إلى فكره، وعلى أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب الذي أيد الله الإسلام بتأييده ونصره، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان الذي استحيت منه ملائكة الرحمن لجلالة قدره، وعلى أمير المؤمنين أبي حسن علي بن أبي طالب الذي ظهر يوم خيبر صدق خبره، وعلى آله الطيبين الطاهرين من عمه وخاله وصهره وعلى أزواجه أمهات المؤمنين اللاتي تعطرن بطيب عطره، وعلى سائر أصحابه من المهاجرين الذين هجروا أوطانهم مخافة هجره والأنصار الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم في محبته ونصره، صلاة طيبة زاكية دائمة متصلة إلى يوم نشر الخلق وحشره وسلم تسليما.

[الرضى]

هممت مرة أن أختار القلة من الدنيا على الكثرة، ثم أمسكت وخشيت سوء الأدب فلجأت إلى ربي، ورأيت في النوم كأن سليمان عليه السلام، على سرير جالس وحوله عساكر، ورفع لي عن قدوره وجفانه فرأيت أمرا كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: 13]، فنوديت: لا تختر مع الله شيئا، وإن اخترت فاختر العبودية لله اقتداء برسوله ﷺ حيث قال: ﴿عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، وإن كان ولابد، فاختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار، فرارك من كل شيء إلى اختيار الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68].

فانتبهت من نومي، فرأيت بعدها قائلا يقول لي: إن الله اختار لك أن تقول: اللهم وسع علي رزقي في دنياي، ولا تحجبني بها عن أخراي، واجعل مقامي عندك دائما بين يديك وناظرا منك إليك، وأرني وجهك، ووارني عن الرؤية، وعن كل شيء دونك، وارفع البين فيما بيني وبينك، يا من هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

وكل مختارات الشرع وترتيباته، فهي مختار الله تعالى، ليس لك منه شيء، ولا بد لك منه، واسمع وأطع، وهذا موضع الفقه الرباني والعلم الإلهي، وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى، لمن استوى أي استوى في الأضداد في الشهود فلا يحجب عن الله في ضد من الأضداد ويتعين على العبد هنا الجزم والتصميم، فإن وافق القدر وحصل فقد أطاع نية وفعلا، وإن لم يوافق القضاء والقدر بأن لم يحصل كانت نيته صالحة فافهم واقرأ: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ. وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: 67- 68] ولا تركن إلى علم، ولا عمل، ولا مدد، وكن مع الله بالله لله.

وإذا أردت أن تسأل حاجة من الناس فارفعها إلى الله تعالى من قبل أن ترفعها إليهم، فإن قضاها لك منهم فاشكره واشكرهم، وإن لم يقضها لك منهم فارض عن الله ولا تنسب شيئا إليهم، ولا تذمن أحدا إلا بما ذمه الله، ولا تمدحن أحدا إلا بما مدحه الله، وإلا فأمسك فهو أسلم لك وأهيأ للرضى من الله عنك. واعبد الله تعالى باليقين ترفع في الدرجات العلى وإن قل عملك.

والرضى عن الله ثوابه الرضى من الله فإن ترض عن الله يرضى عنك وان تسخط قضاء الله يسخط عليك، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 9]، وإن أردت أن يكون الحق تعالى راضيا عندك فتبرأ من نفسك ومن حولك وقوتك إليه.

[الروح]

عكف النبيون والمرسلون والأقطاب بأسرارهم عليه؛ أي على القضاء الأول، فلا يشهدون إلا الله وقضاءه، وبينوا وفصلوا وشرحوا وشرعوا لمن دونهم حتى يأتي أمر الله لمن يشاء من صديق أو صفي مصطنع لكشف هذا العلم مع علم البدء وعلم الروح وعلم المحبة وعلم البرزخ قبل مفتتح الوجود، ومنه انفصلت البرازخ في كل شيء بين الأضداد والأنداد والأمثال.

ومن ظن أن هذا العلم: أعني علم الروح وغيره، مما ذكر وما يذكر لم يحط به الخاصة العليا، أهل البدء الأول الأعلى فقد وقع في عظيمين: جهل أولياء الله إذ وصفهم بالقصور عن ذلك، وظن بربه أنه منعهم، وكيف يجوز أن يظن على مخصوص، وسرى به التكذيب إلى القدرة والشرع بقوله عن اليهود أو عن العرب، كما تضمن الخلاف: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]. فما الدليل لك منها على جهل الصديقين وأهل خاصة الله تعالى العليا؟.

والكشف عن هذا أن السؤال يقع بأربعة أحرف: بهل، وكيف، ولما، ومن، فهل يقع بها السؤال عن الشيء، أموجود هو أو معدوم؟ وكيف يقع بها السؤال عن حال الشيء، ولم يقع السؤال بها عن العلة، وليس في الآية شيء من هذا، فإنك إن قلت فيها معنى (هل)، ومعنى هل يقتضي: هل الروح موجود أو معدوم؟؛ وهل عرفوا وجوده من قبل، ولولا ذلك لما قال لرسول الله ﷺ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ فثبت أنهم عرفوا وجوده، فبطل هذا.

وليس في هذا سؤال عن الحال كيف هو، ولا سؤال عن العلة لم كان كذا وكذا، ولو كان سؤالهم عن هذين لما قنعوا بقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. ولشغبوا وترددوا ونددوا إذ ذاك شغلهم وعادتهم وإرادتهم، فثبت أن السؤال إنما كان عن الشيء من أين

هو؟ بدليل الجواب والبيان الظاهر الشافي بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ إذ الرسول ﷺ عالم بما سألوا عنه، والله أعلم عن الله بذلك. فأجاب بذلك كما تقول: «آدم فسألك عنه»، وفهم المسئول السؤال، فقال: «آدم من تراب»، فإذا رضي الجواب وقنع، وليس يرجع العدو إلا بفهم عظيم من الحق العظيم الذي لا مرد له، فكيف يزعم الزاعم أنه لا يعرف ولا يجوز أن يعرف؟.

وقد أوجب الله تعالى علينا معرفته، ولا مثيل له، ولو ضيعناها لكنا كفارا أو عصاة، فكيف بموجود مخلوق أمثاله كثيرة؟ هذا عين الجهل أن يقال: لا يجوز أن يعرف، ومن له المثال والنظير وهو الروح، ويوجب معرفة من لا شبيه له ولا نظير، فنعوذ بالله من جهل الجاهلين وظلم الظالمين.

والذي أقول به إن لله أسرارا لا يسع فيها الرسم، ولا يليق بها الكتم، أي لا ترسم في الدواوين لعمى البصائر وضعفاء النظائر، ولا يليق بها الكتم لوضوحها وشدة ظهورها، فلا تعبأن بهم مع كثرة حججهم وذل للحق، واخضع له فيما هم فيه، أو أعرض عنهم فيما لا علم لهم به؛ وقد أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام وبسائر الأنبياء عليهم السلام، وهو الفاضل الذي لا يصل إليه أحد.

ويقول قد شاركتهم في النبوة والرسالة والهداية والأمور الطارئة على النفوس والأبدان والقلوب والأرواح، واقتدي بهم فيما فيه الشركة، وما خصصنا به فينا وإلينا؛ كذلك أيضا من فهم هذا السر بها فإن الله مع عامة المؤمنين ومع أوساطهم ومع الأهلين منهم وفارقهم فيما هو خاص للمخصوصين.

[الزهد]

من يزهد في الدنيا يحبه الله ومن أحبه الله كفاه الله وكلأه وجعله في حرزه وفي مأمنه، ولا تكن ممن يعرض عن الدنيا ليعطى شيئا على ذلك بل كن في ذلك عبد الله، والله لقد عظمتها إذا زهدت فيها، ولا يشم رائحة الولاية من لم يزهد في الدنيا وأهلها، وإذا افتقرت فسلم، وإذا ظلمت فاسكن تحت جريان الأقدار؛ فإنها سحابة سائرة.

وخرج الزهاد والعباد من هذه الدار وقلوبهم مقفلة عن الله. وإن الزاهد في الدنيا يثاب بسببها مرتين، الأولى: برميها بعد أن فتح عينه على محبتها تبعا لجمهور الناس، الثانية: بأخذها بعد رميها وخروج محبتها من قلبه، فقد رماها هذا بإذن، وأخذها بإذن، فإن لسان إشارة الحقيقة تقول للمؤمن: وما تلك بيمينك أيها المؤمن، فيقول: هي دنياي أنفق منها على نفسي وعيالي وأهلي وإخواني والواردين علي، فيقال له: ألق ما في يمينك، فيلقيها فيراها حية تسعى كعصا موسى، فيقال له: خذها ولا تخف كما وقع لموسى على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام، فهو ممتثل أمر الله تبارك وتعالى في الحالين لا اختيار له معه، وهذا الخلق قليل من إخواننا من تخلق به على وجهه فهو ممسك للدنيا بقلبه ويده كالعوام، فاعمل يا أخي على التخلق به، والحمد لله رب العالمين.

ومثل ذلك قوم ركبوا سفينة فقال لهم رئيسها: غدا تهب ريح شديدة لا ينجيكم منها إلا أن ترموا بعض أمتعتكم، فارموا بها الآن، فلا يسمع أحد قوله، فإذا هبت العواصف كان الكيس يرمي متاعه بنفسه، وكذلك إذا هبت عواصف اليقين، يكون المريد هو الخارج عن الدنيا بنفسه. والتمتع بالدنيا من أخلاق الكافرين، والزهد فيها من أخلاق المؤمنين، والزهد فيها في الظاهر والمحبة في الباطن من أخلاق المنافقين، والأخذ منها على قدر

القوت من أخلاق عوام المؤمنين، وأما أهل الله وخاصته فهم أجل قدرا من أن يحبوها أو يبغضوها؛ لأن قلوبهم قد امتلأت بعظمة الله، فليس فيها متسع لغيره.

ورأيت الصديق رضي الله عنه في المنام، فقال لي: أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب؟، فقلت: لا أدري، فقال: علامة خروج حب الدنيا من القلب، تركها عند الوجد، ووجدان الراحة منها عند الفقد.

[الزوائد]

من فارق المعاصي من ظاهره، ونبذ حب الدنيا من باطنه، ولزم حفظ جوارحه، ومراعاة سره أتته الزوائد من ربه، ووكل به حارسا يحرسه من عنده، وجمعه في سره، وأخذ الله بيده خفضا ورفعا في جميع أموره، والزوائد هي: زوائد العلم واليقين والمعرفة.

[السكينة]

السكينة وجود الحق بلا سبب، ورجوع إلى الحق بغير أرب اللهم إلا لاقتضاء العبودية، فحينئذ يكون حظ النفس الخدمة، وحظ القلب المعرفة، وحظ العقل المكاشفة، وحظ الروح المحبة. وعليك بالسكينة فإنها أحسن وأفضل زينة.

[السلوك]

لا يتم للعالم سلوك طريق القوم إلا بصحبة أخ صالح يبين له معرفة طريقهم أو شيخ ناصح فافهم قال بعضهم: أي حتى يأخذ عنه الطريقة ويعرفه أطوار السلوك وإلا فمن غير شيخ فلا يمكن ذلك ولو كان أعلم أهل الأرض جميعا ثم يلقنه الذكر ويلبسه الخرقة

ويربيه تربية المريدين أو ينظر إليه نظرة كاملة فيملأ باطنه علما وحكما ومعرفة يدرك ذلك بذوقه السليم وإلا فلا.

[السماع]

قيل لي: لم لا تسمع السماع؟ فقلت: السماع من الخلق جفاء، وإذا رأيت مريدا يسمع القصائد ويميل إلى الراحة فلا ترجون فلاحه، وإذا رأيت فقيرا لا يخص عند السماع فاعلم أنه قد حرم بركات ذلك بتشويش باطنه وتبديد خاطره.

ورأيت في النوم كأنني أخاصم ثلاثة رجال في السماع فرأيت أستاذي رحمه الله تعالى وهو يقول لهم: مالكم وله إن جلس مع الناس كان ذاكرا مذكرا، وإذا خلا كان مناجيا مفكرا، ظاهره بالتحقيق والشرع مشهور، وباطنه بالتوحيد مستور، يصدق فيه قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: 7] ويصدق فيه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾ [الطلاق: 7]، ثم قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36].

وسألت أستاذي رحمه الله عن السماع فأجابني بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ. فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: 69- 70].

واستأذنني بعض الفقراء للحضور والسماع، فهممت بذلك، فرأيت كأني بين يدي كتابين: كتاب الفقيه ابن عبد السلام، وأوراق فيها شعر من جزء، وإذا بأستاذي رضي الله عنه واقف، فتناول كتاب الفقيه بيمينه والأوراق بشماله، فقال لي كالمنتهر: أتعدلون عن العلوم الزكية؟، وأشار بيده إلى كتاب الفقيه إلى أشعار ذوي الأهواء الرديئة؟ وأشار بيده إلى أوراق الشعر، ثم رماه في الأرض. وقال لي رضي الله عنه: فمن أكثر من هذا فهو عبد مرقوق لهواه، وأسير لشهواته ومناه، يسترقون بها قلوب ذوي الغفلة والنسوان، وأهل

الضلالة والعميان، ولا إرادة لهم في عمل الخير واكتساب العرفان، يتمايلون عند سماعها تمايل اليهود، ولم يحظ أحد منهم بما حظي أهل الشهود، لئن لم ينته الظالم ليقلبن الله أرضه سماءا وسماءه أرضا. فأخذني منه حال بوجد وبكاء وأنا أقول له: نعم يا أستاذي، ألا إن النفس أرضية والروح سماوية، فقال لي: نعم يا علي، إذا كانت الروح بأمطار العلوم دائرة، والنفس بالأعمال الصالحة ثابتة، فقد نلت الخير كله، وإذا كانت النفس غالبة والروح مغلوبة، فقد حصل القحط والجدب، وانقلب الأمر، وجاء الشر كله، فعليك بكتاب الله الهادي، وبكلام رسوله الشافي ﷺ، فلن تزل بخير ما آثرتهما، وقد أصاب الشر من عدل عنهما، وأهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: 23].

[الشر]

أصول الشر ستة: استبدال إرادة الخير بإرادة الشر، واستبدال التعلق بالله بالتعلق بمخلوق دون الله، واستبدال حسن الظن بالله وكرمه بسوء الظن بالله ورسوله، وكمون الدعاوي وحب الدنيا ومتابعة الهوى.

ويقول الله عز وجل: أنا وعزتي وجلالي لك، ما لم تستبدل إرادة الخير بإرادة الشر، أو تستبدل حسن الظن بكرمي بسوء الظن بي، أو تستبدل التعلق بي بالتعلق بمخلوق دوني، فإن فعلت ذلك تخليت عنك، ووكلتك إلى نفسك، ووليتك ما توليت، وأصليتك جهنم وساءت مصيرا، فمن تاب تاب الله عليه؛ ومن استغفر، غفرت له، وأنا الغفور الرحيم، ثم قال: وعزتي لولا خصلتان فيك، لأهلكت بذنوبك الأمة، فقلت: وما هما يا رب؟ قال: رحمتي أحب إليك من طاعتي، واستغفاري أكبر لديك من معصيتي، فبهما سبقت الآخرين، ولم أردك إلى المقصرين، ولم ألحقك بالظالمين، ثم قال: قل: أعوذ بالله من

كمون الدعوى، وإرادة الدنيا ومتابعة الهوى، ثم قال: احفظ هذه الست، فإنهن أصول الشر كله، واستغفر بالله، إنه هو السميع العليم.

وحصون القلب من الشر أربعة: ارتباط القلب مع الله وبغض الدنيا وترك ما سوى الله، وأن لا تنظر بعينك إلى ما حرم الله، وأن لا تنقل قدميك حيث لا ترجو ثواب الله، والصلاح أسهل شيء لمن يسره الله عليه لا تعلم في نفسك إرادة من الشر وأنت من الصالحين.

ورأيت رسول الله ﷺ فأوصاني فقال: «لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطفي لنفسك إلا من تزداد به يقينا، وقليل ماهم. وإن من أعظم القربات عند الله تعالى مرافقة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلاص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها».

وإذا أردت أن تغلب الشر كله، وتلحق الخير كله، ولا يسبقك سابق، وإن عمل ما عمل، فقل: يا من له الأمر كله، وبيده الخير كله، أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله، فإنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الغني الحميد الغفور الرحيم، أسألك بالنبي بالهادي محمد المصطفى ﷺ أن تهديني إلى صراط مستقيم، ﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53]، وأسألك أن تغفر لي مغفرة تشرح بها صدري، وتضع بها ذنبي ووزري، وترفع بها ذكري، وتيسر بها أمري، وتقدس بها سري، وتنير بها فكري، وتقدس بها سري، وتكشف بها ضري، وترفع بها قدري، وتجبر بها كسري، وتغني بها فقري، وتعرف بها ديني، وتقضي بها حوائجي، إنك على كل شيء قدير.

ورأيت جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وجماعة من أجناد هذا الوقت فجعلت أنظر تارة إلى هؤلاء وتارة إلى هؤلاء، فخرج إلي واحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لي: أليس في ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وأعمالهم ما يغنيك عن ذكر هؤلاء وأفعالهم، لكن هم الرزق، وخوف الخلق، ونصرة النفس، وإتباع الهوى، يقطع عن الخير كله، ونصرة النفس إجابتها إلى محابها.

[شرح أبيات الجنيد رضي الله عنه: توضأ بماء الغيب..]

المراد بالوضوء طهارة أعضاء الصفات القلبية من النجاسات المعنوية، وماء الغيب هو خلوص التوحيد، فإن لم يخلص لك بالعيان فتطهر بصعيد البرهان، وقدم إماما كان يوم الخطاب إمامك، ثم صرت أنت إمامه بعد سد الحجاب، وصل صلاة الفجر التي هي صلاة كشف الشهود بعد حجاب الظلمة الوجود في أول العصر الذي أول زمان انفجار فجرك، ولا تتأخر لآخر دورك، لأن الحكم للوقت، والتأخير له مقت، فهذي صلاة العارفين بربهم، وهم الذين لم يخرجوا عن متابعة الأحكام الشرعية في جميع مشاهد شهود الربوبية، فإن كنت منهم وقمت بأدائهم فانضح، يعني اغسل بماء بحر الحقيقة ما تدنس من بر الشريعة.

[شرح حروف ق. ج]

ق. ج، سران من سرك وهما دالان على غيرك، فانك اعتبرتهما من حيث الكلام فالقاف آخر الفرق وهو أول الجمع الذي أوله الجيم، ومن حيث العدد الذي به تم الرجوع وتصريف الجيم، جامع الشفع والوتر وهو منتهى العدد، كالقاف الذي هو غايته، وهو مقدم عليه في تعريف الأشفاع والأوتار، ثم ينتهي إليه بهما، فموقف القاف الجيم، ومنتهى الجيم القاف.

ومن حيث الطبائع فإنهما يجتمعان في الحقيقة الواحدة، ويكون الأول من الثاني على عدده في ذاته من درجته، وهو كذلك في رتبته بعبرة تحار فيها العقول والأفهام.

ومن حيث الشكل فللقاف إحاطة واستعلاء، لا باعتبار لفظه، ولا باعتبار خطه، ولا باعتبار معناه. وللجيم ذلك في السفليات لأن أعلاه يشير للملكوت وأسفله للملك وقاعدته للجبروت، وينبه على أن شكل الموجود مثلث وحكمه كذلك وتشهد له القضايا العقلية والأحكام العادية، وشرح ذلك يستدعي طولا، فليعتبر بما أشرنا إليه وربك الفتاح العليم.

[شرح قوله ﷺ: «كيتان من نار»]

لقد مات على عهد رسول الله ﷺ كثير من الصحابة وتركوا أموالا، فما قال فيهم رسول الله ﷺ مثل ما قال في هذا لأنهم لم يبطنوا خلاف ما أظهروا، وهذا الذي كان أهل الصفة أظهر الفاقة وكان عنده هذان الديناران، فلما أظهر خلاف ما أبطن قال الرسول ﷺ: «كيتان من نار».

[شرح قوله ﷺ: «التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة»]

قال ﷺ: «التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة»: أي: فبأي طريق يحشر مع هؤلاء؟ قال: يحشر مع الأنبياء، لأن شأنهم أداء الأمانة وبذل النصيحة، فيحشر مع الأنبياء بهذا الوصف وهذا التاجر أدى الأمانة وبذل النصيحة، ويحشر مع الصديقين لأن الصديق شأنه الصفاء في الظاهر والباطن وقد استوى ظاهره وباطنه، والتاجر الصدوق كذلك فيحشر مع الصديقين بهذا الوصف، ويحشر مع الشهداء

فإن الشهيد شأنه الجهاد والتاجر الصدوق يباعد نفسه وشيطانه وهواه فيحشر مع الشهداء بهذا الوصف، ويحشر مع الصالحين فإن الصالح شأنه أخذ الحلال وترك الحرام فيحشر مع الصالحين بهذا الوصف.

[الشفاعة]

الشفاعة: نور من الله عز وجل يظهر على جوهر رسول الله ﷺ فيجد الروح والراحة به كل أحد من عباد الله، ولا يجهلها من كفر ولا من آمن، ولا شيء من خلق الله، أما المؤمن فيستمر به ذلك ولا يخزي لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحريم: 8]، وأما الكافر فيمر كالبرق ليعلم ماذا فاته ثم يرد إلى عذاب عظيم ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 41]. إن الكافر وإن لم يجب داعي إيمانك فقد أجاب داعي سلطانك، فالكل ممتثلون لأمرك، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11]، ولا يستعصى عليه شيء في الموجودات، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾. فكل موجود يسبح لله تعالى غير الكافر، فإنه لا يسبح لكن أعضاؤه تسبح من غير شعور منه.

والشفاعة التي أعطيت للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين إنما أصلها انصباب النور المحمدي على جوهر النبوة فينبسط من جوهر النبوة إلى الأنبياء والأولياء الصديقين، وتندفع الأنوار من الأنبياء والصديقين إلى الصالحين، ثم بعد إلى الخلق أجمعين.

وقلت لرجل قد أحاط به الهم والغم، حتى كاد يمنعه من الأكل والشرب والنوم: يا إبن فلان: إسكن لقضاء الله، وعلق قلبك بالله، ولا تيأس من روح الله، وانتظر الفرج من الله،

وإياك والشرك بالله، والنفاق مع رسول الله ﷺ، وسوء الظن بالله، فإنها موجبة لدوائر السوء من الله، وغضبه ولعنته وإعداد ناره، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: 6]. فعليك بحسن الحياء، فرأيته في المنام أسيرا مربوطا بين يدي رسول الله ﷺ، وهو يتلوا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 70- 71] فقلت: وما النفاق مع رسول الله ﷺ؟ قال: التظاهر بفعل السنة، والله يعلم منك غير ذلك، قلت: وما الشرك بالله؟ قال: اتخاذ الأولياء والشفعاء دون الله، قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: 5] ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: 43]. وقال رسول الله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا» (رواه البخاري: 2/ 520). فحقا بحق، حيث أمركم الله ورسوله بحق، وقد بين لك حق البيان، بقوله: «تؤجروا» فمن شفع في المعصية، أو في طلب الجاه والمنزلة، أو في طلب الدنيا بالرغبة لا يؤجر؟ بل يعذب على ذلك، و ﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: 15]. وقلت: فما سوء الظن بالله؟ قال: من رجا غير الله، واستنصر بغير الله شيئا الذي من الله، أن ينصره فقد ساء ظنه بالله ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: 15].

وأكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين، وأمرهم بالمعروف، وانههم عن المنكر، وأقم عليهم الحدود واهجرهم رحمة بهم، لا تعززا عليهم، ولا تقتد بمن يتورع عما تناولته أيدي المسلمين، ولا يتورع عما مسته أيدي الكافرين، وقد علم ما نال الحجر من أيدي المشركين فاسود لذلك، فلو كشف عن نور المؤمن العاصي، لطبق السماء والأرض، فما ظنك بنور المؤمن المطيع، ويكفيك في تعظيم المؤمنين وإن كانوا عن الله غافلين قول رب العالمين: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ﴾ فانظر كيف أثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم، واعلم أنه لا بد في مملكته من عباد هم نصيب الحلم، ومحل ظهور الرحمة والمغفرة، ووقوع الشفاعة.

وقال لي رجل: يا سيدي كان بجوارنا البارحة من المنكرات كيت وكيت، وظهر من ذلك الرجل استغرب أن يكون هذا، فقلت: يا هذا، كأنك تريد أن لا يعصى الله في مملكته، ومن أحب أن لا يعصى الله في مملكته، فقد أحب أن لا تظهر مغفرته، وأن لا تكون شفاعة نبيه ﷺ، وكم من مذنب كثرت إساءته، وذلة مخالفته أوجبت له الرحمة من ربه فكان به رحيما.

وإذا كانت لك حاجة وأردت أن تقضي حاجتك فاثبت الملك والقدرة والعلم والإرادة والمشيئة لله تبارك وتعالى، واجعل فقرك إليه وحاجتك عنده سبحانه وتعالى، وأحذرك أن يمتد بصر قلبك إلى غير الله تبارك وتعالى فتحجب عن الله بل فوض أمرك إليه سبحانه وتعالى. ولا تفرح ولا تحزن ولا تخف ولا ترج ولا تذل، والمؤمن لا يذل نفسه وقل: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

ومن شفع طلبا للجاه والمنزلة، أو لعرض الدنيا، عذبه الله على ذلك ﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 15].

[الشكر]

فتح الله علي مرة بشيء من الدنيا ففرحت بها لأستعين أو أعين بها، فجعلت أحمد الله وأشكره؛ والشكر معرفة قائمة بالقلب، والحمد كلمة قائمة باللسان، فكنت أجمع بينهما فواظبت على ذلك وقتا من الليل، فنمت فرأيت أستاذي رحمه الله تعالى يقول: استعذ بالله تعالى من شر الدنيا إذا أقبلت، ومن شرها إذا أدبرت، ومن شرها إذا أنفقت، ومن

شرها إذا أمسكت، فجعلت أقول: أعوذ بالله من شر الدنيا إذا أقبلت، وأعوذ من شرها إذا أدبرت، فجعلت أقول كذلك فوصل الشيخ كلامي فقال: ومن المصائب والرزايا، والأمراض البدنية والقلبية والنفسية، جملة وتفصيلا بالكلية، وإن قدرت شيئا فاكسني حلل الرضى والمحبة، والتسليم، وأثواب المغفرة والتوبة، والإنابة المرضية.

وقلت يوما وأنا في مغارة في سياحتي: إلهي متى أكون لك عبدا شكورا؟ فإذا قائل يقول لي: إذا لم تر في الوجود منعما عليك غيري. فقلت: إلهي كيف لا أرى منعما عليه غيري وقد أنعمت على الأنبياء، قد أنعمت على العلماء، وقد أنعمت على الملوك؟ فإذا قائل يقول لي: لولا الأنبياء لما اهتديت، ولولا العلماء لما اقتديت، ولولا الملوك لما أمنت. فالكل نعمة مني عليك.

ولا يكمل شكر العبد لربه تعالى حتى يرى نعمة ملوك الدنيا دون نعمته هو من حيث إنهم مسخرون له، وإيضاح ذلك أن جميع من هو فوق مقام العبد من جملة نعم الله عليه كالأنبياء والملوك فلولا الأنبياء ما اهتدى، ولولا الملوك ما أمن على نفسه وماله وحريمه.

فقال لي قائل: وكيف ذلك؟ فقلت: يرى جميع ملوك الدنيا من جملة نعمة الله عليه؛ لأنه بوجودهم يحفظ الله الوجود، ويأمن الناس على أنفسهم وأموالهم، ويقومون بشعائر دينهم. فكل من هو فوقه ممن ذكر من جملة نعم الله عليه، فكأنهم مسخرون له وهو الرئيس عليهم، فافهم، ومن هنا ورد سيد القوم خادمهم.

ودخل علي فقير وعليه لباس من شعر، فما فرغت من كلامي دنا مني وأمسك بملبسي، وقال: يا سيدي ما عبد الله بمثل هذا اللباس الذي عليك؟، فأمسكت ملبسه فوجدت فيه خشونة فقلت له: ولا عبد الله بمثل هذا اللباس الذي عليك؟ لسان حالي يقول: الحمد لله

الذي تفضل علي، فلا احتاج إلى أحد من الخلق، ولسان حالك يقول: انظروا حالي فأعطوني مما أعطاكم.

وقلت لرجل يشرب الماء السخن: يا بني، برد الماء؛ فإنك إذا شربت الماء السخن، فقلت: الحمد لله. تقولها بكزازة، وإذا شربت الماء البارد، فقلت: الحمد لله؛ استجاب كل عضو فيك بالحمد لله، ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24]. والذي يشرب الماء البارد، ويحمد الله من وسط قلبه، يعني مرتبة الشكر، أتم من حالة الصبر، فإن الأول يورث المحبة، نعم. إذا لم يوجد فمقامه الصبر، وبهما يتم مقام الرضى بالقضاء، وهو باب الله الأعظم، وإذا شربت الماء الحلو أحمد ربي من وسط قلبي، وليس في شرب الماء المالح فضيلة.

وكلوا من أطيب الطعام واشربوا من ألذ الشراب، وناموا على أوطأ الفراش، والبسوا ألين الثياب، وأكثروا من ذكر ربكم فإن أحدكم إذا فعل ذلك وقال: الحمد لله، يستجيب كل عضو فيه للشكر بخلاف ما إذا أكل خبز الشعير بالملح ولبس العباءة، ونام على الأرض، وشرب الماء المالح السخن وقال: الحمد لله، فإنه يقول ذلك وعنده اشمئزاز وبعض سخط على مقدور الله عز وجل. ولو أنه نظر بعين البصيرة لوجد الاشمئزاز والسخط الذي عنده يرجح في الإثم على من تمتع بالدنيا بيقين، فإن المتمتع بالدنيا فعل ما أباحه الحق سبحانه وتعالى، ومن كان عنده اشمئزاز وسخط فقد فعل ما حرمه الحق عز وجل.

وإذا سألت فاسأل الله، فإن أعطاك فاشكر، وإن منعك فارض عنه، وإياك وكزازة النفس وسوء الظن وغلبة الشهوة، فتحرم المعرفة والرضى والمغفرة وتحجب عن الله وتطرد من المحل الأعلى إلى أسفل من ذلك ولست تدري أن يرميك إلى حدود أسفل السافلين.

وإذا أردت أن تسأل حاجة من الناس فارفعها إلى الله قبل أن ترفعها لأحد منهم، فإن قضاها لك منهم فاشكره واشكرهم، وإن لم يقضها لك منهم، فأرضى عن الله ولا تنسب شيئا لأحد منهم، ولا تذم أحدا إلا بما ذمه الله، ولا تمدح أحدا إلا بما مدحه الله، وإلا فأمسك فهو أسلم لك، واهنأ للرضى من الله عنك واعبد الله باليقين ترفع إلى الدرجات العلا وإن قل عملك. وأنظر وجودك أكنت لنفسك بشيء بل الله كان لك بفضله؟ فلما عرفت فضل الله عليك في حركة شيء من علمك وكسبك فغرقها في فضل الله عليك قبل أن تغرقك.

أحمدك كما أطيقه، وإن كنت عاجزا عما أنت أهله ومستحقه، وأشكرك على نعمك التي لا أحصيها، شكرا يقتضي زيادتها ويستدعيها، على أني عاجز عن شكرك والقيام بواجب ذكرك؛ لأني إن اعتقدت الشكر فبالعقل الذي أعطيت، وإن تكلمت فبالنطق الذي آتيت، وإن تعبدت فبالقدرة التي أوليت، فأين الشكر الذي أضيفه لنفسي؟ فإن جميع ذلك هو لك ومنك.

ولا فرق بين أن يقول العبد: أنا عالم، أنا صالح، أنا ورع، أنا زاهد ونحو ذلك، ولا بين قوله: إن الله تعالى خلقني، ورزقني، وكفاني، وآواني، فإن كلامي ذلك إنما هو من باب شكر العبد لنعمة الله تعالى عليه.

يقول الله عز وجل: يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك، وخلقتك لأجلي، فلا تشتغل بما هو لك، عمن أنت له.

ومن بخل الصوفي أن يأكل ولا يشرب، قال ﷺ: من سقى مؤمن شربة ماء مع وجود الماء كان كمن اعتق سبعين من ولد إسماعيل، وإذا أكلتم طعام إنسان فاشربوا عنده حتى ينال هذا الأجر العظيم.

[الصبر]

الصبر: مقام من مقامات الأنبياء والصديقين، وهو الصبر على البلاء، والصبر على إيذاء الآخرين، والصبر في مكابدة الحياة فمن اجتاز هذا المقام، حاز القبول عند الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾ [النحل: 127]. فليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير، والنخالة، ولا ببقية الصناعة، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: 24- 25].

وجعت مرة ثمانين يوما، فخطر لي أن قد حصل لي من هذا الأمر شيء، وإذا بامرأة خارجة من مغارة، ووجهها كأنه الشمس حسنا، وهي تقول: منحوس، منحوس، جاع ثمانين يوما، فأخذ يدل على الله بعمله، وها أنا لي ستة أشهر لم أذق طعاما.

وتفسير الحكاية المشهورة عن سمنون المحب أنه كان ينشد شعرا:

وليس لي في سواك حظ   فكيف ما شئت فاختبرني

فابتلي بعلة احتباس البول، فتجلد يوما فزاد الألم، فتجلد الثاني فزاد الألم، فتجلد ثالثا ورابعا والألم يزيد، وفي صبيحة اليوم الرابع إذا بإنسان من أصحابه قد أتاه، وقال: يا سيدي سمعت البارحة صوتك عند دجلة وأنت تستغيث إلى الله وتسأل رفع ما نزل بك، فجاءه ثان وثالث ورابع ولم يكن هو سأل، فعلم أنها إشارة من الله له بالسؤال، فصار يدور على صبيان المكاتب ويقول: ادعوا لعمكم الكذاب": يرحم الله سمنونا، عوض ما قال: فكيف ما شئت فاختبرني، كان يقول: فكيف ما شئت فاعف عني، فطلب العفو أولى من طلب الاختبار.

[الصحبة]

لا تصحب من يؤثر نفسه عليك، فإنه لئيم، ولا من يؤثرك على نفسه، فإنه قل ما يدوم لك، واصحب من إذا ذكر، ذكر الله، فالله ينوب عنه إذا فقد، ويغني به إذا شهد، ذكره نور القلوب، وشهوده مفتاح الغيوب، وليكن قصدك الله، وحب الموت مع كل قدم، ولا تطيل أملك، ولا تصحب من هو بهذا الوصف، فإن صحبته فلا تعول عليه، وارفضه بأول قدم، وعامله بالمعروف مدة الصحبة معك.

ومن لم يذق الأنس مع الله إذ أعرض عنه من ينفع أو من يؤذي بأشد من قوته إذا أقبلوا عليه فليس معه من الأنس بالله لا قليل ولا كثير.

والصحبة مع الله تؤدي إلى رفض الشهوات والمشيئات، ولن يصل العبد إلى الله تعالى وبقي معه شهوة من شهواته، ولا مشيئة من مشيئاته أو تدبير من تدبيراته أو إختيار من إختياراته فلو خلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل إليه أبدا ولكن إذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده إليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته له، والله الموفق.

وقال لي شيخي: لا تصحب إلا من تكون فيه أربع خصال: الجود من القلة، والصفح عن المظلمة، والصبر على البلية، والرضى بالقضية.

والناجي من صحبة الفقراء قليل، وأكثر الناس هلك لأنهم يبينون للناس طريق الهدى، ثم يخالفون ذلك إلى طريق الضلال بعد بيان.

[الطاعة]

إياك أن تؤخر طاعة وقت لوقت؛ فتعاقب بفواتها، أو بفوات غيرها أو مثلها، جزاء لتأخيرها ومن ضيعت من ذلك الوقت، ولهذا قالوا: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، واعلم أن الله تعالى عليك في كل وقت سهما في حق العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية. والعبد مطلوب بذلك ومسؤول عنه، وعن أنفاسه التي هي أمانة الحق تعالى عنده. فقلت في نفسي: قد أخر عمر الصديق رضي الله عنه الوتر إلى آخر الليل؛ فإذا هو بصوت في النوم يقول: تلك لي عادة جارية، وسنة ثابتة، ألزمه الله تعالى إياها، مع المحافظة عليها، فأني لك بها مع الميل إلى الراحات، والركون مع الشهوات -هيهات- والدخول في أنواع المخالفات، والغفلة عن المشاهدات، هيهات، فقلت في نفسي: أتدبير أم رفض؟ فقال: بل تدبير يقتضي الأدب، والتنبيه لما أغفل، وهي وصية الله إليك، ووصيته منك لعباده الصالحين، فتنبه لها، ولا تكن من الغافلين.

وقال أستاذي: أجمل الطاعة أن يدخلك عنده ويرخي عليك الحجاب. وقيل لي مرة ما الذي استفدت من طاعتي؟ وما الذي استفدت من معصيتي؟ فقلت: استفدت من طاعتك: العلم الزائد، والنور النافذ، والمحبة الصادقة، واستفدت من المعصية: الغم، والحزن، والخوف، والرجاء، وعدم الرضا.

وورد في بعض الأخبار: من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء، كأنه يقول: من أطاعني في كل شيء بهجرانه لكل شيء أطعته في كل شيء بأن أتجلى له في كل شيء حتى يراني أقرب إليه في كل شيء، وهذه في الطاعة، وهي طريق أولى في حق العوام الصالحين السالكين.

وطريق كبرى: وهي الطاعة في حق الخواص من الصديقين فطاعتهم باليأس منهم من أطاعني بإقبالهم على كل شيء لحسن إرادة مولاهم في كل شيء، كأنه يقول: من أطاعني

بكل شيء، بإقباله على كل شيء، لحسن إرادتي في كل شيء، أطعته في كل شيء، بأن أتجلى له في كل شيء، حتى يراني كأني أقرب إليه من كل شيء.

وقال ﷺ: «الصلاة صلة بين العبد وربه وعلامة الوصلة انصباب الرحمة بشواهد المحبة، وشواهد المحبة رفع الحجاب والتلذذ بالخطاب».

وحقيقة اللذة وقوع القلب على الشيء المتلذذ به معنا وإيمانا بالقلب مصورا. وعليك بالمطهرات الخمس في الأقوال، والمطهرات الخمس في الأفعال، والتبرؤ من الحول والقوة في جميع الأحوال، وغص بعقلك إلى المعاني القائمة بالقلب، واخرج عنها وعنه إلى الرب، واحفظ الله يحفظك، وتجده أمامك، واعبد الله بها، وكن من الشاكرين.

والمطهرات الخمس في الأقوال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والمطهرات الخمس في الأفعال: الصلوات الخمس، والتبرلا من الحول والقوة؛ وهي قولك: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا أجر لمن أخذ الأجر والرشا على الصلاة والصيام وتنعم بمطامع تلك الأبصار عند إطراق الرؤوس والاشتغال بالأذكار وجناية هؤلاء بالإضافات ورؤية الطاعات أكثر من جناياتهم بالمعاصي وكثرة المخالفات وحسبهم ما يظهر من الطاعات وإجابة الدعوات والمسارعة إلى الخيرات، ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى من تملق إليه في الأسحار بالطاعات ليطلب مسرته بذلك والقرب من العباد، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ. أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.

ومن أساء الأدب في الطاعة عوقب بالحجاب، ومن ركن إلى أحواله انقطع عن المزيد، ومن أفرط في القلق والاستعجال عوقب بخراب السر.

واعلموا ان الله أودع أنوار الملكوت في أصناف الطاعات فأي من فاته من الطاعات صنف أو أعوزه من الموافقات جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك ولا تهملوا شيئا عن

الطاعات ولا تستغنوا عن الأوراد بالواردات ولا ترضوا لأنفسكم بما رضى به المدعون بحر الحقائق على ألسنتهم وخلوا أنوارها من قلوبهم انتهى. فينبغي للعبد ان يواظب على أصناف الطاعات وينساها بعدما عملها كيلا يبطلها العجب لأنه يقال: حفظ الطاعة أشد من فعلها، لأن مثلها كمثل الزجاج يسرع إليه الكسر ولا يقبل الجبر وكذا الخيرات إذا أزيلت بالمخالفات وكفلها زكريا الفعل لله تعالى بمعنى وضمنها الله إلى زكريا وجعله كافلالها وضامنا لمصالحها قائما بتدابير أمورها والكافل هو الذي ينفق على إنسان ويهتم بإصلاح مصالحه وفي الحديث «أنا وكافل اليتيم كهاتين» وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدون من أولاد سليمان عليه السلام ابن داود عليه السلام- روى- ان حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة أي خذوها.

ولا تؤخر طاعات وقت لوقت آخر؛ فتعاقب بفواتها أو بفوات غيرها أو مثلها جزاء لما ضيعت من ذلك الوقت، فإن لكل وقت سهما، فحق العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، وأما تأخير عمر رضي الله عنه الوتر إلى آخر الليل فتلك عادة جارية، وسنة ثابتة ألزمه الله تعالى إياها مع المحافظة عليها، وأنى لك بها مع الميل إلى الراحات، والركون مع الشهوات، والغفلة عن المشاهدات، هيهات هيهات هيهات. ومن ادعى فتح عين قلبه وهو يتصنع بطاعة الله تعالى، أو يطمع فيما في أيدي خلق الله فهو كاذب.

ومن ادعى أنه خلص من محبة الحمد على الطاعات فليمتحن نفسه بما لو ذمه الناس، فإن تغير للذم فهو يتغير للمدح.

وأعلنوا بطاعاتكم إظهارا لعبوديتكم، كما يتظاهر غيركم بالمعاصي، وعليكم بالإعلام للناس بما منحكم الله تعالى من العلوم والمعارف.

ومتى رزقك الله الطاعة والفناء به عنها فقد أسبغ عليك نعمه ظاهرة إذ أراح ظاهرك من مخالفة امره. وباطنة إذ رزقك الاستسلام لقهره وهذا هو مطلب الحق منك.

[طريق الخصوص والعموم]

اعلم أن العلوم التي وقع الثناء على أربابها، وإن جلت، فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق، وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات، وعموم الصفات، فصاروا هناك بلا هم، وهم الخاصة العليا، الذين ورثوا الأنبياء والرسل عليهم السلام في مراتبهم وأسرارهم وأحوالهم في العلوم اللدنية، وإن جلت مراتب الأنبياء والرسل فلهم منها نصيب؛ إذ ما من نبي ولا رسول إلا وله من هذه الأمة وارث، وكل وارث على قدر إرثه من موروثه، قال رسول الله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»؛ عليهم الصلاة والسلام (رواه أبو داود: 3/ 317).

ولا يكون وارثا إلا وله نصيب معلوم من موروثه، يقوم مقامه على سبيل إرث العلم والحكمة، لا على سبيل التحقيق بالمقام والحال؛ فإن مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قد جلت أن يلمح حقائقها غيرهم، وكل وارث في المنزلة الموروثة لا يكون إلا بقدر موروثه فقط؛ إذ يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: 55]. فكما فضل الله تعالى بعض الأنبياء على بعض كذلك فضل بعض الأولياء على بعض، إذ الأنبياء عليهم السلام أعين الحق، وكل عين مستمد منها على قدرها؛ وكل ولي له مادة مخصوصة.

فانقسم الأولياء إلى ضربين: صالحون وصديقون، ضرب منهم الصالحون وهم أبدال الأنبياء، و ضرب منهم الصديقون وهم أبدال الرسل، وبين الصالحين والصديقين في التفضيل كما بين الأنبياء والمرسلين، فمنهم ومنهم. غير أن منهم طائفة انفردوا بالمادة من رسول الله ﷺ، يشهدونها عين اليقين، لكنهم قليلون، وهم في التحقيق كثيرون. وكل

نبي وولي، مادته بالأصالة من رسول الله ﷺ، فمن الأولياء من يشهد عينه، ومنهم من يخفي عليه عينه ومادته، فيفنى فيما يرد عليه، ولا يشتغل بطلب مادته؛ بل هو مستغرق بحاله، لا يرى غير وقته.

ومنهم طائفة أيضا الذين مدوا بالنور الإلهي، فنظروا به حتى عرفوا أمرهم على التحقيق، وذلك كرامة لهم، لا ينكرها إلا من ينكر كرامات الأولياء، فنعوذ بالله من النكران بعد العرفان، وهم الذين أخذوا طريقا لم يأخذه غيرهم، إذ الطريق طريقان: طريق خاصة وطريق عامة، وأعني بالخاصة: المحبوبين، الذين هم أبدال الرسل؛ وأعني بالعامة المريدين المحبين، الذين هم أبدال الأنبياء، فعلى جميعهم السلام. وأما طريق الخاصة؛ فهو طريق علوي تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها، ولكن عليك بمعرفة طريق العامة بعد معرفته: وهي طريق الترقي من منزل إلى منزل إلى أن ينتهي إلى منزل وهو ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 55]. فأول منزل يطأه المحب للترقي منه إلى العلا الأعلى هو النفس؛ فيشتغل بسياستها ورياضتها، إلى أن ينتهي إلى معرفتها. فإذا عرفها وتحقق بها، فهنالك تشرق عليه أنوار المنزل الثاني.

وأنوار المنزل الثاني: هو القلب، فيشتغل بسياسته إلى أن يصل إلى معرفته فإذا صح له ذلك، ولم يبق عليه منه شيء رقي إلى المنزل الثالث، وهو الروح، فيشتغل بسياستها ومعرفتها، فإذا تمت له المعرفة بها، هبت عليه أنوار اليقين شيئا فشيئا، حتى إذا أنست بصيرته بترادف الأنوار عليها، برز اليقين عليه بروزا لا يعقل فيه شيئا بما تقدم له من أنوار المنازل الثلاثة؛ فهناك يهيم في بحور ما شاء الله.

ثم يمده الله تعالى بنور العقل الأصلي في أنوار اليقين، فيشهده موجودا لا حد له ولا غاية بالإضافة إلى هذا العبد؛ وتضمحل جميع الكائنات فيه، فتارة يشهدها فيه كما تشهد الينابيب في الهواء بواسطة نور الشمس، فإذا انحرف نور الشمس عن الكوة، لا يشهد

لليانبيب أثرا، فالشمس التي يبصر بها: هو العقل الضروري بعد المادة بنور اليقين، فإذا اضمحل هذا النور، ذهبت الكائنات كلها، وبقي هذا الموجود، فتارة يبقى وتارة يفنى، حتى إذا أريد به الكمال، نودي منه نداء خفيا لا صوت له، فيمد بالفهم عنه: ألا إن الذي يشهده غير الله تعالى، ليس من الله في شيء، فهنالك ينتبه من سكرته، فيقول: أي ربي أغثني، أي ربي أغثني وإلا فإنني هالك، فيعلم يقينا أن هذا البحر لا ينجيه منه إلا الله عز وجل؛ فحينئذ يقال له: إن هذا الموجود هو العقل، الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل» (رواه الديلمي: الفردوس: 1/ 13)، وفي خبر آخر: قال له: «أقبل فاقبل» الحديث، فأعطي هذا العبد الذل والإنقياد لنور هذا الوجود، إذ لا يقدر على حده وغايته، فعجز عن معرفته، فقيل له: هيهات، أن تعرفه إلا بغيره، فأمد الله عز وجل العبد بنور أسمائه، فقطع ذلك كلمح البصر، أو كما شاء الله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: 83]؛ ثم أمده الله تعالى بنور الروح الرباني، فعرف به هذا الموجود، فرقي إلى ميدان الروح الرباني، فذهب بجميع ما تجلى به هذا العبد، وما تخلى عنه بالضرورة، وبقي كل شيء موجود.

ثم أحياه الله تعالى بنور صفاته، فأدرجه بهذه الحياة في معرفة هذا الموجود الرباني، فلما استنشق من مبادئ صفته، كاد أن يقول: هو الله، فلحقته العناية الأزلية، فنادته: ألا إن هذا الموجود هو الذي لا يجوز لأحد أن يصفه بصفة، ولا أن يعبر عنه بشيء من صفاته لغير أهله، لكن بنور غيره يعرفه، فأمده الله بنور سر الروح، فإذا هو وجد نفسه جالسا على باب ميدان السر، فنظر فعرف أوصاف الروح الرباني بنور السر، فرفع همته ليعرف هذا الموجود الذى هو السر، فعمي عن إدراكه، فتلاشت جميع أوصافه، كأنه ليس بشيء.

ثم أمده الله تعالى بنور ذاته، فأحياه به حياة باقية لا غاية لها، فنظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة؛ فصار أصل الموجودات ووجد نور الحق شائعا في كل شيء، لا يشهد غيره، فنودي من قريب: لا تغتر بالله، فإن المحجوب من حجب عن الله بالله لا بغيره؛ إذ

محال أن يحجبه غيره، فيحيى بحياة استودعها الله تعالى فيه، فقال: أي يا رب، أقل عثرتي، فإني أعوذ بك منك وإليك، حتى لا أرى غيرك، فهذا هو سبيل الترقي إلى حضرة العلي الأعلى، وهو طريق المحبين، الذين هم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والذي يعطي الله تعالى أحدهم من بعد هذا المنزل، حالا لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة؛ والحمد لله على نعمائه، والصلاة على محمد خاتم أنبيائه.

وأما الطريق المخصوص بالمحبوبين: فإنه ترق منه إليه به، إذ محال أن يتوصل إليه بغيره، فأول قدم لهم بلا قدم، أن ألقى عليهم من نور ذاته، فغيبهم بين عباده، وحبب إليهم الخلوات، وصغرت لديهم الأعمال الصالحات، وعظم عندهم رب الأرضين والسماوات. فبينما هم كذلك، إذ ألبسهم ثوب العدم، فنظروا فإذا هم، ولا هم، ثم أردف عليهم ظلمة شديدة غيبتهم عن نظرهم، بل صار نظرهم عدما لا علة له تتعلق، فانطمست جميع العلل، وزال كل حادث، فلا حادث ولا وجود، بل ليس إلا العدم المحض الذي لا علة له، وما لا علة له فلا معرفة تتعلق به، واضمحلت المعلومات وزالت المرسومات، زوالا لا علة له فيه، وبقي من أشير إليه، لا وصف له، ولا صفة له، ولا ذات، فاضمحلت النعوت والأسماء والصفات كذلك، فلا إسم له ولا صفة ولا ذات، فهناك ظهر من لم يزل ظهورا لا علة فيه، بل أظهر سره لذاته، في ذاته، ظهورا لا أولية له، بل نظر من ذاته لذاته بذاته في ذاته، فحيى هذا العبد بظهوره حياة لا علة فيها، فظهر بأوصاف جميلة كلها لا علة لها، فصار أولا في الظهور، لا ظاهر قبله، فوجدت الأشياء بأوصافه جميلة كلها، وظهرت بنوره في نوره سبحانه وتعالى.

فأول ما ظهر: سره، فطهر به قلبه، ثم ظهر أمره بسره في سره، وظهرت بأمره الذوات في نور العلم بنور القلم، ثم ظهر عقله بأمره في أمره، وظهر به عرشه في نور لوحه بنور لوحه، ثم ظهر نور روحه بعقله في عقله، وظهر بروحه كرسيه في نور عرشه بنور عرشه، ثم ظهر قلبه بروحه في روحه، فظهر بقلبه حجبه في نور كرسيه، بنور كرسيه، ثم ظهرت نفسه بقلبه

في قلبه، فظهر بنفسه فلك للخير وللشر في نور حجبه بنور حجبه، ثم ظهر جسمه بنفسه في نفسه، فظهر بجسمه أجسام العالم الكثيف من أرض وسماء كلها، وعلى الجملة كل كثيف في نور الفلك بنور الفلك.

فإذا أول قدم هذا المحبوب الفرد، طرح النفس عدما، فهو طرح لا علة فيه، وهو استقبال العدم بسقوط الأولية والآخرية، والظاهرية والباطنية، فيكون استقبال صفة معدومة لمعدوم، ومعناه: لما انتهى العبد بدليل العلة، وهو شهود الحق وهو منزه عنه فالمراد به اختلاف التجليات كالتحلي الصفاتي والذاتي. وشهود الحق كلا شهادة، متصلة غير منفصلة، شهادة لا غفلة فيها، قام عليه دليل لا علة فيه، ولا له، وهو شهود العدم المحض، ومعنى قيام الدليل الذي لا علة فيه: ضرورة عدم المخلوقات المشهودات، هو ذلك، فترادف عليه ذلك العدم المحض، وهو سكرة النسيان الدائم أبدا، حتى قد حيي الحياة التي قد أشير إليها فيما تقدم من الكلام على هذا المقام، فإذا طريق هذا العبد، طريق علوي، فأول ما طرح العبد هنا في بحر الذات، فانعدم فأحيا حياة طيبة، ثم يغطس من غير تنقل إلى بحر الصفات، ثم بحر الأمر الرباني بعده، ثم إلى بحر السر، ثم إلى بحر القلم الأصلي، ثم إلى بحر الروح، ثم إلى بحر القلب الحسي، ثم إلى بحر النفس، ثم إلى بحر الحس والجسد، ثم لقيه بحر السر فطرحه في بحر القلمية، ثم بحر اللوحية، ثم بحر العرشية، ثم بحر الكرسي، ثم بحر الحجبية، ثم بحر الفلكية، فلقيه بحر السر المحيط، فطرحه في بحر الملكية، ثم بحر الإبلسية، ثم بحر الجنية، ثم بحر الإنسية، فلقيه هناك بحر السر المحيط، فطرحه في بحر الجنان، ثم بحر النيران، ثم طرحه في بحر الإحاطة، وهو بحر السر، فإذا دخل بحر السر غرق هناك غرقا لا خروج له منه أبدا إلا بإذن، فإن شاء تعالى بعثه نائبا عن النبي ﷺ يحيي به عباده؛ وإن شاء ستره، ويفعل في ملكه ما يشاء.

وكل بحر من هذه الأبحر، قد انطوت فيه أبحر شتى، لو دخل فيها الصالح، الذي هو بدل الرسول في أقل بحر من هذه الأبحر لغرق فيه غرقا لا نجاة له منه، فهذه عبرة من بيان

طريق الخصوص والعموم، والحمد لله رب العالمين كثيرا أولا وآخرا وظاهرا وباطنا على كل كاشف الغموم والصلاة على منبع العلوم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما دائما أبدا، آمين.

[الطريق القصد إلى الله تعالى]

الطريق القصد إلى الله تعالى أربعة أشياء؛ فمن جازهن كلهن فهو من الصديقين المحققين؛ ومن جاز منهن ثلاثا فهو من أولياء الله المقربين؛ ومن جاز منهن اثنتين فهو من الشهداء الموقنين؛ ومن جاز منهن واحدة فهو من عباد الله الصالحين. أولها: الذكر؛ وبساطه العمل الصالح، وثمرته النور. والثاني: التفكر؛ وبساطه الصبر، وثمرته العلم. والثالث: الفقر؛ وبساطه الشكر، وثمرته المزيد منه. والرابع: الحب؛ وبساطه بغض الدنيا وأهلها، وثمرته الوصلة بالمحبوب.

واعلم أيدك الله إنك إذا أردت الوصول إلى الله، فاستعن بالله، واجلس على بساط الصدق مشاهدا ذاكرا له بالحق، ورابطا قلبك بالعبودية المحصنة على سبيل المعرفة، ولازم الذكر والمراقبة والتوبة والاستغفار، فأنا أشرح لك هذه الجملة لئلا يقع الغلط فيها على سبيل الوصلة، وهي أن تقول: الله الله مثلا، أو ما شاء الله من الذكر، مراقبا لقلبك بالتقوى أي بترك الدفع عن نفسك والجلب لها، وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى قوله عز وجل: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ [الملك: 20]، فهذه الآية في الدفع، وفي الجلب قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك: 21].

ووصف الذكر أن تذكر بلسانك وتراقب بقلبك فما ورد عليك من الله من خير قبلته وما ورد عليك من ضده كرهته رجاءا إلى الله تعالى في الدفع، والجلب كما وصفت لك

واحذرك أن تدفع أو تجلب لنفسك أوعنها شيئا إلا بالله، فإن خامر سرك شيء من ذنب، أو عيب، أو نظر إلى عمل صالح، أو حال جميل، فبادر إلى التوبة والاستغفار من الجميع؛ أما من الذنب أو العيب فواجب شرعا، وأما من النظر للعمل الصالح أو الحالة الجميلة فالغه، واعتبر باستغفار النبي ﷺ بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، هذا في معصوم لم يقترف ذنبا قط، وتقدس عن ذلك ﷺ، فما ظنك بمن لا يخلو من ذنب أو عيب في وقت من الأوقات.

وأما الجلوس على بساط الصدق فبتحقيق أوصافك من الفقر والضعف والعجز والذل واجلس عليها ناظرا لأوصافه تعالى من الغنى والقدرة والعزة والقوة فتلك من أوصاف العبودية وهذه من أوصاف الربوبية، والصدق ملازمة أوصافك ولا تنتقل عنها إلى ما ليس لك فتكون من الخائبين بقلب الحقائق، وقل: يا غني يا قوي يا قدير يا عزيز من للفقير غير الغني، من للضعيف غير القوي، ومن للعاجز غير القادر، ومن للذليل غير العزيز فأجلسني على بساط الصدق وألبسني لباس التقوى الذي هو خير وهو من آياتك واحجبني بعظمتك عن كل شيء هولك واملأ قلبي بمحبتك حتى لا يكون فيه متسع لغيرك إنك على كل شيء قدير.

والطريق إلى الله تعالى أربعة: طريق الصالحين، وطريق العلماء، وطريق الأولياء المقربين، وطريق الصديقين المحققين. فطريق الصالحين: بأداء الفرائض واجتناب المحارم وأخذ الحلال وترك مظالم العباد على بساط الذكر والاستغفار والتوبة. وطريق العلماء المؤمنين: بصحبة العلم وإخلاص العمل وصدق الورع وحسن النية لله هي في جميع الأعمال على بساط التفكر والشوق والتشوق. وطريق الأولياء المقربين: بمراقبة القلب وفراغ السر وجمع الهم، والتحقيق هذه على بساط المحبة والمعرفة والرسوخ في الغيب.

وطريق الصديقين المحققين: برفع الحجاب عن القلب والتمتع بالخطاب مع الرب والإشراف على الدارين والتحقق بالبقاء على بساط المحبة الذاتية والرحمة اللدنية والمغفرة؛ ولذلك قال ﷺ: «إن رجالا غابوا في غيب الغيب علت همتهم على الدنيا ترفعا عن الآخرة تطرفا وبمولاهم تعرفا وكانوا بالحق وللحق غيرة منه عليهم أن يشهدهم غيره، ولا غير في التحقيق».

وإذا أردت الوصول إلى الطريق التي لا لوم فيها، فليكن الفرق في لسانك موجودا والجمع في سرك مشهودا. ولقد اخترت أولادي من اللوح المحفوظ فعليك أيها المحب التحقق من إتصالك بوالدك المعنوي، بالهمة والمجاهدة والصبر على أحوال الطريق.

ومن الناس من حرك الله همته لطلب الوصول إليه، فصار يطوي مهام نفسه، وبيداء طبعه، إلى أن وصل إلى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]. ومن الناس من فاجأته عناية الله من غير طلب ولا اسعداد.

[الطلب]

إن طلبت شيئا من الدنيا يوما ما فاشهد طلب الله لك في طلبك له فإنك مطلوب بالطلب فإن خرج لك الطلب منه مخرج الرضى فادخل ولا تتعلق بالظفر به فإنك لا تدري أتمل به أم لا فإن وصلت إليه فلست تدري أهو لك أم لغيرك وإن كان لك فلست تدري أفيه الخير لك أم الشر فإن كان لغيري فليس لك به علم هل هو لحبيبك أم لعدوك.

وعلى الجملة كيف يسكن القلب إلى موهوم تتصور فيه هذه الوجوه كلها وأكثر من ذلك فاطلبه وأنت متعلق بالله تعالى وناظر إليه واستعمل الشكر إن ظفرت به والصبر والرضى إن لم تظفر به بل الحمد والثناء على الله عز وجل لأنه لم يمنعك عن بخل وإنما

منعك نظرا لك فإذا منعك فقد أعطاك ولكن لا يفهم العطاء في المنع إلا الصديقين وإن خرج الطلب من الله مخرج السخط بدلالة مخالفة العلم أو ما يكاد فالجأ إلى الله وفر إليه حتى يكون هو الذي يخلصك ويفعل ما يشاء والعاقبة للمتقين.

[الظلم]

من نسب أو أضاف أو أحب أو أبغض أو تحبب أو تقرب أو خاف أو رجا أو سكن أو أمن لشيء غير الله، أو تعدى حدا من حدود الله فهو ظالم، والظالم لا يكون إماما. قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

والغل هو ربط القلب على الخيانة والمكر والخديعة، والحقد مثله وهو شدة ربط القلب على الخيانة المذكورة ألا ينسى ولا يغفل عنه.

وينبغي مجانبة الظلمة، بمجانبة الظلمة تقع السلامة في الدين، لأن صحبة الظلمة تكشف نور الإيمان، وبمجانبتهم تكون أيضا النجاة من عقوبة الله تعالى. وآذاني إنسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لي: من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم.

وإذا آذاك ظالم فعليك بالصبر والاحتمال، واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان، ظلم غيرك لك، وظلمك لنفسك؟ فإذا فعلت ما ألزمت به من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفوا وتصفح، وربما أثابك من نور الرضى ما ترحم به من ظلمك فتدعوا له، فتجاب فيه دعوتك.

وقلت يوما بين يدي سيدي أبي محمد عبد السلام بن مشيش: اللهم اغفر لي يوم لقائك؛ فقال لي: هو أقرب إليك من ليلك ونهارك، ولكن الظلم أوجب الضلال؛ وسبق

القضاء الحكم بالزوال عند درجات الأنس ومنازل الوصال؛ وللظالم يوم لا يرتاب فيه ولا يحتال؛ والسابق قد وصل في الحال؛ ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم: 38].

وخوطبت أن أدع على من ظلمك، فقلت يا رب أدعو له بالصلاح والتوبة. فقيل لي ثانية: ادع عليه، فقلت يا رب أدع له بالصلاح والتوبة. فقيل لي ثالثة: ادع عليه، فقلت ماذا أقول علمني كيف أقول. فقال: اللهم اقطع البركة من علمه وعمره، وافتنه في ولده، واقطع دابره بسوء العاقبة له، واجعله نكالا للمتقين.

وقلت وقد أردت المشي إلى بعض الظلمة في الدفع عن رجل من الصالحين: اللهم اجعل مشيي إليه تواضعا لوجهك، وابتغاء لفضلك ورضوانك، ونصرة لك ولرسولك، وزيني بزينة الفقراء والمهاجرين ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وخصني بالمحبة والإيثار ودفع الحاجة من الصدور في الليل والنهار، وقني شح نفسي، واجعلني من المفلحين واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان إلى رحيم.

وقلت لما سمعت شكوى الناس مما هم فيه من الظلم: اللهم إنا براء من جور الجائرين وظلم الظالمين، وإنا محبون لعدلك فلا تجر علينا بسخطك، إنك على كل شيء قدير.

وبت في هم من المسلمين من الترك، هل أدعوا عليهم، فرأيت أستاذي رحمه الله يقول: قم. أجل لهم فاصبروا واشكروا وفوضوا وارضوا وسلموا وتوكلوا واتقوا واحسنوا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. أمدبرا غير الله تريدون. أم حكما غير حكمه تلتمسون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يقنون. قد كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون يؤذون ويظلمون، وما أقل استعجالهم ودعائهم على الظالمين ولمعرفتهم بالله رب العالمين. وإن دعا منهم داع فبإذن من الله، لا عن ضيق وسخط.

[العاقل]

العاقل من عقل عن الله تعالى بما أراد به ومنه شرعا، والذي يريد الله تعالى بالعبد أربعة أشياء: إما نعمة، أو بلية، أو طاعة، أو معصية، فإذا كنت في النعمة فالله تعالى يقتضي منك الشكر عليها والقيام بحقها شرعا، وإذا أراد الله بك البلية، فالله تعالى يقتضي منك الصبر عليها، وطلب الفرج منها شرعا، وإذا أراد الله بك الطاعة، فالله يقتضي منك شهود المنة ورؤية التوفيق منه شرعا، وإذا أراد الله تعالى بك المعصية فالله تعالى يقتضي منك التوبة والإنابة شرعا، فمن عقل عن الله هذه الأربعة، وكان فيها بما أحبه الله منه شرعا فهو عبد على الحقيقة، بدليل قوله ﷺ: «من أعطي فشكر وابتلي فصبر، وظلم فغفر، وظلم فاستغفر»، ثم سكت فقالوا: ماذا لهم يا رسول الله؟، قال: «أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» (الطبراني: الكبير: 7/ 163).

والعاقل من عقل عن الله آياته وشغله بالذكر والفكر في الآيات، وفتح له السبيل في باللجوء والافتقار والدعاء، والسؤال منه، والاعتصام به، فاستجاب لله واستجاب له، فليس يعلم أحد ما يريد الله أن يعطيه ثم تلا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: 164] إلى آخرها.

والعاقل عن الله من عرف شدائد الزمان في الألطاف الجارية من الله عليه، وعرف إساءة نفسه في إحسان الله إليه: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69]. وذلك في قول بعضهم: ولن يسهل ذلك إلا على عبد أحب لا يحب إلا الله وحده، أو أحب ما أمر الله به شرعا لدينه، والسلام.

[العباد والزهاد]

العباد بنوا أمورهم على عشرة أصول: الصوم، والصلاة، والذكر، والتلاوة، والدعاء، والاستغفار، والتضرع، والبكاء، واعتزال الناس، وتحصيل قوتهم من وجه حلال، وبساطهم الذكر. والزهاد: يزيدون عليهم بأربعة أوصاف: بالزهد في الدنيا عموما، وفي الناس خصوصا، وبكشف الغيب الملكوتي، والتخير للأحوال ومقامات الرجال. وبساطهم التفكر. وأما الأولياء: فهم درجات بسط لهم في العلم، والمعرفة، والنور، والمحبة، والتوحيد، واليقين، وكشف الغيب، والرسوخ فيه، والتحقيق بالغنى والفناء وإيثار أنوار البقاء، وبساطهم المحبة الفرعية.

وأما الصديقون: فلهم في بدايتهم خمسة أحوال وأصول وخمسة في نهايتهم الأول: طي الوجود عن أسرارهم، وكشف أمر الدارين لأرواحهم، ومراقبة القلوب، ومراعاة العقول، وحفظ النفوس. وأما الخمسة التي في نهايتهم: التحقيق بالمحبة، واليقين، والتعبد، والكف، والصمت لأسرارهم، والثبات في الخلة، والاتصاف بالبقاء. وبساطهم المحبة الأصلية. دائما في المراقبة والمشاهدة والعيان مع ربنا الله الحق المبين سبحانه وتعالى، وفائدة التفصيل لهذه المراتب أن يعطي المقتدي به كل واحد من أتباعه على قدر حاله ومقامه فيما أنزله الله فيه.

والعابد المكابد هو الذي إذا عرض له أمر يفعله أو أمر يترمه بادر بالفعل أو بالترك عن اقتدار منه ويزعم أنه أصاب الطريق وقد أخطأه كله وتراه يعمل سبعين سنة ولا يشم من طريق الله رائحة فهو يكابد دهره ويموت مكابدا والكيس بان له الطريق ولاح له الضياء فإذا عرض له أمر بفعل أو بترك فتح له السبيل إلى اللجأ إلى الله سبحانه والافتقار إليه والاعتصام به فيما يفعل أو يترك ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فعليك باللجأ والافتقار إلى الله تعالى قبل الدخول في العمل ومن

دخل في العمل بالغفلة عن الله وكل إلى نفسه واقتداره فتراه غابر الدهر في تعب ولا نور لعمله وقد قالوا رضي الله عنهم: كل عمل لا ثواب له في الدنيا فلا ثواب له في الآخرة، والثواب في الدنيا بالنور ومزيد الهدى قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 7].

والصالحون على ضربين: صالح الثغور بالمجاهدات، وصالح الحضور بالمشاهدات فشتان بينهما فذوي المكابدات في السمع والبصر واللسان واليد والرجل والبطن والفرج والنفس والهوى والشهوة يدافع عن نفسه وصالح الحضور مصروق عنه لا يترك لنفسه طرفة عين بدون سبحانه يدافع عنه وهو مشغول بمشهوده مصروف عن نفسه أخذ بحظه من قوله تعالى ما زاغ البصر ومن طغى وودنا أن نلقى صالح الثغور وأما صالح الحضور فلا مطمع فيه إلا أن يطلعه ربنا علينا فنرثه كما يطلع الشمس والقمر علينا لا مطمع لنا فيهم من أنفسنا بل الله يمن علينا فيطلعهم علينا حتى نراهم. ولقد اجتمعت بعسكر المنصورة فرأيت منهم واحدا قد وضع في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 1- 4] عشر كراريس ولم ينقل فيها قول قائل إلا ما أتى فيه من مواهب الله تعالى لا عن فكرة ولا عن رؤية فأكرم بهم من رجال ربنا.

[عبد السلام بن مشيش]

لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الواسطي فما رأيت بالعراق مثله، وكان بالعراق شيوخ كثيرة وكنت أطلب على القطب فقال لي الشيخ أبو الفتح: تطلب على القطب بالعراق وهو في بلادك ارجع إلى بلادك تجده، فرجعت إلى بلاد

المغرب إلى أن اجتمعت بأستاذي الشيخ الولي العارف الصديق القطب الغوث أبي محمد عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني رضي الله عنه.

وكنت في سياحتي في ابتداء أمري، أدبر ما أصنع من الطاعات وأنواع الموافقات، وحصل لي تردد، فتارة أقول: ألزم البراري والقفار، لأتفرغ للطاعة والأذكار، وتارة أقول أرجع إلى المنازل والديار لصحبة العلماء والأخيار، فوصف لي ولي من أولياء الله تعالى بجبل بمقربة من سبتة يعرف الجبل بالعلام، ويعرف الولي بأبي محمد عبد السلام بن مشيش من الشرفاء الساكنين بالجبل المذكور. فصعدت إليه ليلا، فقلت في نفسي: لا أدخل عليه في هذا الوقت، فسمعته وهو يقول من داخل المغارة: اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذلك، اللهم وأني أسألك اعوجاج الخلق علي، حتى لا يكون لي ملجأ إلا إليك. والتفت إلى نفسي، وقلت: يا نفس، انظري من أي بحر يغترف هذا الشيخ؟، فلما أصبحت، دخلت عليه، فأرهبت من هيبته. فقلت له: يا سيدي، كيف حالك؟ فقال لي: إني أشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم، كما تشكو من حر التدبير والاختيار. فقلت له: يا سيدي أما شكواي من حر التدبير والاختيار، فقد ذقته، وإني الآن فيه، وأما شكواك من برد الرضى والتسليم، فلما ذقتهما، فقال: يا بني أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله تعالى، فقلت له: يا سيدي سمعتك البارحة تقول في مناجاتك: اللهم إن قوما سألوك.. إلخ. فتبسم ثم قال لي: يا بني عوض أن تقول: يا رب سخر لي خلقك، فقل: يارب كن لي، أترى إذا كان لك أيفوتك شيء؟ فما هذا الجبن؟ إذا كان لك كان لك كل شيء.

ولما قدمت عليه رضي الله عنه وهو ساكن بمغارة في رابطة في رأس الجبل، فلما رآني قال لي: مرحبا بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار، وذكر نسبي إلى رسول الله ﷺ ثم قال: يا أبا الحسن ارجع واغتسل وارجع، فاغتسلت في عين بأسفل الجبل، وعلمت قصده: فخرجت عن علمي وعملي، وطلعت عليه فقيرا، وإذا به هابط إلي، وعليه ثياب مرقعة،

وعلى رأسه قلنسوة من خوص: فرحب بي وقال: يا علي، طلعت إلينا فقيرا من علمك وعملك، فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة، فأخذتني منه الدهشة، فأقمت عنده أياما إلى أن فتح الله على بصيرتي، ورأيت له خرق عادات من كرامات وغيرها.

وكان إذ ذاك قطب الزمان، وقال لي: يا علي ارتحل إلى أفريقية، واسكن بها بلدا تسمى بشاذلة، فإن الله عز وجل يسميك الشاذلي، وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس، ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة، وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق، وبها ترث القطبانية.

[العبودية]

العبودية جوهرة أظهر بها الربوبية، وامتثال الأمر واجتناب النهي، ورفض الشهوات والمشيئات والإرادات على الشهود والعيان، وخالص العبودية الاندماج في طي الأحكام من غير شهوة ولا إرادة، وهذا شأن هذا الطائر.

وإذا أكرم الله عبدا في حركاته وسكناته، نصب له العبودية لله، وستر عنه حظوظ نفسه، وجعله يتقلب في عبوديته، والحظوظ عنه مستورة، مع جريان ما قدر له منها، ولا يلتفت إليها فهو في معزل كأنه مشغول عنها.

وإذا أهان الله عبدا في حركاته وسكناته، نصب له حظوظ نفسه، وستر عنه عبوديته، فهو يتقلب في شهواته وحظوظ نفسه، وعبودية الله عنه بمعزل، وإن كان يجري عليه شيء منها في الظاهر، وهذا في باب الولاية والإهانة، وأما الولاية الكبرى والصديقية العظمى، فالحظوظ والحقوق عند ذوي البصيرة كلها سواء؛ لأنه بالله فيما يأخذ ويترك.

وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف وذلك سر العبودية، وبذلك تنقطع الأمال إلا من الله تعالى، ويتحقق الرجاء والاعتماد عليه لا على الأسباب فاعرفه.

وكنت في سياحتي، أنظر من بدايتهم لهم فرار وهروب من الناس ومجهدات قوية فأتيت ليلة إلى غار في جبل لأبيت فيه، فسمعت فيه حس رجل، فقلت: والله لا أشوش عليه في هذه الليلة، وبت على فم الغار، فلما كان عند السحر سمعته يقول: اللهم إن أقواما سألوك إقبال الخلق عليهم وتسخيرهم لهم فسخرت لهم خلقك، اللهم إني أسألك إعراضهم عني واعوجاجهم علي حتى لا يكون لي ملجأ إلا إليك. ثم خرج وإذا له أستاذي وشيخي. فقلت له: ياسيدي إني سمعتك البارحة تقول: كذا وكذا، فقال لي: يا

علي إيما خير لك؟ أن تقول: كن لي، أو سخر لي قلوب خلقك، فإذا كان لك الله كان لك كل شيء.

وهذا من باب تعليم الشيخ الكامل لمريده الصادق صدق العبودية لله سبحانه وتعالى، ولما فني اختياري مع الله تعالى، مكثت نحو ستة أشهر لا أتجرأ أن أسأل الله تعالى حصول شيء، ثم نودي في سري: يا علي، اللهم اسألنا عبودية لا ترجيح فيها للعطاء عن المنع، فسألت الله تعالى ورجوته امتثالا لأمره لا تحجيرا عليه، فإنه يخلق ما يشاء ويختار، وليس للعبد معه اختيار، لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾، ثم لا يخفى أنه ليس من الاختيار المذموم مع الله تعالى الاختيار الذي هو من لازم الفعل، فإنه لا يصح توجه القلب لفعل شيء أو تركه إلا بعد وجود اختيار ذلك، وإلا تفسخت عزائم العبيد، ولم يصح منهم إرادة لفعل شيء أو تركه.

[العزة]

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8] فعزة المؤمن أن يمنعه الله من التعبد للنفس والهوى والشيطان والدنيا أو لشيء من المكونات في الغيب والشهادة والدنيا والآخرة، والمنافق لا يعلم العزة إلا بالأسباب والتعبد للأرباب ﴿أَإِلَٰهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 63] ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ. وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: 191-193].

ومن أراد عز الدارين، فليدخل في مذهبنا هذا يومين، وفرق الأصنام عن قلبك، وأرح من الدنيا بدنك، ثم كن كيف شئت، فإن الله لن يدعك، فإن جاءك شيء من الدنيا بعد؛ فلا

تنظر إليه بعين الرغبة، ولا تصحبه بالرهبة، ولا تجلس معه إلا بالواجب العلمي في صرفه وإمساكه، وإن طلبت شيئا من ذلك يوما ما فاشهد طلب الله لك في طلبك له فإنك مطلوب بالطلب، فإن خرج لك الطلب منه مخرج الرضا فادخل، ولا تعلق قلبك بالظفر به ولابد، فإنك لا تدري أتصل إليه أم لا؟ وإن وصلت إليه فلست تدري ألك هو أم لغيرك؟ فإن كان لك فلست تدري أفيه الخير أم فيه الشر؟ فإن كان لغيرك فليس لك به علم، هل هو لحبيبك أم لعدوك؟ وعلى الجملة فكيف يسكن القلب إلى موهوم تتصور فيه هذه الوجوه كلها وأكثر من ذلك، فاطلبه وأنت متعلق بالله، وناظر إليه واستعمل الشكر إذا ظفرت به والصبر والرضا إذا لم تظفر به والحمد لله، بل الثناء على الله أجمل لأنه لم يمنعك عن بخل وإنما منعك نظرا لك. فإذا منعك ذلك فقد أعطاك، ولكن لم يفقه العطاء في المنع إلا الصديقون، وإن خرج بك الطلب من الله مخرج السخط بدليل مخالفة العلم أو الظن وما كاد فالجأ إلى الله وفر إليه حتى يكون هو الذي يخلصك، ويفعل الله ما يشاء والعاقبة للمتقين.

[العقوبات]

العقوبات أربعة: عقوبة بالعذاب، وعقوبة بالحجاب، وعقوبة بالإمساك، وعقوبة بالإهلاك، إهلاك السر في المطلوب. فعقوبة العذاب من جهة المحرمات، وعقوبة الحجاب هي لأهل الطاعات، فتكون عقوبة لما يقع لهم من جهة سوء الأدب، وعقوبة الإمساك تكون من جهة المراكنات، وعقوبة هلاك السر تكون من جهة الاستعجال والقلق، فربما يبذل له ذلك فيهلك السر.

ولا تحجب بالفضل عن المتفضل، فقلت: يا رب كيف يأتي هذا؟ قال: إعلم أنه سبق وجودك، وجود علمك، والشكر عليك، وسبق وجودك ما ظهر تفضله عليك، فإن كنت

بالفضل فأنت محجوب بالفضل عن المتفضل، وإن كنت عنده وبه فلا سابق ولا مسبوق، وإن كنت شاهدا من وجودك إلى وجوده، فأنت محجوب بالعلم.

ولا يكن حظك في دعائك الفرح بقضاء حاجاتك دون الفرح بمناجات محبوبك، فتكون من المحجوبين. ومن سبق نوره عقله فهو المبارك، ومن سبق عقله نوره فهو المسكين.

ورأيت شخصا وهو يحدث على أحوال الرجال ويعترض عليهم فرأيت أستاذي يقول لي: هذا يموت أربع موتات: موتة بالذل، وموتة بالفقر، وموته بالحاجة إلى الناس، ثم لا يجد من يرحمه منهم، وموته بالأجل، ثم يموت مسلما.

والحجب سبعة: حجاب العزة، وحجاب العلم، وحجاب القدرة، وحجاب الكبرياء، وحجاب النور، وحجاب الظلمة، وحجاب الفناء والبقاء.

[العلم]

العلم الحقيقي هو العلم الذي لا يزاحمه الأضداد ولا الشواهد على نفي الأمثال، والأنداد كعلم الرسول والصديق والولي، فمن دخل هذا الميدان كان كمن غرق في البحر وتلاطمت عليه أمواجه فأي ضد يزاحمه ويلقاه، أو يسمع به أويراه؟ ومن لم يدخل هذا الميدان، واعترضته العوارض احتاج إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. وجل وصفك من علمك وقدرتك وإرادتك أن يحل في فعلك، ولا يحل فعلك في وصفك القائم بذاتك فما ظنك بربك.

ورأيت رسول الله ﷺ يقول لي: «أربع لا ينفع معهم علم وليس معهن من الفقه لا قليل وكثير: حب الدنيا ونسيان الآخرة، وخوف الفقر وخوف الناس».

ورأيت كأني واقف بين يدي الله عز وجل، فقال لي: لا تأمن مكري في شيء، وإن أمنتك؛ فإن علمي لا يحيط به محيط وهكذا كانوا. ولا تلتفت إلى علم ولا لعمل ولا لمدد وكن بي ولي في ذلك أبدا.

وسألت الله أن يعلمني علما بلا تعليم فرأيت النبي ﷺ ؛ فقال لي: «يا علي أتريد أن تبطل سنتي عليك بالتعلم».

ولا تنشر علمك ليصدقك الناس، وانشر علمك لله ليصدقك الله، وإن كان الأمر لعلة موجودة فعلة تكون بينك وبين الله من حيث أمرك خير من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك، ولعلة تردك إلى الله خير من علة تقطعك عن الله، فمن أجل ذلك علقك بالثواب والعقاب؛ إذ لا يرجي ولا يخاف إلا من قبل الله تعالى، وكفى بالله صادقا ومصدقا، وكفى بالله عالما ومعلما، وكفى بالله هاديا ونصيرا ووليا؛ أي: هاديا يهديك ويهدي بك ويهدي إليك، ونصيرا ينصرك، وينصر بك، ولا ينصر عليك، ووليا يواليك ويوالي بك، ولا يوالي عليك.

وهذه العلوم، أنفاس وبيان لمواقع النفوس وخواطرها ومكرها وإرادتها، وقطع للقلوب عن الملاحظة والمعاكسة والمساكنة والمراكنة على سبيل التوحيد والشرع بصفاء المحبة وإخلاص الدين بالسنة، ولهم بعد نور زوائد في مقامات اليقين: من الزهد، والصدق والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرضا وغير ذلك من مقامات اليقين، فهذا سبيل القاصدين في طريق المعاملات لله تعالى.

وأما أهل الله وخاصته فهم قوم جذبهم عن الشر وأصوله، واستعملهم بالخير وفروعه، وحبب إليهم الخلوات، وفتح إليهم سبيل المناجات، فتعرف إليهم فعرفوه، وتحبب إليهم فأحبوه، وهداهم السبيل إليه فسلكوه، فهم به وإليه ولا يدعهم لغيره ولا يحجبون عنه بل

هم محجوبون به عن غيره ولا يعرفون سواه ولا يحبون إلا إياه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 18].

ورأيت رسول الله ﷺ ونوحا عليهما السلام وملكا بين يديهما، فقال الملك: لو علم نوح عليه الصلاة والسلام أن في أصلاب قومه من يأتي يوحد الله عز وجل كما علم محمد ﷺ من قومه، ما دعا عليهم بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 26- 27] هذا موضع العلم الحقيقي الذي لا يتبدل، ولو علم محمدا عليه الصلاة والسلام من قومه ما علم نوح عليه السلام من قومه، ما أمهلهم طرفة عين، ولكن أمهلهم لعلمه أن في أصلابهم من يؤمن بالله واليوم الآخر ويسعد بلقاء ربه، فقال: «اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون» (رواه البخاري: 3/ 1282)، فكل منهما على علم وبينة من الله تعالى، فألزم كل واحد ما ألزم من الدعاء؛ ثم قال: أليس كذلك؟ فقالا بلى، ثم قال: من جاهد نفسه، وهواه، وشيطانه، وشهواته، ودنياه فغلب فهو منصور ومشكور، ومن جاهد أولئك فغلب فهو مغفور ومعذور ما لم يصر على الذنب، أويرضى بالعيب، أو تسقط منه الخشية في الغيب.

ومن كان بإحدى الثلاثة وعلم أنه له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به، وآمن بالقدر كله، وخاف من ذنبه، ووجل من ربه، فالرحمة أسرع إليه من القطر إلى الأرض كقول الله سبحانه وتعالى "أرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عبدي إذا أقبل علي". والهالك الذي يفرح بالمعصية إذا عصى ويحزن عليها إذا فاتته ويفتخر بها ولا يتستر منها، فنعوذ بالله من ذلك، وهي في مشيئة الله.

وحقيقة العلم بالخير المسكون فيه، وحقيقة العلم بالشر الخروج عنه. والعلوم على القلوب كالدراهم والدنانير على الأيدي، إن شاء نفعك بها، وإن شاء ضرك بها. وسبعة

إرفع قلبك عنها: لا علوم ولا أعمال ولا خصائص ولا ودائع ولا أماكن ولا لطائف ولا حقائق تنجيك من قدر الله.

وقرأت في وردي ليلة من الليالي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ [الجاثية: 18- 19] فنمت، فرأيت رسول الله ﷺ يقول لي: «أنا ممن يعلم، ولا أغني عنك من الله شيئا».

واعلموا أن العلم أفضل الدرجات وأن الجهل أقبح الصفات فعلموا وعملوا بما يعلمون، بل علموا أن ذلك لا يتم إلا بالفقر إلى الله تعالى في كل شيء فعلموا ثم عملوا، ولو فقهوا لعلموا بما يعلم الله منهم، فالكلب أفقه منهم لأنه نهض لمراد سيده لا لمراده، فأجمعت الأئمة أن صيده حلال فاحظوا بذلك طريق الفضل إلى الله تعالى. فقال قائل: انظر وجودك أكنت لنفسك بشيء بل الله كان لك بفضله؟ فلما عرفت فضل الله عليك في حركة شيء من علمك وكسبك فغرقها في فضل الله عليك قبل أن تغرقك.

ومن لم يتبحر في علوم الشريعة حتى يصير يقطع أكابر العلماء بالحجج الواضحة في مجلس المناظرة فلا يطلب صحبتنا. ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث والصولة بعلمه والإدلال على الله بعلمه وهذا هو الخسران والعياد بالله، ومن لم يزدك بعلمه وعمله افتقارا إلى ربه، وتواضعا لخلقه فهو هالك.

وكنت ذات ليلة متفكرا بالفكرة الهينة الذاهبة عن العلمية فأفادني الله علما جليلا وسعيت في الغيوب سعيا جميلا فقلت في نفسي: أليس هذا خيرا من الدخول في الحوائج للخلق والكون مع الله أتم من الكون في الحاجات للناس، وإن كان مأذونا فيها شرعا. فبينما أنا كذلك إذ نمت فرأيت كأن السيل قد أحاط بي من كل جهة يحمل الغثاء عن يميني وعن شمالي، فجعلت أخوض لأخرج منه، فلم أر برا أنفذ إليه من الجهات الأربع فاستسلمت نفسي ووقفت في السيل كالسارية أو النخلة الثابتة. فقلت في نفسي: هذا فضل

الله أن ثبت لهذا السيل ولا يصيبني شيء من الغثاء، وإذا بشخص جميل الصورة يقول لي: من أجل التصوف والتعرض في الحوائج للخلق واستقضاؤها من الملك الحق، فما قضاه الله شكرت، وما لم يقضه رضيت. وليس قضاؤها الموجب للشكر بأتم من عدم قضائها الموجب للرضى. وقد علمني الله علما قائما بذات نفسي لا يفارقها بل هو لازم كالبياض في الأبيض، والسواد في الأسود. وهو: الله لا إله إلا هو الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار. فانظر الألوهية الفردانية والوحدانية والقاهرية والربوبية والعز والمغفرة، كيف لف هذا كله في كلمة واحدة. إن المغفرة لتنزل على العارف بالله كالسيل الحامل من الغثاء، ويثبت الله فيها وبها من يشاء ولا يصيبه شيء من الغثاء. فانتبهت من نومي وقد وعيت السر العظيم والحمد لله.

ولا يكمل عالم في مقام العلم حتى يبتلى بأربع: شماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهال، وحسد العلماء، فإن صبر على ذلك جعله الله إماما يقتدى به.

وما بقي بحمد الله عند غيرنا من أهل عصرنا علم نستفيده وإنما ننظر في كلام غيرنا لنعرف ما من الله به علينا دونهم بما هو فوق مقامهم، فنشكر الله على ذلك.

[العوالم]

العوالم أربعة: الأجسام الكثيفة، وعالم الأجسام اللطيفة، وعالم الأرواح الشفيفة، وعالم الأسرار الغريبة؛ فإذا انفردت الأجسام الكثيفة صار جمادا، وإذا اجتمعت الأجسام الكثيفة والأجسام اللطيفة والأرواح الشفيفة صار إنسانا، وإذا اجتمعت هذه الثلاثة مع الأسرار الغريبة صار نبيا أو صديقا، إن كان نبيا أمر على الأمة وإن كان وليا أمر على الأسرار.

[الغنى]

قيل لي: أتريد أن يغنيك الله حتى يغني بك من أحب أو توسل أو دعا أو سأل؟ قلت: كيف لي بذلك؟ قال: لا تتخذ منهم عدوا ولا حبيبا، واتخذ الله حبيبا. وقيل لي: فكيف بالعداوة في الله والمحبة؟ قلت: ذلك بالله لا بالتحسر ولا بالحظ فإن عابت أو انفصمت بالعلم فأعط العلم حقه ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: 144] ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: 119]؛ فإن أحببت بالعلم فاصبحت بالطاعة، وإن خالفت أبغضت بالعلم ما دام مع المخالفة وسرك قاعد على بساط الإيمان تحبه به وثاويه كمخالفة ظاهر العلم، فانتبه في هذا فإنه موضع الزلة للجهال، واستعن بالله تعالى.

[الفتح]

كنت في بدايتي أعبد الله تعالى أنا وصاحب لي، قد أوينا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله، فكنا نقول: غدا يفتح علينا، بعد غد يفتح علينا، فمكثنا على ذلك الحال ومانا ونحن في تعب عظيم، فدخل علينا رجل مهيب المنظر، فقلنا له: من أنت؟ فقال: عبد الملك، فعلمنا أنه من أولياء الله تعالى، فقلنا له: كيف حالك؟ وما حاجتك؟ فقال: جئت أنصحكما لله تعالى أن تعبدا الله تعالى لله تعالى، ولا تقولا غدا يفتح علينا، بعد غد يفتح علينا، فلا ولاية ولا فلاح، يا نفس لم لا تعبدين الله؟!. فكشف لنا عن أمر كنا عنه غافلين، فتفطنا من أين دخل علينا فتبنا واستغفرنا، فعبدنا الله لله ففتح علينا في ثاني يوم.

[فضائل الصلاة على النبي ﷺ]

صلاة واحدة على النبي ﷺ تستغرق كل هم وشدة في الدنيا والآخرة، فما ظنك بصلوات. وعليك بالإستغفار وإن لم يكن هناك ذنب، واعتبر باستغفار المعصوم الأكبر ﷺ بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، هذا في معصوم لم يقترف ذنبا قط وتقدس عن ذلك، فما ظنك بمن لا يخلو من العيب والذنب في وقت من الأوقات.

ورأيته ﷺ في المنام، فقلت له: يا رسول الله صلاة الله تعالى عشرا على من صلى عليك مرة واحدة، هل ذلك لمن كان حاضر القلب؟ قال: «لا، بل هو لكل مصل علي غافلا، ويعطيه الله تعالى من الملائكة مثل أمثال الجبال تدعوله وتستغفر له، وأما إذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ذلك إلا الله».

ورأيته ﷺ في المنام، فقال لي: «إذا كانت لك حاجة وأردت قضاءها فقدم بين يديك ولو فلسا صدقة وصل علي فإنها تقضى إن شاء الله».

ورأيته في المنام، فقبل فمي وقال: «أقبل هذا الفم الذي يصلي علي ألفا بالليل وألفا بالنهار»، ثم قال لي: «وما أحسن إنا أعطيناك الكوثر، وكانت وردي بالليل»، ثم قال لي: «ويكون دعاؤك: اللهم فرج كرباتنا، اللهم أقل عثراتنا، اللهم اغفر زلاتنا، وتصلي علي وتقول: وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين».

ورأيته ﷺ في المنام، فقلت له يا رسول الله قد وهبت لك ثواب صلاتي عليك وثواب كذا وكذا من أعمالي، وأردت بذلك قولك للسائل الذي قال لك: أفأجعل لك ثواب صلاتي كلها؟، فقلت له: إذا تكفى همك ويغفر ذنبك، فقال عليه السلام: «نعم ذلك أردت، ولكن أبق لنفسك ثواب كذا وكذا، فإني غني عن ذلك».

ورأيته ﷺ في المنام فقال لي: «الأحسن إذا أردت الصلاة علي أن تبتدئ بالصلاة العامة أول صلاتك ولو مرة واحدة، وكذلك في آخرها تختم بها، والصلاة العامة هي: اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

ورأيته ﷺ في المنام، فقال لي: «قل في النوم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسا، بسم الله الرحمن الرحيم خمسا، ثم قل: اللهم بحق محمد أرني وجه محمد حالا ومآلا، فإذا قلتها فإني آتيك ولا أتخلف عنك أبدا».

ورأيته ﷺ في المنام، فقلت له: يا رسول الله لا تدعني، فقال: «لا ندعك حتى ترد علي الكوثر وتشرب منه، لأنك تقرأ سورة الكوثر وتصلي علي»، فقلت له: أما ثواب الصلاة فقد وهبتها لك، وأما ثواب الكوثر فابقه لي ولك.

ورأيته ﷺ في المنام، فقال لي: «أنت تشفع في مائة ألف»، فقلت له: بم استوجبت ذلك يا رسول الله؟، قال لي: «بإعطائك لي ثواب الصلاة علي».

ورأيته ﷺ في المنام، وقد استعجلت مرة في صلاتي عليه ﷺ لأكمل وردي، وكان ألفا، فقال لي عليه الصلاة والسلام: «أما علمت أن العجلة من الشيطان»، ثم قال لي: «قل اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد بتمهل وترتيل إلا إذا ضاق الوقت، فما عليك إذا عجلت»، ثم قال: «وهذا الذي ذكرته لك على جهة الأفضل، وإلا فكيفما صليت فهي صلاة».

ورأيته ﷺ في المنام، فقال لي: «إن شيخك أبا سعيد الصغروي يصلي علي الصلاة التامة ويكثر منها، فقل له إذا ختم الصلاة علي يحمد الله عز وجل».

وكان أكثر دعاء النبي عليه الصلاة والسلام «يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك».

[فضائل ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾]

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين اعلم إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن العظيم على قلب النبي ﷺ وأنزل فيه سورة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1] خص بها النبي ﷺ وأمته وجعلها ثمن آيات على عدد أبواب الجنة ليدخل بها قارئها من أي باب شاء فمن أراد فإن الله تعالى يبلغه جميع القصد والآمال والتوسل إلى السعادات الأبدية و.. وإن الله تعالى يشرح له صدره ويمنع عنه ذنوبه ووزره ويرفع له من مقامات ذكره ويجعل له من كل ضيق فرجا ومخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وأن يلحق الخير كله ويغلب الشر كله ولا يسبقه سابق وإن عمل ما عمل فليقرأ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1] عدد آياتها وهي ثمن آيات وكل من قرأها مرة يقرأ الدعاء الآتي ذكره مرة إلى أن يتم ثمان مراة وهو هذا الدعاء المبارك:

بسم الله الرحمان الرحيم اللهم يا من له الأمر كله، وبيده الخير كله، أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله، فإنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الغني الحميد الغفور الرحيم، أسألك بالنبي الهادي محمد المصطفى ﷺ أن تهديني إلى صراط مستقيم، ﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53]، وأسألك أن تغفر لي مغفرة تشرح بها صدري، وتضع بها ذنبي ووزري، وترفع بها ذكري، وتيسر بها أمري، وتنير بها فكري، وتقدس بها سري، وتكشف بها ضري، وترفع بها قدري، وتجبر بها كسري، وتغني بها فقري، وتعرف بها ديني، وتقضي بها حوائجي، إنك على كل شيء قدير، يا واسع، يا عليم، يا ذا الفضل العظيم، أنت ربي وعلمك.. بضر فلا كاشف له

إلا أنت، وإن تردني فلا راد لفضلك تثيب به من تشاء من عبادك وأنت الغفور الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[القطب]

للقطب خمس عشرة علامة، فمن ادعاها، أو شيئا منها، فليبرز: أن يمد بمدد الرحمة والعصمة، والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصفات؛ ويكرم بكرامة الحكم، والفعل بين الموجودين، الوجود القديم والوجود الحادث، وانفصال الأول عن الأول. وما اتصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه. وحكم ما قبل، وحكم ما بعد. وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعلم البدء؛ وهو العلم المحيط بكل علم، وبكل معلوم. بدءا من السر الأول إلى منتهاه، ثم يعود إليه.

ومما أكرم الله به قطب الأقطاب، أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون، وما وراءه وما لا نهاية له، وأن يشهده الذات بعين الذات، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات، وهي الأسماء العالية، وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة، وجميع فيوضه وما احتوى عليه. وبهذه الأمور خص عن رؤوس الأفراد الذين هم مفاتيح الكنوز، ولا يعلمون أنها خاصة به، إلا قول دائرة الإحاطة، فإنهم يعلمونه أنه خاص به، وأما مشهده فلا علم لهم به، لأنه يدخل الحضرة من باب المخدع، وهو محجوب عنهم.

وإن من خواص القطب إمداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة، والأقطاب كثيرة، فإن كل مقدم قوم هو قطبهم، وأما قطب الغوث الفرد الجامع فهو واحد، وتفسير ذلك أن النقباء هم ثلاثمائة وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس ولهم عشرة أعمال: أربعة ظاهرة وستة باطنة. فالأربعة الظاهرة: كثرة العبادة، والتحقق بالزهادة، والتجرد عن الإرادة، وقوة المجاهدة، وأما الباطنة: فهي التوبة، والإنابة، والمحاسبة، والتفكر،

والاعتصام، الاستقامة والرياضة والمجاهدة، فهولاء الثلاثمائة لهم أمام منهم يأخذون عنه ويقتدون به فهو قطبهم.

ثم النجباء أربعون وقيل سبعون وهم مشغولون بحمل أثقال الخلق فلا ينظرون إلا في حقوق الغير ليس عندهم أنا وهذا لي ليس عندهم مصلحة شخصيا أبدا، ولهم ثمانية أعمال: أربعة باطنة وأربعة ظاهرة، فالظاهر: الفتوة، والتواضع، والأدب، وكثرة العبادة، وأما الباطنة: فالصبر، والرضي، والشكر، والحياء، وهم أهل مكارم الأخلاق.

وأما الأبدال فهم أهل كمال واستقامة واعتدال، قد تخلصوا من الوهم والخيال، ولهم أربعة أعمال باطنة وأربعة ظاهرة، فأما الظاهرة: فالصمت، والسهر، والجوع والصيام، والعزلة، ولكل من هذه الأربعة ظاهر وباطن، أما الصمت فظاهره ترك الكلام بغير ذكر الله تعالى وأما باطنه فصمت الضمير عن جميع التفاصيل والأخبار. وأما السهر فظاهره عدم النوم وباطنه عدم الغفلة، وأما الجوع الصيام فعلى قسمين: جوع وصيام الأبرار لكمال السلوك وجوع وصيام المقربين لموائد الأنس. وأما العزلة فظاهرها ترك المخالطة بالناس وباطنها ترك الأنس بهم.

وللأبدال أربعة أعمال باطنة: وهي التجريد، والتفريد، والجمع، والتوحيد، ومن خواص الأبدال من سافر من القوم من موضعه ترك جسدا على صورته، فذاك هو البدل لا غير، والبدل على قلب سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهؤلاء الأبدال لهم إمام مقدم عليهم يأخذون عنه ويقتدون به وهو قطبهم لأنه مقدمهم. وقيل الأبدال سبعة. وقيل: أربعون، وسبعة هم الأخيار وكل منهم لهم إمام منهم هو قطبهم.

ثم الأوتاد وهم عبارة عن أربعة رجال، منازلهم منازل الأربعة أركان من العالم: شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، ومقام كل واحد منهم في جهته، ولهم ثمانية أعمال: أربعة ظاهرة وأربعة باطنة، فالظاهرة: كثرة الصيام، وقيام الليل والناس نيام، وكثرة الإيثار، والاستغفار

بالأسحار، وأما الباطنة: فالتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم، ولهم واحد منهم هو قطبهم.

وأما الإمامان فهما شخصان، أحدهما عن يمين القطب والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه ينظر في الملكوت وهو أعلى من صاحبه، والذي عن شماله ينظر في الملك، وصاحب اليمين هو الذي يخلف القطب، ولهما أربعة أعمال باطنة وأربعة ظاهرة، فأما الظاهرة: الزهد، والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأما الباطنة: فالصدق، والإخلاص، والحياء، والمراقبة.

والغوث رضي الله عنه: هو رجل عظيم وسيد كريم تحتاج إليه الناس عند الاضطرار في تبين ما خفي من العلوم المهمة والأسرار، ويطلب منه الدعاء لأنه مستجاب الدعاء، لو أقسم على الله لأبر قسمه مثل سيدنا أويس القرني رضي الله عنه في زمن سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ، ولا يكون القطب قطبا حتى تجتمع فيه هذه الصفات التي اجتمعت في هؤلاء الجماعة الذين تقدم ذكرهم.

ومن الأقطاب في كل زمن من يأمر بالسكوت فلا يسعه إلا السكوت، ومنهم من يأمر بالقول فلا يسعه إلا القول وهو الأكمل في مقام القطبية، وسألت الله أن يجعل القطب من بيتي، فإذا النداء: يا علي، قد استجبنا لك. وحب الله قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لأنواع الكرامات، وحصون ذلك كله أربعة: صدق الورع، وحسن النية، وإخلاص العمل، وصحبة العلم، ولا تتم لك هذه الجملة إلا بصحبة شيخ ناجح صالح كامل واصل موصل.

[القلب]

تفقدوا بيت ربكم، وهو القلب، وانظروا ما نقص من صفاته وأركانه وأبوابه، فإن الله تعالى جعل أرضه من المعرفة، وسماءه من الإيمان، وشمسه من الشوق، وقصره من المحبة، وبابه من الهمة، ورعده من الخوف، وسحابه من الوفاء، وثمرته من الحكمة، وبهاءه من العلم، وبرقه من الرجاء، وغمامه من الفضل، ومطره من الرحمة، ونهاره من الطاعة، وليله من المعصية، فمن لم يكن في زيادة تفقد كل وقت لهذه الصفات فهو مغرور، وأما أركانه فهي أربعة: الأنس، والتوكل، واليقين، والصدق، وكذلك أبوابه أربعة: العلم، والحلم، واليقين، والمعرفة، وقد قفل الله تعالى على القلب بقفل ولا يفتحه إلا هو يوم القيامة، وبالجملة فمن لم يكن بوابا لقلبه يعرف ما يدخل وما يخرج فهو في خسران.

واعلم أن الله خلق الآدمي وقسمه إلى ثلاثة أجزاء: لسانه جزء، وجوارحه جزء، وقلبه جزء، وجعل على كل جزء حفيظا، فقال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، وقال: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، وتولى حفظ القلب بنفسه فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾.

والقلوب ثلاثة: قلب حي يقظ، وقلب غافل لاهي، وقلب ميت لا حس فيه. والقلب له عينان يؤذيهما: التفكر في الحرام والمكروه كما يؤذي الريح الشديد البصر.

[الكرامة]

بسط الكرامة أربعة: حب يشغلك عن حب غيره، ورضى يصل حبك بحبه، وزهد يحققك بزهد رسوله، وتوكل يكشف لك عن حقيقة قدرته.

وكرامة الله في الرضا، تلهيك عن المصائب الى يوم اللقاء، وكرامة الصادقين خمسة: أولها: دوام الذكر والطاعة بشرط الاستقامة، والثانية: الزهد في الدنيا بإيثار القلة، والثالثة: تجديد اليقين مع أهل المعارضات، والرابعة: وجود الوحشة مع أهل المنفعة والأنس مع أهل المضرة، والخامسة: ما يظهر على الأبدان من طي الأرض والمشي على الماء وغير ذلك مما لا يجري تحت حكم العادة، ولهذا الفصل أوقات وأشخاص وأماكن، فمن طلبها في غير وقتها لم يعثر عليها، وعلى الجملة لا يعطاها من طلبها ولا من يحدث نفسه بها واستعمل نفسه في طلبها، ولو أن القوم أحبوا أن يعرفوا ما عرفول. إنما يعطاها عبد لا يرى نفسه، ولا عمله، وهو مشغول بمحاب الله تعالى ناظرا لفضل الله آيس من نفسه، وعمله، وقد تظهر الكرامة على من استقام في ظاهره، وإن كانت هناة النفس في باطنه كما وقع للعابد الذي عبد الله في الوجه في جزيرة من جزائر البحر خمسمائة عام فقيل له: أدخل الجنة برحمتي فقال: بل بعملي.

وإنما هما كرامتان عظيمتان جامعتان، محيطتان في الدنيا: كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء بالكتاب والسنة، والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة، فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مغتر كذاب، أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب؛ كمن أكرم بشهود الملك والخدمة على نعت الرضا، ثم جعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا، وكل كرامة لا يصحبها نعت الرضا من الله، وعن الله، والمحبة لله، فصاحبها مستدرج مغرور، أو ناقص، أو هالك مثبور.

وللقطب خمس عشرة كرامة، فمن ادعاها أو شيئا منها فليبرز أن يمد بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصفات، ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجودين، الوجود القديم والوجود الحادث، وانفصال الأول عن الأول، وما اتصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه، وحكم ما قبل وحكم ما بعد، وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعلم البدء، وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم بدءا من السر الأول إلى منتهاه، ثم يعود إليه. فهذا معيار أعطاه الله الشيخ يختبر به من ادعى هذه الرتبة العظيمة القائمة بكفالة الأسرار، والمحيطة بمدد الأنوار.

وفائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والإرادة والصفات الأزلية، بجمع لا يفترق، وأمر لا ينعقد، كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد، لا يستوي من تعرف الله إليه بنوره، بمن تعرف إليه بعقله، ولأجل أنها تثبيت لمن أظهرت له ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم، وفقدها أرباب النهايات في نهاياتهم.

إذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين، والقوة والتمكين، لا يحتاجون معه إلى تثبيت، وهكذا كان السلف رضي الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى إلى وجود الكرامة الحسية لما أعطاهم الله من المعارف الغيبية، والعلوم الإشهادية، ولا يحتاج الجبل إلى مرساة، فالكرامة رافعة لزلزلة الشك في إدامته، وشاهدة له بالاستقامة عن الله تعالى "في إقامته.

والقول الفصل في ذلك أنه لا ينبغي أن تطلب أربا مع الله تعالى، ومن أظهرت عليه عظم؛ لأنها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى، كما تقدم.

والقسم الثاني: وهو أن تظهر الكرامة في الولي لغيره، فالمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذي شهدها بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة، إما أن يكون جاحدا

فيرجع إلى الاعتراف، أو كافرا فيعود إلى الإيمان، أو شاكا في خصوصية هذا العبد فأظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع الإحسان.

وكرامة الصديقين خمسة: دوام الذكر والطاعات بشرط الاستقامة، الزهد في الدنيا بإيثار القلة والقليل، وتجديد اليقين مع المعارضات والمنغصات، وجود الوحشة مع أهل المنفعة والإنس مع أهل المضرة، ما يظهر على الأبدان من طي الأرض والمشي على الماء وغير ذلك مما لا يجري تحت حكم العادة، ولهذا الفضل أوقات وأشخاص وأماكن فمن طلبها في غير وقتها قل ما يعثر عليها وينالها.

والله ما هي إلا إسرائيلية فإن بني إسرائيل صدقوا بموسى عليه الصلاة والسلام حين لم يروه وكذبوا بمحمد ﷺ حين رأوه حسدا من عند أنفسهم حتى إن بعض الناس قال في رسول الله ﷺ: إنما يعلمه بشر، يعنون غلاما لبعض اليهود عطارا كان رسول الله ﷺ يجلس إليه فأنزل الله تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]. ردا عن رسول الله ﷺ فانظر كيف أداهم حجاب المعاصرة والحسد إلى أنهم استبعدوا على سيد الأولين والآخرين ما يتكلم به من العلوم والآداب والمعارف الربانية ولم يستبعدوا ذلك على غلام لبعض اليهود فهذا من أعجب العجاب.

ومنهم من يصدق أن لله تعالى أولياء لهم كرامات ولكن لا يصدق بأحد معين من أهل زمانه، فهؤلاء محرومون أيضا لأن من لا يسلم لواحد معين لم ينتفع بأحد فنسأل الله تعالى التوفيق بالإيمان بكرامات أوليائه وحسن الخاتمة بمنه وكرمه.

وقيل لي: إن أردت كرامتي فعليك بطاعتي وبالإعراض عن معصيتي فيها، فإن زللت بغلبة الشهوة وعظيم القدرة، فاعلم قربي منك ونظري إليك وإحاطتي بك، وقدرتي عليك، فاستنقذ نفسك مني ومن عظيم قدرتي، وقل: يا موجود قبل كل موجود، وهو الآن على ما هو عليم، موجود يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن. وضاقت علي الأرض بما

رحبت، وضاقت علي نفسي ولا ملجأ ولا منجى منك إلى إليك، فتب علي لأتوب، إنك أنت التواب الرحيم.

ولهذا الفضل أوقات وأشخاص وأماكن ولا تعطى الكرامات من طلبها في غير زمان طلبها، ومن طلبها في غير وقتها قل ما يعثر عليها حرمها، وإنما يعطاها من طلبها ولا من يحدث نفسه بها، ولا من يستعمل نفسه في طلبها، إنما يعطاها عبد لا يرى نفسه ولا علمه، وهو مشغول بحجاب الله تعالى، ناظر لفضل الله، آيسا من نفسه، وعلمه، وقد تظهر على من استقام في ظاهره، وإن كانت هنات النفس في باطنه، كما وقع للعابد الذي عبد الله في جزيرة من جزائر البحر خمسمائة عام فقيل له: أدخل الجنة برحمتي. فقال: بل بعملي.

وقرأت مرة الفاتحة، فقلت: الحمد لله رب العالمين. فقال لي الهاتف من قبل الله تعالى: صدقت، فقلت: الرحمن الرحيم، فقال: صدقت. فقلت: مالك يوم الدين، فقال: صدقت. فلما قلت: إياك نعبد، قال: كذبت لأنك تعبد الكرامات، قال: ثم أدبني، وتبت لله تعالى.

[الكسب]

قال أبو طالب المكي رضي الله عنه: التارك للكسب طمعا في الخلق وترفيها للنفس وإيثارا للراحة والبطالة أو حبا للمسئلة واتباعا للهوى فليس هذا من توكل العموم في شيء والساعي في هذا على غير طريق لا قريب ولا بعيد ولمثل هؤلاء قال الرسول ﷺ: «لأن يذهب أحدك فيأخذ فاسه وحبله ويذهب إلى الجبل فيحطب فيأكل ويتصدق خيرا له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

[الكشف]

إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة، فاعمل وتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة.

وإذا أراد الله بعبده خيرا، ستر عنه كمالات نفسه، وجعله عبدا مملوكا، لا ربوبية فيه تظهر، فإن كل شيء ألفته النفس من العلوم والمعارف، فعلى العبد أن يرمي به، وإن كان كشفا وحالا، وما يضر ذا العبد إذا رضيه الحق تعالى عبدا ولا علم ولا عمل.

[الكيمياء]

كنت في ابتداء أمري أطلب علم الكيمياء، وأسأل الله فيها. فقيل لي: الكيمياء في بولك، اجعل فيه ما شئت يعود كما شئت، فحميت فأسا وأطفأته فيه فعاد ذهبا، فرجعت إلى شاهد عقلي، فقلت: يا رب سألتك عن شيء فلم أصل إليه إلا بمحاولة النجاسات. فقيل لي: يا علي الدنيا قذرة، فإن أردت القذارة ما تصل إليها إلا بالقذارة. فقلت يارب أقلني منها، فقيل لي: احم الفأس تعود حديدا، فحميته فعاد حديدا.

ودخل علي شخص وأنا بالمغرب، فقال لي: سمعت أن عندك الكيمياء فعلمني، فقلت له: إن أردت أن تصح على يديك الكيمياء فأسقط الخلق من قلبك أن ينفعوك أو يضروك، واقطع الطمع من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك، ثم أمسك ما شئت يكون كما تريد. فقال لي: ما أطيق هذا، فقلت له: ألم أقل لك إنك لا تقبل، فانصرف عني.

وصاحبني إنسان وكان يبالغ في خدمتي، وكنت أستثقله، ولم أعرف ما سبب ذلك الإستثقال، فباسطته فانبسط فخلوت به يوما فقلت له: يا ولدي ما مرادك في صحبتي وخدمتي؟، فقال: يا سيدي: سمعت الناس يقولون أنك تعرف صنعة الإكسير، فصحبتك

لأتعلم منك، فقلت له: يا ولدي صدق الناس في ذلك، ولكن لا أظنك تقدر على الإكسير الذي أعرفه، فقال: بل أقدر عليه، فقلت له: اسمع يا ولدي، إنني نظرت إلى الخلق فوجدتهم على قسمين: قسم يحبونني وقسم يكرهونني، فنظرت إلى الذين يحبونني، فوجدتهم لا يقدرون أن ينفعوني بمثقال ذرة لم يرد الله أن ينفعني به، فتركتهم وآيست منهم، ثم نظرت إلى الذين يكرهونني، فوجدتهم لو أرادوا أن يضروني بمثقال ذرة لم يرد الله أن يضرني بها ما قدروا فتركتهم، واسترحت من الفريقين وأقبلت على الله بكليتي. ثم سمعت هاتفا يقول لي: إنك لا تحصل على حقيقة هذا الأمر حتى تقطع يأسك منا كما قطعته من الفريقين أن نعطيك غير ما قسمنا لك في الأزل. فقلت في نفسي: كيف أيأس من الله فسمعت: تيأس منا أن نعطيك ما لم نقدره لك، فهذا هو الإكسير الذي أعرفه يا ولدي.

وما أصنع بالكيمياء؟ ومالي وصحبة الأميين، والله لقد تلاقينا رجالا، لو أشار أحدهم إلى شجرة يابسة لأثمرت من حينها. وشاع مرة الخبر أن مريدا لي بال على نحو خمسة قناطير من الرصاص فصارت ذهبا حتى بلغ ذلك السلطان محمد بن قلاوون، فنزل لزيارتي لظنه أن ذلك من الكيمياء على طريقة النصابين، فقلت له: ليس كل من عرف الكيمياء يقدره الله جل وعلا على العمل بها ويأذن له فيها، ولا كل من تجوهر بدنه وفضلاته تمشي له القدرة ذلك فرجع السلطان بالخمسة القناطير هدية مني له.

[ليلة القدر]

قيل لي: يا إمام ما هي ليلة القدر؟ فقلت: أي ليلة تقصدون؟ قالوا: الليلة التي تستجاب فيها الدعوات، فقلت: وفي أي ليلة لا يستجاب الدعاء؟ فقالوا: يا إمام الليلة التي يغفر الله فيها فقلت: وأي ليلة لا يغفر الله فيها؟ فقالوا: يا إمام الليلة التي تنزل فيها الملائكة قلت: وفي أي ليلة لا تنزل الملائكة؟ لا أعرف ما تقولون فنحن قوم ليالينا بالله كلها قدر، فالقدر لكل ذي قدر.

ومن أراد أن يعرف ليلة القدر فلينظر إلى غرة رمضان أي أوله فإن كان يوم الأحد فليلة القدر ليلة تسع وعشرين، وإن كان يوم الإثنين فليلة القدر ليلة واحد وعشرين، وإن كان يوم الثلاثاء فليلة سبع وعشرين، وإن كان يوم الأربعاء فليلة تسعة عشر وإن كان يوم الخميس فليلة خمس وعشرين، وإن كان يوم الجمعة فليلة سبعة عشر وان كان يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين. ومنذ ما بلغت سن الرجال ما فاتتني ليلة القدر بهذه القاعدة المذكورة.

[المجذوب]

المجذوب: هو من جذبه الله إليه، ولذلك كان سيره من أول خطوة في الطريق بالله لا بنفسه، وهذا جاء من باب القدرة: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40].

والمجذوب المجاهد: هي مرتبة المجاهد الذي سلك بنفسه، ثم أدركته العناية فجذب واجتبى قبل الوصول فقد أحرز المنزلتين. والجذب نقص ولو كان الجذب كمال لكان الرسول ﷺ مجذوبا وحاشاه.

[المحبة]

المحبة: آخذة من الله تعالى، قلب عبده عن كل شيء سواه، فترى النفس مائلة لطاعته، والعقل مختصا بمعرفته، والروح مأخوذة في حضرته، والسر مغمورا في مشاهدته، والعبد يستزيد من حبه، فيزاد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته، فيكسى حللا من التقريب، على بساط القربة، ويمس أبكار الحقائق، وثيبات العلوم، فمن أجل ذلك قالوا: أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس المجرمون.

وحقيقة القرب أن تغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب، مثل المحبة، كمثل رجل شم رائحة المسك على بعد، فلا يزال يتبع تلك الرائحة، وهي تتزايد عليه، حتى يدخل البيت الذي فيه المسك. فإذا دخله غمرته الرائحة، فلا يحس بها. فالمعنى كذلك طالب الحق، لا يزال ينجذب قلبه إلى الحضرة؛ ويتعطش إليها ويتوجه إليها بأنوار التوجه؛ وهي حلاوة المعاملة، حتى يغرق في أنوار المواجهه؛ وهي حضرة المشاهدة، فيسكن حاله، ويزول عطشه بحصول الوصول الى الحبيب، فلم يبقى إلا الأدب والترقي في المقامات.

وقيل لي: قد علمت الحب، فما شراب الحب؟ وما كأس الحب؟ وما الذوق؟ وما الساقي؟ وما الشرب؟ وما الري؟ وما السكر؟ وما الصحو؟ فقلت: الشراب: هو النور الساطع من جمال المحبوب، والكأس: هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب، والساقي: هو المتولي ذلك للمخصوصين الأكابر، ومن الأولياء والصالحين من عباده؛ وهو الله العالم بالمقادير، ومصالح العباد وأحبائه، فمن كشف له عن ذلك الجمال، أو حظي بشيء منه، نفسا أو نفسين، ثم أرخي عليه الحجاب؛ فهو الذائق المشتاق، ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين؛ فهو الشارب حقا، ومن توالى عليه الأمر، ودام له الشرب، حتى امتلأت عروقه ومفاصله، من أنوار الله المخزونة؛ فذلك هو الري. وربما غاب عن المحسوس والمعقول، فلا يدري ما يقال، ولا ما يقول، فذلك هو السكر، وقد تدور عليهم الكاسات، وتختلف لديهم الحالات، ويردون إلى الذكر والطاعات، ولا يحجبون عن الصفات، مع تزاحم المقدورات، فذلك وقت صحوهم، واتساع نظرهم، ومزيد علمهم، فهم بنجوم العلم، وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم، وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

وقال لي أستاذي: الزم الطهارة من الشكوك، ولا تشرك بالله شيئا، كلما أحدثت تطهرت، ومن دنس حب الدنيا، وكلما ملت إلى شهوة، أصلحت بالتوبة ما أفسدت

بالهوى، أو كدت، وعليك بمحبة الله تعالى على التوقير والنزاهة، وأدمن الشرب بكأسها والصحو، مع السكر، وكلما أفقت أو تيقظت شربت، حتى يكون سكرك وصحوك به. وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب. والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله، وقدس كمال جلاله، ولعلي أحدث من لا يعرف المحبة، ولا الشراب، ولا الشرب، ولا الكأس، ولا السكر، ولا الصحو، وقال له قائل: أجل، وكم من غريق في الشيء لا يعرف بغرقه، فعرفني ونبهني على ما أنا به جاهل، أو لما مر علي، وأنا عنه غافل، قلت: نعم، المحبة آخذة من الله تعالى. قلت: من أحب بما يكشف له من نور جماله، وقدس كمال جلاله. واعلم أن الري وشراب المحبة قل من يفهم المراد به، فإنه مزج الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال، ويتسع فيه النظر لمن شاء الله عز وجل.

وأما الشرب فهو سقيا القلوب والأوصال والعروق، من هذا الشراب حتى يسكر، ويكون الشرب بالتدريب، بعد التذريب والتهذيب. فيسقى كل على قدره، فمنهم من يسقى بغير واسطة، والله سبحانه يتولى ذلك منه وله، ومنهم من يسقى من جهة الوسائط، كالملائكة والعلماء، والأكابر من المقربين، فمن الأولياء من يسكر من شهود الكأس، ولم يذق بعد شيئا، فما ظنك بعد بالذوق، وبعد بالشراب، وبعد بالري، وبعد بالسكر بالمشروب؟ ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى، كما أن السكر كذلك.

وأما الكأس: مغرفة الحق، التي يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافي لمن يشاء من عباده المخصوصين من خلقه، فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورية، وتارة يشهدها معنوية، وتارة يشهدها علمية، فالصورية حظ الأبدان، والأنفس، والمعنوية حظ القلوب والعقول، والعلمية حظ الأرواح والأسرار، فيا له من شراب ما أعذبه؛ فطوبى لمن شرب منه، وداوم عليه، ولم يقطع عنه. نسأل الله من فضله: ﴿وذلك ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 4].

وقد يجتمع جماعة من المحبين، فيسقون من كأس واحدة، وقد يسقون من كؤوس كثيرة، وقد يسقى الواحد بكأس وبكؤوس، وقد تختلف الأشربة على حسب عدد الكؤوس، وقد يختلف الشرب من كأس واحدة، وإن شرب منه الجم الغفير من الأحبة.

وأوصاف المحب: أن يكون دائم الفكر كثير الذكر قليل العبادة دائم الصمت لا يخاف ولا يرجوا ولا يسمع إذا نودي ولا يبصر إذا نظر. ومن أحب الله وأحبه الله فقد تمت ولايته، والمحب على الحقيقة: من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة له غير مشيئته؛ فإذا مات ثبتت ولايته من الله له ولا يكره لقائه، ويعلم ذلك من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: 6] فإن الولي على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه، وقد أحب الله من لا محبوب له سواه، وأحب له من لا يحب شيئا لهواه، وأحب لقاؤه من ذاق أنس مولاه، ويتمحض لك الحب له في عشرة، فاعتبرها فيما رواه عن الرسول ﷺ، والصديق، والفاروق، وعثمان، وعلي، والصحابة، والتابعين، والأولياء، والعلماء الهداة إلى الله تعالى، والشهداء، والصالحين، والمؤمنين.

فإذا افترق الأمر بعد الإيمان إلى عشرة أشياء إلى: السنة والبدعة، والهداية والضلالة، والطاعة والمعصية، والعدل والجور، والحق والباطل، فإذا ميزت وأحببت أو أبغضت، فأحبب له وأبغض له، ولست تبالي بأيهما كنت، وقد يجتمع لك الوصفان في شخص واحد، ويجب عليك القيام بحقهما جميعا. فإذا قد بان لك الحب في الله في العشرة الأولى، فانظر هل ترى للهوى هناك أثرا، فكذلك فاعتبر حب من حضر من إخوانك الصادقين، والمشايخ الصالحين الصديقين، والعلماء المهتدين، وسائر من حضر أو غاب عنك أو مات، فقد خلص الحب من الهوى، وثبت الحب لله، وإن وجدت شيئا يتعلق به فيمن تحب أو فيما تحب فارجع إلى العلم، واتقن النظر في الأقسام الخمسة: من الواجب والمندوب إليه والمكروه والمحظور والمباح.

وحقيقة المحبة: رؤية المحبوب على العيان، وكمالها فقدانك في كل وقت وأوان، والمحبة أصل في الإفهام فمن أحب الله فهم عنه كل شيء. والمحب على الحقيقة: هو من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة له غير مشيئته، وحرام عليك أن تتصل بالمحبوب، ويبقى لك في العالمين مصحوب، وإذا منعك مما تحب وردك إلى ما يحب، فهي علامة محبته لك.

والمحبة: سر في القلب من المحبوب، إذا ثبت قطعك عن كل مصحوب. وعلامات الحب أربع مراتب: الحب لله، والحب في الله، والحب بالله، والحب من الله. فالحب لله ابتداء وهو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه، والحب من الله انتهاء وهو أن يأخذك من كل شيء، فلا تحل إياه، والحب في الله وبالله واسطة بينهما.

وعلامة الحب لله: دوام ذكره مع الحضور، وعلامة الحب في الله: أن تحب من لم يحسن لك بدنيا من أهل الطاعة والخير. وعلامة الحب بالله: أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهور. وعلامة الحب من الله: أن يجذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستور.

والحب وبساطه: بغض الدنيا وأهلها، وثمرته: الوصلة بالمحبوب، وإيثار الله بالمحبة يبنى على أربعة أصول: إيثار الجود على كل موجود، وإيثار الصفات بالتحسين لكل موجود، وإيثار أفعاله بالرضى عن كل مفقود، والمحبة أصل في الإفهام فمن أحب الله فهم عنه كل شيء. خصلتان تسهلان الطريق إلى الله تعالى: المعرفة والمحبة "حبك للشيء يعمي ويصم.

والحب الصافي على مبان أربعة: الإيمان والتوحيد وصدق النية وعلو الهمة. والمحبة مع الله برفض الشهوات والمشيئات، وإن أردت النيابة عنك أو منك فاعبد الله على المحبة لا على المتاجرة، وعلى المعرفة بالتعظيم والصيانة.

ومن لم تكن فيه أربع خصال فلا ترجو له فلاحا: العلم، والورع، والخشية لله، والتواضع لعباد الله. وورد المحبين الحقيقي إسقاط الهوى ومحبة المولى فإن المحبة أبت أن تستعمل لغير محبوبها. والمعرفة والمحبة والمواجيد الحقيقية أذهبت عنك الأعراض وعلل الأمراض.

وأول منزل يطؤه المحب للترقي منه إلى العلا النفس، فإذا اشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها، أشرق عليه أنوار المترل الثاني، وهو القلب، فإذا اشتغل بسياسته وتمت له المعرفة، ولم يبق منه عليه شيء أشرق عليه أنوار المنزل الثالث وهو الروح، فإذا اشتغل بسياسته وتمت له المعرفة هبت عليه اليقين شيئا فشيئا إلى تمام نهاياته، وهذه طريق العامة وأما طريق الخاصة فهي طريق ملوك تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها.

وليلى عبارة عن المحبوب عند السامع، إما خالقا وإما مخلوقا، واحدا أو جماعة، كأهل الله وطائفة المحبين والمنتسبين، أو المصطفى ﷺ أو سنته أو نحو ذلك مما يخطر بالبال. والزم الطهارة من الشرك كلما أحدثت تطهر من دنس حب الدنيا وكلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أوكدت. وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة وأدمن الشرب مع السكر والصحو كلما أفقت أو تيقظت شربت حيث يكون سكرك وصحوك به وحيث تغيب بجماله عن المحبة والشراب والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس جلاله.

وسألت أستاذي رحمه الله عن ورد المحققين، فقال: عليك بإسقاط الهوى ومحبة المولى، وآية المحبة ألا يشتغل محب بغير محبوبه، واعبد الله على القرب الأعظم تحظى بالمحبة والاصطفائية والتخصيص والتولية من الله والله ولي المتقين.

وكنت في بعض سياحاتي وقد أويت إلى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين فمكثت فيها ثلاثة أيام. لم أذق طعاما. فبعد الثلاثة أيام دخل علي ناس من الروم كانت قد أرست سفينتهم هنالك. فلما رأوني قالوا: قسيس من المسلمين. فوضعوا عندي طعاما وأداما كثيرا فعجبت كيف رزقت على أيدي الروم ومنعت ذلك من المسلمين؟ وإذا قائل يقول لي: ليس الرجل من نصر بأحبابه، إنما الرجل من نصر بأعدائه. إننا ننظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان، فأغنانا عن الدليل والبرهان، فبالحب تهبط المعرفة في القلب بلا دليل ولا برهان، وإنا لا نرى أحدا من الخلق، هل في الوجود سوى الملك الحق؟ وإن كان ولابد، فكالهباء في الهواء، إذا حققته لم تجده شيئا.

[المدد]

كنت فيما مضى أتقيد بالشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش، وأما الآن لا أنتسب لأحد، فأنا أستقى من عشرة أبحر: خمسة آدمية، وخمسة روحانية. فالخمسة الآدمية: محمد ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم؛ وأما الروحانية: فجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، والروح الأكبر نفع الله ببركاته وحشرنا معه بفضله. وأخذت ميراثي من جدي رسول الله ﷺ، أخذني جدي الحسين رضي الله عنه وعمل إصبعه في سرتي، وأدارني على رأسه، حتى بقيت السماوات والأرض، والعرش والكرسي بين يدي كالكرة، وأنا محيط بها، فقيل لي: قل: اللهم إني أسألك من النور الذي رأى به سيدنا محمد ﷺ ما كان وما يكون، ليكون العبد بوصف سيده، لا بوصف نفسه غنيا عن تحديد النظر بشيء من المعلومات، ولا يلحقه عجز عما أراد من المقدورات، ومحيطا بذات السر بجميع أنواع الذوات، ومرتبا للبدن مع النفس، وللقلب مع العقل، وللروح مع السر، وللأمر مع البصيرة، وللصفات مع الذات. وفي تلك الليلة مكنت من رؤية الأنبياء.

وطريقتنا هذه مروية مسلسلة، قطب عن قطب إلى رسول الله ﷺ، وأعطيت سجلا مد البصر فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقا لهم من النار والحمد لله على هذه النعمة والشكر والاستقامة واجبة لنا جميعا، وطريقنا طريق الغنى الأكبر.

ومن نبذ إلحاد الملحد في قولي فقد بصر بما يملي ويستملي الشرع نفاذ على ولي به أخذ ربه، يؤخذ ما يؤخذ عني وهو طريقي وطريق من أراد أن يصحبني، وإلا فإني بريء منه.

والله لقد جئت في هذه الطريق بما لم يأت به أحد، فلو أن الملائكة، والجن والإنس يكتبون عني إلى يوم القيامة لكلوا وملوا، وقد مكنت من خزائن الأسماء، وما من شيء إلا عندنا خزائنه فأين تذهبون، إن ملائكة السماء السابعة يأتون إلى ملائكة سدرة المنتهى، فأمدهم بما أمدني الله تعالى. وأطلعني الله على اللوح المحفوظ، واخترت أتباعي من اللوح المحفوظ وهم في الأصلاب. وقرأت ليلة: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: 1] فكشف لي عن اللوح المحفوظ فإذا فيه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] روحا وعقلا ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: 5] نفسا وهوى. ولولا لجام الشريعة على لساني وضعف العقول والتأدب مع جدي رسول الله ﷺ لأخبرتكم بما يكون في غد وبعد غد من رحمة الله الى يوم القيامة، ولقلت هذا سعيد وهذا شقي. وإن الله مكنني من ناصية كل ولي لله إلى يوم القيامة، وما من ولي لله كان أو يكون إلى آخر الدهر إلا وأنا أعرفه، وأعرف إسمه، وإسم أبيه، ومرتبته من الله.

والله لقد يسألونني عن المسألة، ولم يكن لها عندي جواب، فأرى الجواب مسطرا في الدواة، أو الزاوية، أو الحصير، أو الحائط، وفي التراب، أو غير ذلك، وان تنزل إلي علوم المعاملة ففي الزمن اليسير لحاجة الخلق لذلك ولذلك يقل أتباع من هذه علومه وقد يكثر المشترون للمرجان وقل أن يجتمع على شراء الياقوت إثنان وإن إتباع أهل الحق

قليلون، وقد قال الحق سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص: 24] وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال في أهل الكهف: ما يعلمهم إلا قليل فأولياء الله أهل كهف لا يواف قليل من يعرفهم.

والله إنه لينزل علي المدد، فأرى سريانه في الحوت في الماء، والطير في الهواء، والوحش في البر مني يستمد والحوت في البحر مني يستمد، والإفرنج مني يستمد. وقيل لي: فأنت إذن القطب. فقلت: أنا عبد الله. والله إني لأوصل الرجل إلى الله من نفس واحد، والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته وأوصلته لمقام الوصول، والله ما ولي الله وليا إلا وضع حبه في قلبي قبل أن يوليه، ولا رفض عبدا إلا وألقى بغضه في قلبي قبل أن يرفضه. ألا رجل من الأخيار يعقل عنا هذه الأسرار، هلموا إلى رجل صيره الله سفينة بحر الأنوار.

ورأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: «يا علي، ما على وجه الأرض مجلس في علم الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ زين العابدين بن عبد العظيم المنذري، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك».

وقيل لي: لماذا لا تقيد علمك؟ فقلت: كتبي أصحابي. فليس الرجل من ترك من بعده سطورا، وإنما الرجل من ترك وراءه صدورا. ألم ترى أن الله تعالى قال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49].

وقيل لي: يا علي: «مننت عليك بخصلتين لم أعطهما لأحد قبلك، ولا أعطيهما لأحد بعدك: إحداهما: من صحبك لا يصحب أحدا غيرك. والثانية: من سمع كلامك لا يسمع كلام غيرك أبدا». اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري، فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوه.

وقيل لي: يا علي ما شقي من رآك بعين المحبة والتعظيم، ولا من رآى من رآك إلى يوم القيامة.

وكنت كثير البحث عن كلام القوم حتى قال لي الحق سبحانه: تعريفي لك يغنيك عن علوم الأولين والآخرين، ما عدا علم النبيئين والمرسلين.

وقال لي رجل من أصحابي: يا سيدي هل رأيت جبل ق قال: نعم وجبل ص. والحمد لله رب العالمين.

ولما قدمت على الديار المصرية، قيل لي: يا علي: ذهبت أيام المحن، وأقبلت أيام المنن، عسرا بيسر، اقتداء بجدك ﷺ.

ولو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين.

ولما وصلت إلى الديار المصرية وسكنت به قلت يا رب: أسكنتني بلاد القبط أدفن بينهم فقيل لي: «يا علي تدفن في أرض ما عصيت عليها قط».

وسألت الله: أن يكون القطب الغوث من بيتي إلى يوم القيامة قال: فسمعت النداء يا علي قد استجيب لك.

وقيل لي: يا علي بي قل، وعلي دل، وأنا الكل. أنا رباني القطب، ومن رباه القطب رباه أربعون بدلا.

وقلت: يارب لم سميتني بالشاذلي، ولست بشاذلي؟ فقيل لي: «يا علي ما سميتك بالشاذلي، إنما أنت الشاذ لي -بتشديد الذال المعجمة - يعني: المتفرد لخدمتي ومحبتي».

وقوي علي الشهود مرة فسألت الله تعالى أن يستره عني، فقيل لي: لو سألته بما سألته بما سأله إبراهيم خليله وموسى كليمه وعيسى روحه، ومحمد ﷺ صفيه وحبيبه، ما فعل

أن يحجبك عنه ما حجبك، ولكن اسأله أن يقويك عليه فسألته فقواني، فعند ذلك لو احتجب عني طرفة عين لمت من البين.

وأنا والله الذي لا إله هو ممن جعلت لي الدنيا كلها خطوة واحدة سهلها وجبلها وبرها وبحرها، وإذا رأيت ما يخيف الناس أتخطى بهم حيث الأمن ولابد لي ولك من المقام بين يدي الله عز وجل حتى يسألني عن حقيقة ما قلت. وإذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسم على الله بي.

[مراتب الولاية والأولياء]

مراتب الأولياء أربعة: مرتبة في القرب به، ومرتبة في الملك، ومرتبة في الحقوق، ومرتبة في الحظوظ. والولي مصان في أربعة مواطن: من الخواطر والوسواس في الصلاة، ووقت الدعاء واللجأ إلى الله، والنجاة والفرار إلى الله، ووقت نزول الشدائد وعند تفريجها، فهذه المواطن لا تخطر بقلوبهم ولا يتعلق فيها شيء سوى الله عز وجل، وهي محروسة مصونة إلا من أربعة أصناف: من الآخرة وضدها، ومن ذكر الأولياء وأضدادهم، ومن ذكر الطاعات وأضدادها، ومن ذكر حقائق الإيمان وأضدادها، فهي مصانة من جميع الخواطر كلها إلا من هذه الأربعة، لما فيها من فوائد الاستعمال بالعبودية المحضة من النهوض عن الضد، وكيف لا يكون ذلك ورسالات الله تعالى على لسان نبينا عليه السلام محشوة بذكر ذلك كله؟ فلا ينازع في دفع شيء من ذلك من هذا الباب. واعط الأدب حقه فيما يخطر بقلبك، واعتصم بالله ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾.

وعليك بالتقوى في ثلاثة منازل: تقوى العزائم، وتقوى الاقتضاء، وتقوى التحويل في الأحوال والأماكن. والتوكل رأس الأعمال، والزهد أساسها، وتفسير التقوى في العزائم: أن تعزم في جانب الخير أن تفعله، وفي جانب الشر ألا تفعله. ثم تقتضي من نفسك في

وقت ثان بتقوى مجدده أن تفعل كما عزمت، وأن تترك كما عزمت، ثم يعترضك في الأحوال الظاهرة والباطنة أحوال: كالعز والذل، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والبؤس والنعماء وغير ذلك. وفي الباطن كالقبض والبسط، والخوف والرجاء، وغير ذلك.

ومنه أيضا الكبر والتواضع، وخوف الفقر والأمن، وسائر الأضداد، فتعطي التقوى حقها في الأحوال وفي الأوصاف وفي التحول من بلد إلى بلد ومن موضع إلى موضع وغير ذلك، وانظر في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2- 3] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا. ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5] فانفذ بالفهم وأنزل التقوى منزلتها ترى العجائب وأسرار الله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]، إن الله بالغ أمره ومن يزهد في الدنيا يحبه الله، ومن أحبه الله كفاه الله وكلاه، وجعله في حرزه وفي صيانته ومأمنه وفي وكالته وفي معاقله ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ [الزخرف: 36] نفسا أو نفسين أو زمانا أو زمانين أو ساعة أو ساعتين ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 36- 37].

وكل نفسك وزنها بالصلاة والصيام وإقبال الخلق عليك، وإعراضهم عنك؛ وبالفقد والوجد والأحوال الظاهرة والباطنة، فإن خطر ببالك شيء تسكن إليه، أو تفرح به، أو تحزن عليه أو تهتم له أو من أجله، فذلك عيب يسقطك، عن الولاية الكبرى، والصديقية العظمى، فالحظوظ والحقوق كلها سواء عند ذوي البصيرة لأنه بالله فيما يأخذ ويترك، لكنها مزلة قدم الجهال. فإذا انتهت عن الحظوظ فاعلم أنك سعدت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45].

وإن عساك أن تحظى بالولاية الصغرى في درجات الإيمان، ومزيد العمل، ولن تعدم فيها الوساوس والخواطر؛ لأنك بعيد من سماء الدنيا، وقريب من النفس والهوى والشيطان يسترقون ويلقون ويقولون، فإن أيدت بنجوم العلم وكواكب اليقين ودوام الحفظ فقد تمت ولايتك في هذا الباب، وإلا فكنت مثاغرا، فتارة لك وتارة عليك على حسب ذلك، فلك أجر المجاهد في سبيل الله.

ومن خرجت له من خزائن المنن على بساط المحبة فقد تمت له ولاية الله بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 196]. ففرق بين الولايتين: فعبد يتولى الله، وعبد يتولاه، فهما ولايتان: صغرى وكبرى. فولايتك لله: خرجت من المجاهدة، وولايتك لرسوله: خرجت من متابعتك لسنته، وولايتك للمؤمنين: خرجت من الاقتداء بالأئمة، فافهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 56].

والعارف بالله تعالى لا تنغصه حظوظ النفس؛ لأنه بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يترك، إلا إن كانت الحظوظ معاصي. والأولياء لهم درجات ومراتب يصل إلى أن يزول عنهم فيها كلفة التكليف، ومنهم من بسط لهم في العلم والمعرفة، والنور والمحبة، والتوحيد واليقين، وكشف الغيب والرسوخ فيه، والتحقق بالغنى سبحانه وتعالى وبآثار أنوار البقاء. وبساطهم المحبة الفرعية من ذاق عرف ومن لم يذق لم يعرف، ودائما استحضار بالمحبة والتعظيم شيخه وأهل سنده رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وعلى رأسهم وسيدهم وقائدهم وأمامهم سيد الوجود والسبب في كل موجود ﷺ سيدنا ومولانا محمد ﷺ، والسلام.

[المراقبة]

عليك أيها السائل لطريق الآخرة بتحصيل ما أمرت به في ظاهرك، فإذا فعلت ذلك فاجلس على بساط المراقبة، وخذ بتخليص باطنك حتى لا يبقى فيه شيء، مما نهاك عنه، وأعطي الجد حقه، وقلل النظر إلى ظاهرك إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك، فما ورد عليك من خطرات بعدك تصدك عن مرادك، فاعلم أولا قرب ربك منك علما يباشر قلبك بتكرار النظر في جلب منافعك، ودفع مضارك، وانظر لقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: 3] فإن من الأرض نفسك، ومن السماء قلبك، فإذا أنزل من السماء إلى الأرض من شيء فمن ذا الذي يصرفه عنك غير الله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4] فاعطي المراقبة حقها بلزوم العبودية له في أحكامه، ودع عنك ما منازعة الربوبية في أفعاله، فإن من ينازعه يغلب: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18]. نعم، الحق ما أقول لك ما من نفس من أنفاسك إلا والله متوليه، مستسلما كنت أو منازعا، لأنك تريد الاستسلام في وقت، ويأبى الله إلا النزاع، وتريد النزاع في وقت آخر ويأبى الله إلا الاستسلام. فدلت هذه على الربوبية في جميع أفعاله، ولا سيما عند من اشتغل بمراعاة قلبه لتحصيل حقائقه.

فإذا كان الأمر بهذا الوصف فأعط الأدب حقه، فيما يراد عليك بأن لا تشهد لشيء منك أولية، إلا بأوليته، ولا آخرية إلا بآخريته، ولا ظاهر إلا بظاهريته، ولا باطنا إلا ببطانيته، فإن تنبهت لمؤول الأول نظرت فيما يؤول إلى ما يؤوله، فإن صدر عليك خاطر من المحبوب يوافق النفس، أو مكروها لا يوافقها مما لم يحرمه الشرع فانظر لما يخلق الله

في قلبك بأثر ما يخطر ببالك، فإن وجدت تنبيها عن الله تعالى فعليك بالتحقق به، فذلك أدب الوقت عليك، ولا ترجع إلى غير ذلك.

فإن لم تجد السبيل إلى التحقق به فعليك بالتعريس بين يديه فهو أدب الوقت عليك، ومهما رجعت إلى غيره فقد أخطأت سبيلك، فإن لم يكن ذلك منك فعليك بالتوكل والرضا والتسليم، فإن لم تجد السبيل إليه فعليك بالدعاء في جلب المنافع ودفع المضار بشرط الاستسلام والتفويض، وأحذرك من الإختيار فإنه شر عند أولي الأبصار، فإذا هي أربعة آداب: آداب التحقيق، وآداب التعريس، وآداب التوكل، وآداب الدعاء، فمن تحقق به حفظ منه، ومن تعرس عنده كفى من غيره بربه، ومن توكل عليه كفى من اختيار نفسه باختيار ربه، ومن دعاه بشرط الإقبال والمحبة أجابه إن شاء فيما يصلح له، أو منعه إن شاء فيما لا يصلح له، ولكل أدب بساط.

البساط الأول: بساط التحقيق، إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن صفاته فكن هنالك بسرك، وحرام عليك أن تشهد غيره.

البساط الثاني: بساط التعريس، وإذا ورد عليك خاطر من غيره، وكشف لك عن صفاته، فعرس هناك بسرك، وحراما عليك أن تشهد غير صفاته شاهدا أو مشهودا، وفي الأول فناء الشاهد وبقاء المشهود.

البساط الثالث: بساط التوكل، فإذا ورد عليك خاطر من غيره، ليس مما تقدم ذكره من محبوب أو مكروه، وكشف لك عن عيوبك جلست على بساط محبته متوكلا عليه راضيا بما يبدو لك من آثار فعله وأنوار حجته.

البساط الرابع: بساط الدعاء، فإن ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن فقرك إليه فقد دلك على غناه، واتخذ الفقر بساطا، فاحذر أن تنزل عن هذه الدرجة إلى غيرها فتقع في مكر الله من حيث لا تعلم، وأقل ما يكون منك إذا نزلت عنها أن ترجع إلى نفسك

مدبرا لها ومختارا بها، فأشرف أحوالك ولا حال لك أن تحملها على الجد والاجتهاد، إما في ظاهرك وإما في باطنك طمعا أن تدفع بذلك عن نفسك. وما أسوأ حالك إذا كابدت أن تدفع عنها ما أراد الله أن يدفعه عنك فكيف إذا نازعته فيما يريد دفعه عنك، وأقل ما في هذا الباب دواعي الشرك، فإنك قد غلبت وما غلبت، فإن كنت غالبا فكن حيث شئت ولن تكون حيث شئت أبدا، فدل اجتهادك على عظيم جهلك بأفعال الله، وما أقبح عبدا جاهلا أو عالما فاسقا، فما أدري بأي الوصفين أصفك، أبالجهل أم بالفسق، أم بهما جميعا. وتعوذ بالله من دعاوي الشرك وتعطيل النفس عن المجاهدات، ومن خلو القلب عن المشاهدات، إذ التعطيل ينفي الشرع، والخلو ينفي التوحيد، وحاكم الشرع قد جاء بهما جميعا، فارجع عن منازعة ربك تكن موحدا، واعمل بأركان الشرع تكن سنيا، واجمع بينهما بعين التأليف تكن محققا: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53].

ثم إن خطر لك في مراقبتك أيضا خاطر من مكروه في الشرع أو محبوب فيه مما قد سلف منك، فانظر ما تذكر به وتنبه، فإن ذكرت الله به فأدبك توحيده على بساط تفريده، فإن لم يكن هناك فأدبك رؤية فضله فيما حلاك به من لطيف رحمته، وزينك من طاعته بتخصيص محبته على بساط مودته، فإن نزلت عن هذه الدرجة ولم تكن هناك فأدبك رؤية فضله، إذ سترك فيما اقترفت من معصية ولم يكشف سترك لأحد من خلقه، فإن صرفت عن هذا الباب وذكرت معصيتك ولم تذكر ما تقدم من الآداب الثلاثة فقم بآداب الدعاء بالتوبة منها أو من مثلها وطلب المغفرة لها حسبما يطلبه الجاني المخاطر به.

هذا في جانب المكروه في الشرع، وأما إذا ورد عليك خاطر من طاعة نفذت وذكرت من أفادكها، فلا تقر عينيك بها بل بمنشئها، فإذا قرت عينك بغيره فقد سقطت عن درجة التحقيق، فإن لم تكن في هذه المنزلة فكن في التي تليها وهو أن تشهد عظيم فضل الله تعالى عليك إذ جعلك من أهلها، وميراثها أن ترزق خيرا منها، بل من علامتها الدالة على

صحتها، وإن لم تبوأ هنا وبوأت فيما دونها، فأدبك تدقيق النظر في تلك الطاعة، هل هي هي وأنت سالم من المطالبة فيها، أم هي بعكس ذلك وأنت مأخوذ بها. نعوذ بالله من حسنات تعود سيئات: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] فإذا نزلت عن هذه الدرجة إلى غيرها فأدبك طلب النجاة منها بحسنها وسيئها، وليكن هروبك من حسناتك أكثر من هروبك من سيئاتك إن أردت أن تكون من الصالحين.

[المشاهد]

- استأذنني بعض الفقراء للحضور والسماع، فهممت بذلك، فرأيت كأني بين يدي كتابين: كتاب الفقيه ابن عبد السلام، وأوراق فيها شعر من جزء، وإذا بأستاذي رضي الله عنه واقف، فتناول كتاب الفقيه بيمينه والأوراق بشماله، فقال لي كالمنتهر: أتعدلون عن العلوم الزكية؟، وأشار بيده إلى كتاب الفقيه إلى أشعار ذوي الأهواء الرديئة؟ وأشار بيده إلى أوراق الشعر، ثم رماه في الأرض. وقال لي رضي الله عنه: فمن أكثر من هذا فهو عبد مرقوق لهواه، وأسير لشهواته ومناه، يسترقون بها قلوب ذوي الغفلة والنسوان، وأهل الضلالة والعميان، ولا إرادة لهم في عمل الخير واكتساب العرفان، يتمايلون عند سماعها تمايل اليهود، ولم يحظ أحد منهم بما حظي أهل الشهود، لئن لم ينته الظالم ليقلبن الله أرضه سماءا وسماءه أرضا. فأخذني منه حال بوجد وبكاء وأنا أقول له: نعم يا أستاذي، ألا إن النفس أرضية والروح سماوية، فقال لي: نعم يا علي، إذا كانت الروح بأمطار العلوم دائرة، والنفس بالأعمال الصالحة ثابتة، فقد نلت الخير كله، وإذا كانت النفس غالبة والروح مغلوبة، فقد حصل القحط والجدب، وانقلب الأمر، وجاء الشر كله، فعليك بكتاب الله الهادي، وبكلام رسوله الشافي ﷺ، فلن تزل بخير ما آثرتهما، وقد أصاب الشر من عدل عنهما، وأهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: 23].

- بعد سكناي شاذلة صعدت إلى جبل زغوان فأقمت فيه أشهرا فارا من الخلق، فرأيت سيدي رسول الله ﷺ قال لي: «انزل إلى الخلق ينتفعون بك»، فقلت: يا رب ما لي والخلق أقلني منهم؟ فلا طاقة لي بمخالطتهم، فقيلت لي المقالة ثانية، فأعدت الاستقالة، فقيلت لي ثالثة: «انزل إلى الخلق ينتفعون لك، قد أصحبناك السلامة، وأسقطنا عنك الملامة، اعمل ما شئت مغفور لك»، فقلت: يا رب تردني إليهم نحتاج إليهم على ما يأتيني على أيديهم من الزكوات والعداة؟ فقيل لي: «أنفق يا علي، مليا من غنى، إن شئت من الغيب وإن شئت من الجيب، أربعون يأكلون على مائدتك في الرخاء والشدة، القمح مأدوما بلحم أو عسل».

- تنسكت ببعض الجبال، فألقي في سري: من سكن خوف الفقر في قلبه قل ما يرفع له عمل، فضقت بذلك ذرعا، وأقمت على ذلك عاما، فرأيت النبي ﷺ وهو يقول لي: «يا مبارك يا مبارك، أهلكت نفسك، فرق بين سكن وخطر، فالمؤمن يخطر به ولا يسكن»، فسكن ما بي. وإذا استحسنت شيئا من أحوالك الظاهرة أو الباطنة، وخفت زواله، فقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

- رأيت آدم عليه السلام ينظر عن يمينه وينظر عن شماله، فهناك سبب الضحك والبكاء، ورأيت الجنة عن يمينه والنار عن شماله، ورأيت الناس يتنعمون في الجنة منه، ورأيت الناس يعذبون في النار منه، فقيل لي: أعرف حقيقة اليمين وحقيقة الشمال عن أبيك آدم، وبقي لك أن على يمين اليمين، وعلى شمال الشمال، وعلى فوق الفوق، وعلى تحت التحت، وتطلع على البرزخ الأعلى، وعلى البرزخ الأدنى وعلى البرازخ المائلة من ذلك البرزخ وهو البرزخ الذي بين الحق والخلق.

- رأيت أني مع النبيين عليهم الصلاة والسلام فقلت: اللهم، اسلك بي سبيلهم مع العافية عما ابتليتهم؛ فهم أقوى مني. فقيل لي: قل: وما قدرت علينا من شيء فأيدنا فيه كما أيدتهم.

- رأيت البارحة كأني في جلبة، وأنا في البحر، والرياح قد اختلفت، والأمواج قد تلاطمت، والمركب قد انفتحت، وأشرفنا على الغرق، فأتيت إلى جانب المركب وقلت: أيها البحر، إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لي؛ فالمنة لله السميع العليم، وإن كنت أمرت بغير ذلك؛ فالحكم لله العزيز الحكيم، فسمعت البحر يقول: الطاعة الطاعة. ورأيت السماء قد انفتحت ونزل منها ملكان، أحدهما يقول: موسى أعلم من الخضر، والآخر يقول: الخضر أعلم من موسى، ونزل ملك آخر وهو يقول: والله ما علم الخضر في علم موسى إلا كعلم الهدهد في علم سليمان حين قال: أحطت بما لم تحط به. ففهمت أن الله سلمنا في سفرنا؛ فإن موسى سخر له البحر.

- رأيت النبي ﷺ في واقعة من الوقائع فقلت له: يا رسول الله ما حقيقة متابعتك في العمل على موافقة شريعتك، فقال: «هي أن تعمل العمل مع شهودك للشرع حال العمل وبعد العمل».

- رأيت النبي ﷺ يقول: «اهتدى لسنتي من آمن بالله واليوم الآخر، وأعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، وعزم أن لا يعصي الله، وإن عصى استغفر الله وتاب لله وأناب، فقلت: فما تاب وأناب؟ فقال: تاب عن معصية الله، وأناب من طاعة الله إلى الله».

- رأيت جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وجماعة من أجناد هذا الوقت فجعلت أنظر إلى هؤلاء تارة وإلى هؤلاء تارة، فخرج إلي واحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لي: أليس في ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وأعمالهم ما يغنيك عن ذكر هؤلاء وأفعالهم،

لكن هم الرزق، وخوف الخلق، ونصرة النفس، وإتباع الهوى يقطع عن الخير كله، ونصرة النفس إجابتها إلى محابها.

- رأيت رجلا من أصحابي يحرضني على أن أكتب كتابا للقاهرة في أمر يوجب البراءة للنفس، فرأيت صورة جميلة دخلت علينا لا نشك أنها من قبل الحق تعالى فقال: من قدس برحمته الرحمانية في أزل الأزلية لا يتغير بالأحوال ولا ينتقض ولا ينقص بالأقوال ولا يتزيد بالأفعال، فالنفس مع الروح كالجسد مع الظل والظل يميل والأصل لا يميل، والروح سر والسر برقة وهو شعاع الحقيقة الصغرى، والسر نور من نور السر الأعلى، وكل هذا مخلوق بقدرة الله تعالى موثوق، لا يستفزنك غير هذا فتشقى وفي جهنم من نار البعد تلقى، والعقل الأصلي ميدان التجلي، فإن أردت ذلك فعليك بالتجلي، واقتد بمن هو مصلي الصلاة والصلاة صلة بين العبد وربه، فانظر أي عبد هذا فمن لم تكن صلاته له مواصلة كانت له مفاصلة.

- رأيت رسول الله ﷺ فأوصاني فقال: «لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا، وقليل ماهم، إن من أعظم القربات عند الله تعالى مرافقة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلاص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها».

- رأيت رسول الله ﷺ ونوحا عليهما السلام وملكا بين يديهما، فقال الملك: لو علم نوح عليه الصلاة والسلام أن في أصلاب قومه من يأتي يوحد الله عز وجل كما علم محمد ﷺ من قومه، ما دعا عليهم بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 26- 27] هذا موضع العلم الحقيقي الذي لا يتبدل، ولو علم محمدا عليه الصلاة والسلام من قومه ما علم نوح

عليه السلام من قومه، ما أمهلهم طرفة عين، ولكن علم أن في أصلابهم من يؤمن بالله واليوم الآخر ويسعد بلقاء ربه، فقال: «اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون» (رواه البخاري: 3/ 1282)، فكل منهما على علم وبينة من الله تعالى، فألزم كل واحد ما ألزم من الدعاء؛ ثم قال: أليس كذلك؟ فقالا بلى، ثم قال: من جاهد نفسه، وهواه، وشيطانه، ومشهوته، ودنياه فغلب فهو منصور مأجور، ومن جاهد أولئك فغلب فهو مغفور ومعذور ومشكور ما لم يصر على الذنب، أويرضى بالعيب، أو تسقط منه الخشية في الغيب ومن كان بإحدى الثلاثة وعلم أنه له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، وآمن بالقدر كله، وخاف من ذنبه، ووجل من ربه فالرحمة أسرع إليه من القطر إلى الأرض كقول الله سبحانه وتعالى "أرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عبدي إذا أقبل علي. والهالك الذي يفرح بالمعصية إذا عصى ويحزن عليها إذا فاتته ويفتخر بها ولا يتستر منها، فنعوذ بالله من ذلك وهي في مشيئة الله.

- رأيت رسول الله ﷺ، فقال لي: «قل لفلان ابن فلان، يقرأ هذه الكلمات، فمن قرأهن، تنصب عليه الرحمة صبا كالمطر: الحمد لله الذي بدء منه بدأ الحمد وإليه يعود، كل شيء كذلك، لا إله إلا الله، اللهم اغفر لي شركي وظلمي وتقصيري واغفر للمؤمنين والمؤمنات».

- رأيت رسول الله، فقلت له: يا سيدي يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني رحمة للعاملين، فقال: «أنا هو ذاك يا علي، والولي رحمة في العالمين».

- رأيت شخصا يقول لي: يا بشراك أربع: قد غفر الذنب وسقط العيب، واتضح الغيب وارتفع الريب. فلا امتراء ولا إشكال. واحكم بما أراك الله، ولا تكن للخائنين خصيما.

- رأيت في النوم طائفة من الغزلان يصطادونها أناس، لم ار أقبح منهم صورة، فتمكن الصبيان منها وجعلوا يلعبون بها، فاستيقظت وتعجبت منها، ثم نمت فرأيت رجلا جميل

الصورة يقول لي: أجرى الحيوانات وأمنعها الغزلان، ولقد رأيتها تصطاد ويلعب بها الصبيان، فكذلك أسبق الرجال جريا أهل العلم والعرفان، ولقد رأيت النساء والدنيا تأخذ بعقولهم فيلعب بهم الشيطان. فاحذروا النساء والدنيا، والتزموا الصدق والتقوى، واهجروا مواطن السوء والشر تحظوا بالدرجات العلا.

- رأيت كأن رجلا جاء إلي فقال لي: إن السلطان يأتي إليك. فقل: اللهم ألق علي من زينتك ومحبتك وكرامتك ومن نعوت ربوبيتك ما يبهر القلوب، وتذل النفوس، وتخضع له الرقاب، وتبرق له الأبصار، وتتبدد له الأفكار، ويصغر له كل متكبر جبار، ويسجد له كل ظلوم كفار، يا الله، يا مالك، يا عزيز يا جبار، يا الله يا أحد يا واحد، يا قهار ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾.

- رأيت كأنني مع رجلين من أصحابي والشمس علينا وكأنها قد خسفت وإذا شخص بين يدي يقول: إذا خسفت شمسك فطهر أعضاءك وجرد ثيابك واستقبل قبلتك وقم بين يدي ربك بالتعظيم والتسبيح والتحميد والركوع والسجود وحسن المناجاة للملك المعبود ثم لا تبرح حتى يغفر لك ويذهب الخسف عنك فترى ما غاب عنك بأشد ما تراه بعينك، ثم قال: أدبهما وعلمهما كما أدبت وعلمت.

- رأيت كأني أطوف بالكعبة، طالبا من نفسي الإخلاص، وأنا أفتش عليه في سري؛ فإذا النداء علي: يا علي كم تدندن مع من يدندن، وأنا السميع القريب العليم الخبير؟ وتعريفي يغنيك عن علم الأولين والآخرين معا، ما خلا علم الرسول ﷺ، وعلم النبيين عليهم السلام.

- رأيت كأني بين يدي العرش، فقلت: يا رب يا رب، فقال تعالى: لبيك لبيك، فقلت: يا رب، فاهتز العرش، فقلت: يا رب، فاهتز اللوح والقلم، فقلت: يا رب أسألك العصمة، وأعوذ بك من دعاوي النفس والهوى، والشهوة والشيطان والدنيا، فإنهن يهوين بالمرء

من أعلى عليين إلى أسفل سافلين في أسرع من لمح البصر، وأنت أعلم بذلك، ولا حول ولا قوة إلا بك، فقيل لي: لك ذلك.

- رأيت كأني في المحل الأعلى، فقلت: يا الله، أي الأحوال أحب إليك؟ وأي الأقوال أصدق لديك؟ وأي الأعمال أدل على محبتك؟ فوفقني واهدني، فقيل لي: أحب الأحوال إلي: الرضا بالمشاهدة؛ وأصدق الأقوال لدي: قول "لا إله إلا الله" على الطهارة؛ وأدل الأعمال على محبتي: بغض الدنيا، واليأس من أهلها، مع الموافقة.

- رأيت كأني في الملكوت الأعلى تحت العرش في أرض وفيها خلق كثير فأرسل كلب إلى صيد هناك فأخذ الصيد، وتقدم رجل فأخذ الصيد من الكلب، فقال: أجمع علماء الأمة على إباحة هذا الصيد وأنه حلال، وإنما ذلك لسبب إمساكه على سيده، ثم نمت فرأيت كأنا اجتمعنا في موضع آخر ورأيت كأني خصصت بالدخول على الملك الحق وكأني بين يدي بلا مكان فقلت: يا رب هذا الرجل لا يأتيني بشيء نراه إلا وأجد فيه تعقيدا، وإذا على هذا الباب عبد يتطلب الفقه عن الله بالفطنة ويتعرف إليه بالكياسة ولم يعلم أن ذلك طرف من الرياسة، وآخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة، ورياسة الصديقين من أربعة أوجه: من العلم، والعمل، والفقر، والتبري من الحول والقوة، علموا أن العلم أفضل الدرجات وأن الجهل أقبح الصفات فعلموا وعملوا بما تعلمون، بل علموا أن ذلك لا يتم أيضا إلا بالفقر إلى الله تعالى في كل شيء فعلموا وعملوا ولو فقهوا لعلموا لما يعلم الله منهم، فالكلب أفقه منهم لأنه نهض لمراد سيده لا لمراد نفسه، فأجمعت الأمة على أن صيده حلال، فأخطئوا بذلك طريق القصد إلى الله تعالى وأصابوا طريق العمل الصالح، ثم همت فقلت: ما طريق القصد إلى الله تعالى؟ فنادى علي: انظر إلى وجودك أكنت لنفسك بشيء قبل وجودك؟ بل الله تعالى كان لك بفضله، أنظر إلى وجودك أكنت لنفسك بشيء قبل وجودك أكنت لنفسك بشيء قبل وجودك؟ بل الله تعالى كان لك بفضله، فلم عرفت فضل الله عليك في حركة واحدة من

حركاتك وأنت تعلم أنها من فضل الله تعالى عليك، فإذا إعترضك شيء من عملك وكسبك فغرقه في فضل الله عليك قبل أن يغرقك.

- رأيت كأني في حدود عليين مع الملائكة المقربين، في نعيم لا أبغي عنه بدلا؛ فقالوا: سر إلى الزيادة، فسرت معهم، فدخلت في موطن كريم لا أقدر على وصفه طامعا في الشهود، فإذا أنا بشهود لا أقدر على وصفه، فقيل لي: من كففت جوراحه عن معصيتي، وزينته بحفظ أمانتي، وفتحت قلبه لمشاهدتي، وأطلقت لسان سره لمناجاتي، ورفعت الحجاب بينه وبين صفاتي، وأشهدته معاني أرواح كلماتي، فقد زحزحته عن النار، وأدخلته جنتي، وفاز بقربي، وصحبة ملائكتي ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185]. فهذه جنة معجلة لأهل الإيمان البالغ يقينا، وسيدخلونها يوم الجزاء بأبدانهم ذوقا حسا وعيانا، ثم ناديتهم بالعبارة والإشارة واللطف والحقيقة ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 27].

- رأيت كأني مع جماعة من الصالحين ووجه شبه الخنازير يحملون على الناس حملا شديدا فكل من حملوا عليه أسقطوه إلا قليلا منهم، وكنا نأخذ في حديثهم فإذا برجل يقول لنا: اشكروا الله تعالى واستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود ولو شاء الله لسلطهم عليكم كما سلط على كل من كان من قبلكم فقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: 43] فلا براءة فاستغفروه وتوبوا إليه.

- سألت الله أن يعلمني بلا تعليم، فرأيت النبي ﷺ فقال لي: «يا علي، أتريد أن تبطل سنتي؟! عليك بالتعلم!».

- سألني بعض الأصحاب وأعز الناس علي أن أستخير الله تعالى له في خير يأمله ففعلت في أول ليلة طلب مني ذلك إشارات من رحمة الله ترد عليه من الله من غير بيان فيما سأل، وسألني في الليلة الثانية كذلك فرأيت مثل ذلك، ثم سألني في اليوم الثالث

فلجأت إلى الله فيما أراد مني فرأيت أستاذي رضي الله عنه فقال لي: عبد يخالط أهل الآخرة ويعول عليهم، ويخالط أهل الدنيا وينفر طبعه منهم، إن ضيق عليه لجأ إلى الله تعالى، وإن أنعم عليه أخذ في الشكر لله تعالى فما ظنك به عند الله، أفلا تعقلون، احمله على فواضل الأعمال يبارك له فيما يبغي، ويدخر له فيما يبقي، وسيجزي الله الشاكرين.

- سمعت الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة» (رواه مسلم: وأحمد وأبو داود والنسائي: كشف الخفاء: 1/ 252)، فأشكل علي معناه، فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لي: «يا مبارك، ذاك غين الأنوار، لا غين الأغيار»، وكررها ثلاثا.

- قرأت ليلة من الليالي في وردي قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمان: 26- 27] فأخذني حال فرأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقال لي: صل من يبقى واهجر من يفنى، تجل عن الفناء، وتكرم بالبقاء، وقال: رأيت كأني مع النبيين والصديقين فأردت الكون معهم، ثم قلت: اللهم اسلك بي سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم فإنهم أقوى ونحن أضعف منهم، فقيل لي: قل: وما قدرت من شيء فأيدنا كما أيدتهم.

- كنت مريضا بمدينة القيروان مرضا مخوفا، فقلت: إلهي توفني على أحب الحالات، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقول: «يا علي، طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس»، فقلت: وما ثيابي يا رسول الله؟ فقال لي: «إن الله عز وجل كساك حلة المعرفة، ثم حلة المحبة، ثم حلة الإيمان، ثم حلة التوحيد، ثم حلة الإسلام؛ فمن عرف الله صغر لديه كل شيء، ومن أحب الله هان عليه كل شيء، ومن آمن بالله أمن من كل شيء، ومن وحد الله لم يشرك به شيئا، ومن أسلم لله قل ما يعصيه في كل شيء، وإن عصاه

اعتذر إليه، وإذا اعتذر إليه قبل عذره». ففهمت عند ذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: 4].

- هممت أن أدعوا على ظالم، فتورعت عن ذلك، فرأيت أستاذي رحمه الله يقول لي: إن الله تعالى لم يشأ إهلاكه، فلا تستعجل له، فالاستعجال بالهلاك للأعداء وإرادة النصر للأولياء من الشهوة الخفية، ومن أظلم ممن ينازع إرادة مولاه، ويتبع شهوة نفسه وهواه؟ وقد أمر المعصوم الأكبر ونهى بقوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35] وبقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49].

[المصائب]

المغبون في الدنيا والآخرة من صحب مصائب الأجور بالكراهة والثبور ومساخط الله، وجهل أن الرضى عن الله ثوابه الرضى من الله تعالى، إن ترضى عن الله يرضى عنك، وإن تسخط عن قضاء الله يسخط عليك؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 9].

وحد السخط: إرادة ما لم يرد الله بالحكم، ومن آمن بالقسمة حرام عليه أن ينازع في الحكم، وكل مصيبة يرجى ثوابها ولا يخاف عقابها فليست بمصيبة، إنما المصيبة ما لا يرجى ثوابها، ويخاف عقابها.

وإذا قلت على كل مصيبة نزلت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]، اللهم أجرني في مصيبتي، واعقبني خيرا منها، إلا أعقبه الله خيرا منها، الحديث، فألقى إلي في سري أن أقول: واغفر لي سيئها، وما كان من توابعها، وما اتصل بها، وما هو محشو فيها،

وكل شيء كان قبلها، وما يكون بعدها، فقلتها، فهانت علي، فلو أن الدنيا كلها كانت لي في ذلك الوقت وأصبت فيها لهانت علي، ولكان ما وجدت من برد الرضى والتسليم أحب إلي من ذلك كله.

وإن مما تبين نفعه وصحت تجربته ووقف على بركاته، فمن كان عليه خوف من سلطان جائر أو طلب بغير حق، أو هاله فزع أو ضلت به الطريق، أن يقرأ سورة يس ثم يقرأ بعدها: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، بسم الله الذي لا إله إلا هو ذي الجلال و الإكرام، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، اللهم إني أعوذ بك من شر فلان إبن فلانة فإنه يكفي شره.

واعلم أنه لو أطبقت السماوات على الأرض طبقا أو أشعلت الدنيا نار بالفتن ثم أطاع العبد ربه في نفس بصدق اللجأ نجاه الله تعالى نجاة بقدر ما أخلص قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 8- 9] لدفع كيد الأعداء ورد ضررهم وتدميرهم وصد وجوههم وعمي أبصارهم وخذلانهم من كتبها على ترس أو درقة نقشا في صحيفة نحاس أو ذهب وسمرها على قبضة الترس ولقي بها الأعداء والمخالفين للدين فإنهم يخذلون ويرد كيدهم في نحرهم ومن قرأخا عند دخوله الفراش أمن في ليلته من اللص والمفسد ومن قرأها في مخاصمة رجبين خذل الظالم منهما بقدرة الله سبحانه.

ورأيت في النوم صائحا يصيح من جو السماء إنما تساق لرزقك أو لأجلك أو لما يقضى الله به عليك أو بك أو لك وهي خمسة لا سادس لها، فاتق الله إينما كنت ولا تعدل

بالتقوى شيئا، فإن العاقبة للمتقين، والله يحب المتقين، فبحقي يحبهم ويحبونه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [المائدة: 54].

وقل أعوذ بالله من سوء القضاء، ومن جزع النفس عند ورود البلاء، ومن الفرح والحزن والهم والغم في الشدة والرخاء.

وسمعت قائلا يقول: ما صبر من أحس، ولا سلم من تكلم، ولا رضي من سأل، ولا فوض من دبر، ولا توكل من دعا، وهي خمس، وما أحوجك لهذة الخمس أن تموت عليها، وقل: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24] فزدني من فضلك وإحسانك، واجعلني من الشاكرين لنعمائك. وعلامة التفويض عدم الاضطراب عند نزول المكاره.

وبت في هم المسلمين من الترك، هل أدعوا عليهم أم لا؟ فرأيت أستاذي رحمه الله يقول: قوم أحل لهم، فاصبروا أو اشكروا وارضوا وسلموا وفوضوا وتوكلوا واتقوا وأحسنوا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139] أمدبرا غير الله تريدون أم حكما غير حكمه تلتمسون: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون يؤذون ويظلمون وما أقل استعجالهم ودعاهم على الظالمين لمعرفتهم بالله رب العالمين، وإن دعا منهم داع فبإذن من الله لا عن ضيق وسخط بقضاء الله.

وكل شهوة تدعوك إلى الرغبة في مثلها فهي عدة الشيطان وسلاحه، وكل شهوة تدعوك إلى طاعة الله والرغبة في سبيل الخيرات فهي محمودة، وكل حسنة لا تثمر نورا أو علما في الوقت فلا تعد لها أجرا، وكل سيئة أثمرت خوفا من الله تعالى ورجوعا إليه فلا تعد لها وزرا.

وقد شكى الناس إلي ما هم فيه من الظلم، فقلت: اللهم إنا براء من جور الجائرين وظلم الظالمين، وإنا محبون لعدلك فعاملنا بجودك وفضلك، فلا تجره علينا بسخطك، إنك على كل شيء قدير.

وقال لي أستاذي رحمه الله: سيئتان قلما تنفع معهما كثرة الحسنات، السخط لقضاء الله، والظلم لعباد الله، وحسنتان قلما تضر معهما كثرة السيئات، الرضى بقضاء الله، والصفح عن عباد الله.

يا من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه أجرني مما أوهنني فقيل لي: لا تهرب إلى الله في الجزع والسخط فيمقتك الله، فقلت: ضيق علي هذا الأمر، فقيل لي: نحن قدرناه عليك لنربيك ونعلمك ونريك، وإياك أن تقف مع الخلق، بل انف المضار والمنافع عنهم؛ لأنها ليست منهم، واشهدها من الله فيهم، وفر إلي منهم بشهود القدر الجاري عليك وعليهم، أو لك أو لهم، ولا تخف خوفا تغفل به عني، وتنساني وترد القدر إليهم تهلك.

وكل خوف يردك إلى الله رد الرضى فصاحبه محمود، وكل خوف يردك إلى غيره فصاحبه مذموم أو ناقص ملوم، فإن وصل إليك شيء من الضرر بقدر الله بسببهم فكن صابرا أو مسلما أو راضيا أو شاكرا أو محبا أو مثنيا.

وكنت بالمنصورة ليلة، فلما كان ليلة الثامن من ذي الحجة، بت في هم من أمر المسلمين، ومن أمر الثغر -أعني الإسكندراني خصوصا- وكنت أدعوا وأتضرع لله في أمر السلطان والمسلمين، فلما كان آخر الليل رأيت فسطاطا واسع الأرجاء، عاليا في السماء يعلوه نور يزدحم عليه خلق كثير من الناس من أهل السماء، وأهل الأرض مشغولون عنه، فقلت: لمن هذا الفسطاط؟ فقالوا: لرسول الله ﷺ، فبادرت إليه بالفرح، فلقيت على بابه عصابة من العلماء والصالحين نحوا من السبعين، أعرف منهم الفقيه عز الدين بن عبد

السلام، وابن دقيق العيد، والشيخ القشيري، والفقيه مجد الدين مدرس قوص، والفقيه الكامل بن القاضي صدر الدين، والفقيه المحدث محي الدين بن سراقة، والفقيه عبد الحكيم بن أبي الحوافز، ومعهم رجلان لم أر أجمل منهما، ولم أعرفهما غير أنه وقع لي ظن حالة الرؤيا، أنهما الفقيه زكي الدين بن عبد العظيم المنذري المحدث، والشيخ مجد الدين الإخميمي، وأردت أن أتقدم إلى رسول الله ﷺ، فألزمت نفسي التواضع والأدب مع الفقيه عز الدين، فقلت لنفسي: لا يصلح لك التقدم بين يدي عالم الأمة في هذا الزمان، فلما تقدم الفقيه وتقدم الجميع، ورسول الله ﷺ يشير إليهم يمينا وشمالا أن اجلسوا، وتقدمت وأنا أبكي بالهم والفرح، أما الهم فمن أجل المسلمين والثغر، وأما الفرح فمن أجل قربي من رسول الله ﷺ بالنسب، فأنست وحن طبعي إليه فمد يده وقبض على يدي وقال: «لا تهتم بكل هذا الهم من أجل الثغر وعليك النصيحة لرأس الأمر -يريد السلطان -، فإن ولي عليهم ظالما فما عسى؟ -وجمع أنامل أصابعه الخمسة في يده اليسرى كأنه يقلل المدة - وإن ولي عليهم تقيا فالله ولي المتقين -وبسط يده اليمنى واليسرى - وأما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنين من أمرهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 56].

وأما السلطان فيد الله مبسوطة عليه برحمته ما والى لأهل ولايته ونصح للمؤمنين من عباده فانصحه، وقل في الظالم عدو الله قولا بليغا واكتب له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: 60]، فانتبهت من نومي وأنا أقول نصرنا ورب الكعبة، وكان نصر الله المسلمين نصرا مؤزرا، وأسر الملك لويس، وأسر الكثيرون من قواده، أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم والاعتقاد خير من الانتقاد والكف أسلم.

ولما سجنت بتونس على يد ابن البراء، وقنط بعض أصحابي وتوسلت في كشف همي بأستاذي فألقي في سري: الزم التأدب مع مولاك ولو أشرت إلى جدار السجن لإنفتحت لك فرجة تخرج منها، فكلما أشرت إلى جانب السجن، انفتحت لي فرجة للخروج، فتأدبت مع مولاي إلى أن قضا الله بخروجي.

وإذا ضيق عليك الحال فقل: يا واسع يا عليم يا ذا الفضل العظيم إن تمسسني بضر فلا كاشف له إلا أنت وإن تردني بخير فلا راد لفضلك تصيب به من تشاء من عبادك، وأنت الغفور الرحيم.

[المعرفة]

المعرفة بالله ما قطعتك عن غير الله وردتك إلى الله سبحانه وتعالى، وغاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه. وحقيقة المعرفة استغناء العارف بوصف معروفه على كل شيء سواء وهو محل الغنى بالله عن كل شيء دون مولاه. والمعرفة، والمحبة، والمواجيد، والحقيقة أذهبت عنك الأغراض والأعواض والأمراض، أي: مذام الأغراض ومناقص الأعراض وعلل الأمراض.

وقال أحد الحكماء: المعرفة من الله تأتي على وجهين: وجه من طريق عين الجود ووجه من طريق بذل المجهود أي إما الاجتباء وإما بالاجتهاد. وعين الجود: قوم بدأهم الله بكرامته، فبكرامته وصلوا إلى طاعته. و أما بذل المجهود: فقوم وصلوا بطاعتهم إلى كرامته.

واعرف الله تعالى ثم استرزقه من حيث شئت غير مكب على حرام، ولا راغب في حلال، وانصح الله في عبادته، ولا تخنه في أمانته، واعبد الله باليقين تكن إماما من أئمة

الدين، وارتق عن علم الجهلة إلى علم الخاصة تكن من الوارثين، ولك أسوة في المرسلين ومتحقق في النبيين.

ومن نسب أو أضاف، أو أحب أو أبغض، أو تحبب أو تقرب، أو خاف أو رجا، أو سكن أو آمن لشيء أو بشيء غير الله أو تعدى حدا من حدود الله فهو ظالم؛ والظالم لا يكون إماما. قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]. ومن صدق الله في نفسه فهو إمام، قلت روايته أو كثرت؛ ومن كان إماما فلا يضره أن يكون أمة وحده وإن قل أتباعه.

وكيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف؟ أم كيف يعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء؟ وكيف يؤمن مع الفضل من عرف عدله، أم كيف ييأس مع الشر من عرف فضله، أم كيف يجهل من يرى تقلب الليل والنهار، والقلوب والأبصار، والشدة والرخاء والمنع والعطاء. آه جعلنا الله به من العارفين بجاه سيد الأولين والآخرين.

وفي قول بعضهم: حقيقة المعرفة الغنى بالله عن جميع الأنام، فإن قيل لك: وكيف وقد أحوج الله نبيه إلى عدوه؟ فتقول: إذا ذاك انظر إلى غناك عن السموات والأرض مع الحاجة إليهما، وكلما تحتاج إليه قطعة منهما فالذي رفع السموات أن تقع عليك، ومنع الأرض أن تخسف بك هو الذي رفع ضرر القطيعة عنك وأوصل النفع منهما إليك، والله أحوجك إليه في كل شيء لتعبده في كل شيء لتعبده بكل شيء حتى يغنيك به عن كل شيء وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] وهو العيان فيغنيك به عن البرهان ويمحق عنك الغفلة والنسيان: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: 30] فقلت: فكيف أعبده في كل شيء؟ فقال: تعطى التسليم حقه من غير حرج، والثناء حقه من غير عوج، والاستهداء حقه من غير كذب، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا

مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65] فالتسليم حق الأبدان، والثناء حق اللسان، والاستهداء به حق الجنان ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: 123].

والمعرفة تنقسم على أربعة أقسام: معرفة العوام، ومعرفة الخواص، ومعرفة خواص الخواص. فمعرفة العوام إله واحد لم يزل ولا يزال، وتحسين هذه المعرفة بنفي التشبيه والتعطيل. ومعرفة الخواص ما قطعتك عن غير الله، وردتك إلى الله، وقيل: شهود الحق وعدم الخلق، وتحسين هذه المعرفة بالنظر إلى السوابق والخواتم وفعل الجبار الذي يفعل ما يشاء ويختار، ولم يبال بحسنات المقبلين ولا بسيئات المدبرين. ومعرفة خواص الخواص الإقبال عليه والفناء به عن غيره، وتحسين هذه المعرفة بأنه الأول والآخر والظاهر والباطن؛ فأي شيء كان معه أولا حتى يكون معه آخرا؟ أو أي شيء كان معه ظاهرا حتى يكون معه باطنا؟ فما ثبت من المخلوقات فبإثباته وما محي فبمشيئته وإرادته، وخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 39]. وهو العلم الأول وعنه صدر كل علم وكتاب.

والمعرفة العظمى استواء العارف بوصف معروفه على كل شيء سماه وهو محل الغنى بالله تعالى.

ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنا، ومن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة، ومن عرف نفسه بالذلة عرف ربه بالعزة.

والعارف من عرف شدائد الزمان في الألطاف الخافية من الله تعالى عليه، و عرف إساءة نفسه في إحسان الله تعالى إليه ﴿ فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾ [الأعراف: 69].

وكنت مريضا بمدينة القيروان مرضا مخوفا، فقلت: إلهي توفني على أحب الحالات، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقول: «يا علي، طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله

في كل نفس»، فقلت: وما ثيابي يا رسول الله؟ فقال لي: «إن الله عز وجل كساك حلة المعرفة، ثم حلة المحبة، ثم حلة الإيمان، ثم حلة التوحيد، ثم حلة الإسلام؛ فمن عرف الله صغر لديه كل شيء، ومن أحب الله هان عليه كل شيء، ومن آمن بالله أمن من كل شيء، ومن وحد الله لم يشرك به شيئا، ومن أسلم لله قل ما يعصيه في كل شيء، وإن عصاه اعتذر إليه، وإذا اعتذر إليه قبل عذره». ففهمت عند ذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: 4].

وكنت في مغارة فقلت: إلهي، متى أكون لك عبدا شاكرا؟ فسمعت النداء من جوف المغارة: إذا لم تر في الوجود منعما عليك غيري، فأنت إذا شاكر، فقلت: أني لا أرى النبي والعالم والملك منعما عليهم أكثر مني؟ فقيل لي: النبي، العالم والملك نعمة من الله عليك، فالنبي بلغك عن الله الشرائع، وبه اهتديت، والعالم بلغك عن النبي، والملك به صلحت كل الدنيا، واستقامت لك عبادتك، فالكل نعمة من الله عليك.

وإن عارضك عرض معلوم هو لك، فاهرب إلى الله منه هروبك من النار، وهذه من غرائب علوم المعرفة في علوم المعاملة.

وإن الله لما خلق الأرض اضطربت، فأرساها بالجبال، قال الله عز وجل: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: 32] لوقت ليل، والشأن في الليل الخمود والسكون حتى تطلع شمس المعرفة، أو قمر التوحيد، أو نجوم العلم؛ فيستضاء بها.

معرفة الدليل والبرهان معرفة العميان؛ ومعرفة النبيين والصديقين معرفة الشهود والعيان. قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ [النجم: 11-12].

[المعصية]

من فارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا من باطنه، ولزم حفظ جوارحه ومراعاة سره أتته الزوائد من ربه، ووكل الله به حارسا يحرسه من عنده، وجمعه في شهوده وسره، وأخذ الله بيده حفظا ورفعة في جميع أموره، والزوائد وهي زوائد العلم، واليقين والمعرفة.

ورأيت رجلا يستوصيني فقلت له: لا تتخذ المعصية وطنا، ولا الدنيا بالحب لها وثنا، واهجر النفس والهوى، وانتصر بالله فنعم المولى ونعم المصير، وعليك بالتحقيق في الإيمان وبالشهود في الإحسان، والتزم كل ذلك علما تجد المزيد حكما، واستمد المزيد من الله، ولا ترجو شيئا سوى الله ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 63] فقال: فهل تجد لذلك من أسماء الله شيئا، فقلت له: نعم، يا الله، يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، كما أحسنت إلي أولا فأحسن إلي آخرا ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60] فقال: وما الذي أحسن به إليك به أولا فقلت له: أحسن إلي بأربعة أشياء: بالتوحيد، والإيمان، والعقل، والبرهان فكما أحسن إلي بالتوحيد أولا أرجو أن يحسن إلي بالشهود آخرا، وكما أحسن بالإيمان أرجو أن يحسن بالإحسان، وكما أحسن بالعقل الفرعي أرجو أن يحسن بالعقل الأصلي، وكما أحسن بالبرهان أرجو أن يحسن بالعيان، فقال: أحسنت، أحسنت، فوجدته يسألني وهو عالم.

ورأيت النبي ﷺ يقول: «هدي لسنتي من آمن بالله واليوم الآخر، وأعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، وعزم على ألا يعصي الله، وإن عصاه استغفر وتاب وأناب»، وقلت: ما تاب وأناب، فقال: «تاب من معصية الله، وأناب من طاعة الله إلى الله».

وإذا أردت خير الدنيا والآخرة وكرامة الرحمة والمغفرة والنجاة من النار والدخول في الجنة، فاهجر معصية الله، وأحسن مجاورة أمر الله، واعتصم بالله، واستعن بالله، واستغفر الله وتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين.

ورأيت كأني في حدود عليين مع الملائكة المقربين، في نعيم لا أبغي عنه بدلا؛ فقالوا: سر إلى الزيادة، فسرت معهم، فدخلت في موطن كريم لا أقدر على وصفه طامعا في الشهود، فإذا أنا بشهود لا أقدر على وصفه، فقيل لي: من كففت جوارحه عن معصيتي، وزينته بحفظ أمانتي، وفتحت قلبه لمشاهدتي، وأطلقت لسان سره لمناجاتي، ورفعت الحجاب بينه وبين صفاتي، وأشهدته معاني أرواح كلماتي، فقد زحزحته عن النار، وأدخلته جنتي، وفاز بقربي، وصحبة ملائكتي: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185]. فهذه جنة معجلة لأهل الإيمان البالغ يقينا، وسيدخلونها يوم الجزاء بأبدانهم ذوقا حسا وعيانا، ثم ناديتهم بالعبارة والإشارة واللطف والحقيقة ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 27].

وإياك والوقوع في المعصية المرة بعد المرة؛ فإن من تعدى حدود الله فهو الظالم، والظالم لا يكون إماما، ومن ترك المعاصي وصبر على ما ابتلاه الله، وأيقن بوعد الله ووعيده فهو الإمام، وإن قلت أتباعه.

ولا يوصف العبد بأنه قد هجر المعاصي، إلا إن كانت لم تخطر له على بال، فإن حقيقة الهجران نسيان المهجور، وهذا في صورة الكمال، فإن لم يكن الأمر كذلك فالهجر على المكابدة والمجاهدة، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ولا يتزحزح العبد عن النار إلا إن كف جوارحه عن معصية الله، وتزين بحفظ أمانة الله، وفتح قلبه لمشاهدة الله ولسانه وسره لمناجاة الله، ورفع الحجاب بينه وبين صفات الله، وأشهده الله تعالى أرواح كلماته.

اللهم أرحمني من معصيتك قولا وفعلا وذكرا وفكرا، فإن المحب الأعلى يكرم المحبوب الأدنى، وأرني قدرتك في ذلك، فنمت فرأيت كأني بين يديه، فقال: إن أردت ذلك فابذل لي روحك ونفسك، فقلت: يا رب وما بذل الروح والنفس؟ فقال: بذل الروح فيما تحب، وبذل النفس فيما تكره.

[المناجاة]

بسط المناجاة أربعة: إما أن تناديه من أوصافك وأنت ناظر إلى أوصافه، وإما أن تناديه من أوصافه وأنت ناظر إلى أوصافك، وإما أن تكون فانيا بأوصافه عن أوصافك، أو تكون فانيا بأوصافه في أوصافك، أو يجلسك الحق على بساط الحاجات ترمق ببصر قلبك سد الخلل والفاقات، أو تكون ذاكرا للمنة، ويكون البساط ههنا الذكر، أو يكون أجلسك على بساط النعمة.

وأوصاف العبد: الفقر والفاقة والعجز والضعف، والحاجة والمسكنة، والجهل والذل. ولا يكن همك في دعائك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا وليكن همك مناجاة مولاك.

وبت ذات ليلة في غم عظيم فألهمت أن أقول: إلهي مننت علي بالتوحيد والإيمان والمحبة والطاعة فأخذتهم مني بالغفلة والشهوة والمعصية، وطرحتني النفس في بحر الظلمة وهي ظلمات، وعبدك مسجون محزون مغروق مهموم ومغموم قد ألتقمه حوت الهوى وهو يناديك نداء المحبوب المعصوم نبيك ورسولك يونس عليه السلام ويقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] فاستجب لي كما استجبت له، وانبذني بعراء المحبة في محل التفريد والوحدة، وأنبت علي أشجار اللطف والحنان، فإنك أنت الله الغفور الرحيم الودود الملك المنان، فليس إلا أنت وحدك لا

شريك لك ولست مخلف وعدك لمن آمن بك إذ قلت: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88]. وكيف يأمن مع العدل من عرف عدله؟ أم كيف ييأس مع الشر من عرف فضله؟ أم كيف يجهل من يرى تقلب الليل والنهار والقلوب والأبصار والشدة والرخاء والمنع والعطاء.

وفاتحني مرة فقال: انظر على أي حالة تحب أن تلقاني، فأرجعت الأمر إليه فقلت: أسألك توحيدا من توحيدك، وإيمانا من إيمانك، وحبا من حبك، وشوقا إليك بالشوق إلي منك، فقال: هي لك هذه الأربعة بالأربعة بدلائل ثلاث وهي: أن تشرب ثلاث شربات من حوض محمد ﷺ واحدة الآن، قال: فشربت، وواحدة في مرضك الذي تموت فيه أو قال: منه، وواحدة عند خروج روحك أو قال: نفسك، فإذا مرضت مرضة وشفيت فيها فهي علامة موتك، فبأي يد تريد أن تشرب بها أبيد عثمان أم بيد الرسول أم بيد الحق سبحانه؟ إلهي كرمك أدناني، وفي حضرتك ألقاني، وبشمائل عزك رداني، فلا الملائكة تؤنسني ولا الإنس والجن توحشني.

يا الله يا ولي، يا نصير، يا غني، يا حميد، أعوذ بك من ذنب لا يكون منها نصيب لوجهك، ومن عمل آخرة يكون فيه حظ لغيرك، وأعوذ بك من حركة تعرى عن الاقتداء بسنة رسولك، ومن ضرورة لا تؤدي إلى حقيقة معرفتك، واعكف حب بقلبي في حضرتك، واغنني عن رعايتي له برعايتك، إنك على كل شيء قدير، يا عزيز يا حكيم إنك قد أيدت من شئت بما شئت كيف شئت على ما شئت فأيدني بنصرك لخدمة أوليائك، ووسع صدري لمعرفتك عند ملاقاة أعدائك، واجلب لي من رضيت عنه حتى أخضع له وأذل كما جلبته لمحمد رسولك، واصرف عني كيد من سخطت عليه كما صرفته عن إبراهيم خليلك، وآتنا أجرنا في الدنيا بالعافية من أسباب النار ومن ظلم كل جائر جبار، وبسلامة قلوبنا من جميع الأغيار، وبغض لنا الدنيا وحبب لنا الآخرة، واجعلنا فيها من الصالحين إنك على كل شيء قدير، يا الله يا عظيم يا سميع يا عليم يا بر يا رحيم عبدك قد

أحاطت به خطيئاته، وأنت العظيم، وندائي كأنه لا يسمع وأنت السميع، وقد عجزت عن سياسة نفسي وأنت العليم وأنى لي برحمتها وأنت البر الرحيم، كيف يكون ذنبي عظيما مع عظمتك؟ أم كيف تخيب من يسألك وتترك من سألك؟ أم كيف أسوس نفسي بالبر وضعفي لا يعزب عنك؟ أم كيف أرحمها بشيء وخزائن الرحمة بيدك؟ إلهي عظمتك ملأت قلوب أوليائك فصغر لديهم كل شيء، فاملأ قلبي بعظمتك حتى لا يصغر ولا يعظم لديه شيء، واسمع ندائي لخصائص اللطف فإنك السميع لكل شيء، إلهي سترت عني ما كان منك حتى عصيتك وأنا في قبضتك واجترحت ما اجترحت فكيف لي بالاعتذار إليك، إلهي، معصيتك نادتني بالطاعة، وطاعتك نادتني بالمعصية، ففي أيهما أخافك؟ وفي أيهما أرجوك؟ إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا، و إن قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء، فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك؟ أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك؟ ق ج و هما سران من سرك و كلاهما دالان على غيرك فبالسر الجامع الدال عليك لا تدعني لغيرك إنك على كل شيء قدير، يا الله يا وهاب يا فتاح يا غفار يا منعم يا هدي يا ناصر يا عزيز هب لي من نور أسمائك ما أتحقق له حقائق ذاتك، و افتح لي واغفر لي وأنعم علي واهدني وانصرني وأعزني يا معز يا مذل لا تذلني بتدبير مالك، ولا تشغلني عنك بمالك فالكل كلك والأمر أمرك والسر سرك عدمي وجودي، ووجودي عدمي فالحق حقك والجعل جعلك ولا إله غيرك وأنت الحق المبين، يا عالم السر وأخفى، يا ذا الكرم والوفاء علمك قد أحاط بعبدك وقد شقي في طلبك فكيف لا يشقى من طلب غيرك؟ تلطفت بي حيث علمت أن طلبي لك جهل وطلبي لغيرك كفر، فأجرني من الجهل واعصمني من الكفر، يا قريب أنت القريب وأنا البعيد، قربك آيسني من غيرك وبعدي عنك ردني للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحو طلبي بطلبك، يا قوي يا عزيز إنك على كل شيء قدير.

إلهي كرمك أدناني، وفي حضرتك ألقاني، وبشمائل عزك رداني، فلا الملائكة تؤنسني ولا الإنس والجن توحشني. إلهي معصيتي قطعت أملي من كل شيء إلا منك، والحمد لله، إلهي إن غلبني شيء غلبته بنور وجهك، والحمد لله. يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن بالسر الموصوف في باطن أسمائك هب لي سرا يملأ باطني بحقائق ربوبيتك، واغفر لي كلا الوصفين، وهب لي تقواك في الأمرين، فإنك أهل التقوي وأهل المغفرة.

[مناقب المغارة]

هذه المغارة كانت لراهب من الرهبان النصارى إسمه "عدل" وكان من المشاهير، مبروك الناصية عند قومه، وكان دأبه قراءة الإنجيل فيها، وكان صاحب مدينة قرطاجة المعلقة يتبرك به ويزوره في كل عام مرتين ويعطيه الاخراج والعطايا الوافرة، وكان تحتها وادي، يسمى وادي الصوف، وذلك قبل وجود تونس وحدوثها، وما كانت تونس تذكر، وقد أقام بها الراهب المذكور مائة سنة، حتى فتحت تونس وقتله أصحاب الأمير "عقبة" لما جاءوا لإفريقية.

ودخلت المغارة يوم واحد وعشرين في رجب المعظم وكان يوم السبت، ومن دخل مغارتنا هذه يوم السبت وصلى فيها على النبي ﷺ مائة مرة، وقرأ آية الكرسي ثلاث مرات، وقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] سبعة عشر مرة ما يموت حتى يرى الخضر عليه السلام جهرا ولا يموت حتى يرى رسول الله ﷺ في المنام ويعاهده، ولا يموت حتى يحج حجة مبرورة. ويزورها من يوم السبت إلى يوم السبت تعني الملائكة، وهذا ذكري وهذا وردي، هذا المكان زاره قبلي سبعمائة ولي.

ومقامي جعلت مائدته من ثمار الجنة فالفقير الصادق يأكل من مائدتنا ويحضر حزبنا. ومن زارها ودخل فيها كان في أمان الله تعالى، ومن زارها يوم السبت حفظه الله من

الشيطان، وما عملت زيارتها إلا بغضا في اليهود في حب الصلاة على النبي ﷺ تسليما كثيرا كثيرا دائما، ومن زار المغارة يوم السبت أربعة عشر مرة ما يموت حتى يرى الخضر عليه السلام، ولا يموت حتى يرى القطب.

ومن زار المغارة وزار مقامنا برسم الجبل صار من أحبابنا وحسب علينا، وكان في زماننا وكان له ما لنا، وعليه ما علينا، وكنت أنيسه في القبر وفي كل شدة. وتركت لها سماط السيد إبراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام ووكلت عليها الخضر عليه السلام، وما دامت فيها الثلاثة أوراد لا تزال تونس في بركة ولا يدخلها داخل بالسوء إلا هلك، وروحي تزورها من السبت إلى السبت، أنا وسبعة من العراق، وأنا ولي الله والمغارة مرداس الصالحين والمقام حلتهم؛ والمقام فيه البخور والشم في المغارة، والمغارة مفتاح تونس ومفتاح باب السر ذكرها، وكل فقير لا يدخل حزبها فليس مني وأنا شاذلي حقا.

ومن زار مقامنا كان في حسابنا، ومن زار المقام والمغارة فكأنما زار سبعين صديقا، والمقام مقامي والمغارة مغارتي، ومن زار المقام ولم يزر المغارة لم تقبل زيارته، ومن زار المقام وأحيا فيه الوقت ليلة الجمعة وقرأ حزبا من أحزابي كان معي وفي حزبي في الدنيا والآخرة، وأودعت حزبي ورياستي في مقامي إلى يوم القيامة ومن كان مقيما به وخديما بذلك المقام تكون رياسته على حلقة الذكر بتونس، وبنيت بيت المقام والمحراب قبل أساس جامع الزيتونة بستين سنة، ومن زار المقام ليلة الجمعة كان في حسبتي أربعين يوما، فإن زاد نزيد، وعهدت العاهد على ربي يبقى مقامي عامرا بحزبي حتى يوم القيامة، ومن قرأ خلاف وردي أو خلاف حزبي خرج من حسبتي، وكل حزب من أحزابي التقيته من أفواه الملائكة.

ومن قرأ حزبا من أحزابي أو وردا من أورادي كان محسوبا علي وكنت مجيبا عنه في سؤال الملكين. ومن زار المقام ولم يزر المغارة لم تقبل زيارته، وما قرأ أحد حزب

التوسل ليلة الجمعة إلا كان مقامه في مقامي وحسابه حسابي في الدنيا والآخرة. وما كمل سري حتى زرت المغارة ونوديت في سري: يا أبا الحسن يا علي لقد شرفت مقام الزلاج والمغارة وهو مكان الأنوار، عليك بهم يا أبا الحسن، ثم أجابني الهاتف بهم: تربيتك إلى يوم القيامة. يا فقراء أخذت العهد على ربي ليبقى سماطها منصوبا حتى يوم القيامة، وسماط المقام وكيله السيد الخضر عليه السلام وزائر الجبل في كفالة الله تعالى وكفالة القطب.

ومن شرب شربة من مقامنا أو حضر حزبنا أو قرأ وردا من أورادنا أو جلس على بساطنا كان مني وإلي وكان مريدي حتى يوم القيامة، والجان المؤمن يزور مقامي ليلة الجمعة، ومقامي جعلت فيه من ثمار الجنة، فالفقير الصادق يأكل من مائدتنا ويحضر في حزبنا، والفقير الزنديق ما يحضر حزبنا. ويوم قرأت "حزب البحر" في المغارة انشقت من الجبل وعندي صاحب في الله في اليمن وهو من الأربعة وأنا من الأربعة، فإذا أشكل أمر على الأربعة يشرف علي من الخرزة ويكلمني في داري والخرزة هي عاهدنا.

وهذا المقام مقام أربعين، ويستقام من أربعين، ويكون ورد قوم ونور قوم إلى يوم القيامة، ومن أحسن إلى زائر المقام فكأنما أحسن إلي، وكذلك من أعانه بلقمة. ومقامي مقام الأسرار فيه سر مودوع إلى يوم القيامة، ومن قرأ وردا من أورادي أو حزبا من أحزابي لأحضنه حالتي، ومن أراد أن يأخذ علي العهد فليدخل مقامي ويصلي ركعتين بالفاتحة و ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1] والثانية بالفاتحة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، ثم يستقبل القبلة ويقول: يا سيدي أبا الحسن إنا نعاهد عهد الله، إلا مددت يدي إليه وعاهدته، ومن وقف في المقام وناداني إلا شلته يوم القيامة، وكان في أمان الله تعالى وحفظه وإحسانه وعفوه وغفرانه ورحمته.

ومن قرأ آية الكرسي. وصلى على النبي ﷺ مائة مرة، و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] عشر مرة في المغارة السفلية ما بين الخرزة والسارية لا يموت حتى يرى النبي ﷺ ويعاهده، ولا يموت حتى يزور الكعبة، ويرى الخضر عليه السلام.

ويوم أن دخلت للمغارة يوم الجمعة يوم واحد وعشرين في رجب المعظم، ورأيت الخضر عليه السلام في هذه المغارة عند الخرزة والسارية بينهم، ثم صلى الخضر عليه السلام في ذلك المكان. ورأيت الخضر عليه السلام في المغارة يوم السبت، والمغارة سر من أسرار حق الذكر، ولا عملت يوم السبت إلا بإذن من الله ومن الصالحين.

وقال لي الخضر عليه السلام: اعمل ميعادها يوم السبت لأنه كان إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام مد السماط يوم السبت. وما وقف أحد بين المغارة والمقام وناداني ثلاث مرات إلا شلته، ولا تعجبني زيارة المغارة إلا يوم السبت. ولما رأيت الخضر عليه السلام أمرني ببناء المقام وقال: يا علي يبقى مقامك رحمة إلى يوم القيامة.

والمقام جوهرة في صدف ومقدمها شاذلية، وحزبها حزبي، ومنشدها منطقي، ويزورها كل ليلة جمعة أربعون وليا، عشرة من المغرب، وعشرة من العراق، وعشرة من اليمن، وعشرة من الهند، والخضر عليه السلام يزورها من ليلة الجمعة إلى ليلة الجمعة. ومن بات في المقام أربعة عشر ليلة جمعة لم يمت حتى يرى الخضر عليه السلام، وأخذت العهد على ربي أن يبقى مقامي عامرا إلى يوم القيامة، ويبقى ملحوظا بحزبي وبمقدمي ومنشدي إلى يوم القيامة.

ولما بنيت المقام فإذا برجل لم أعرفه يناول معي فقلت له: يا سيدي من أنت؟ اليوم أربع أيام وأنت معي، قال: أنا الخضر يا أبا الحسن.

[المنامات]

- اضطجعت في المسجد الأقصى فرأيت في المنام قد نصب تحت خارج الأقصى في وسط الحرم، فدخل خلق كثير أفواجا أفواجا، فقلت: ما هذا الجمع، فقالوا: جمع الأنبياء والرسل عليهم السلام قد حضروا ليشفعوا فى الحسين الحلاج عند محمد عليه السلام في إساءة أدب وقعت منه، فنظرت إلى التخت فاذا نبينا ﷺ جالس عليه بانفراده وجميع الأنبياء على الأرض جالسون، مثل ابراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم السلام، فوقفت انظر واسمع كلامهم، فخاطب موسى نبينا عليه السلام، وقال له: إنك قد قلت علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، فأرنا منهم واحدا، فقال: «هذا»، وأشار الى الامام الغزالي قدس الله سره، فسأله موسى سؤالا بعشرة أجوبة، فاعترض عليه موسى بأن الجواب ينبغي أن يطابق السؤال والسؤال واحد والجواب عشرة، فقال الامام: هذا الاعتراض وارد عليك أيضا حين سئلت، وما تلك بيمينك وكان الجواب عصاي فاوردت صفات كثيرة، فبينما أنا متفكر فى جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالسا على التخت بانفراده، والخليل والكليم والروح جالسون على الأرض، إذ رفسني شخص برجله رفسة مزعجة أي ضربني، فانتبهت، فإذا بقيم يشعل قناديل الأقصى، قال: لا تعجب فإن الكل خلقوا من نوره، فخررت مغشيا، فلما أقاموا الصلاة أفقت وطلبت القيم فلم أجده إلى يومي هذا.

- بعد سكناي شاذلة صعدت إلى جبل زغوان فأقمت فيه أشهرا فارا من الخلق، فرأيت سيدي رسول الله ﷺ قال لي: «انزل إلى الخلق ينتفعون بك»، فقلت: يا رب ما لي والخلق أقلني منهم؟ فلا طاقة لي بمخالطتهم، فقيلت لي المقالة ثانية، فأعدت الاستقالة، فقيلت لي ثالثة: «انزل إلى الخلق ينتفعون لك، قد أصحبناك السلامة، وأسقطنا عنك الملامة، اعمل ما شئت مغفور لك»، فقلت: يا رب تردني إليهم نحتاج إليهم على ما يأتيني على أيديهم من الزكوات والعداة؟ فقيل لي: «أنفق يا علي، مليا من غنى، إن شئت

من الغيب وإن شئت من الجيب، أربعون يأكلون على مائدتك في الرخاء والشدة، القمح مأدوما بلحم أو عسل».

- رأيت البارحة عبد القادر في المنام فقال لي: أعرشي أنت أم كرسي، فقلت له: دع عنك هذا؛ الطينة أرضية، والنفس سماوية، والقلب عرشي، والروح كرسي، والسر مع الله بلا أين، والأمر يتنزل فيما بين ذلك ويتلوه الشاهد منه.

- رأيت الصديق رضي الله عنه في المنام، فقال لي: أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب؟، فقلت: لا أدري، فقال: علامة خروج حب الدنيا من القلب، تركها عند الوجد، ووجدان الراحة منها عند الفقد.

- رأيت النبي ﷺ في المنام، وقد باهى موسى وعيسى عليهما السلام بالإمام الغزالي رضي الله عنه، وقال لهما: «أفي أمتكما حبر كهذا؟»، وأشار إلى الغزالي، فقالا: لا. إنا لنشهد له بالغوثية العظمى رحمه الله تعالى.

- رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت له: يا سيدي يا رسول الله؛ ادع الله تعالى لي أن يجعلني رحمة للعالمين، فقال لي: «أنا هو ذلك يا علي، والولي رحمة للعالمين».

- رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: «يا علي، ما على وجه الأرض مجلس في علم الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ زين العابدين بن عبد العظيم المنذري، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك».

- رأيت سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: «يا علي قلت لبيك يا رسول الله: قال لي: «انتقل الى الديار المصرية تربي بها أربعين صديقا»، وكان ذلك في زمن الصيف وشدة الحر فقلت له: يا سيدي يا رسول الله الحر شديد، فقال لي: «إن

الغمام يظلكم»، فقلت: يا حبيبي: أخاف العطش. فقال لي: «إن السماء تمطركم في كل يوم أمامكم»، ووعدني في طريقي بسبعين كرامة.

- رأيت في المنام صبايا يصيحون في جو السماء: إنما تساق لرزقك، أو لأجلك، أو لما يقضي الله به عليك، أو بك، أو لك، وهي خمس لا سادس لها. فاتق الله إينما كنت ولا تعدل بالتقوى شيئا فإن العاقبة للمتقين فيحق لهم يحبهم ويحبونه ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم فقل أعوذ بالله من سوء القضاء ومن جزع النفس عند ورود البلاء ومن الفرح والحزن والهم والغم في الشدة والرخا.

- رأيت في المنام قائلا يقول: أحل الحلال ما لم يخطر لك ببال؟ ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال.

- رأيت في المنام كأني جالس مع رجل من أصحابي بين يدي أستاذي، فقال لي: إحفظ عني أربعة فصول ثلاثة منها لك وواحدة لهذا المسكين:. لا تختر من أمرك شيئا واختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار ومن فرارك من كل شيء إلى الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: 68]، وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي من مختار الله تعالى، وليس لك منه شيء، ولابد لك منها، واسمع وأطع، وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني الإلهامي. وهو أرض تنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله تعالى لمن استوى. فافهم واقرأ وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: 68].

وعليك بالزهد في الدنيا، والتوكل على الله. فإن الزهد أصل في الأعمال والتوكل رأس في الأحوال، وأشهد بالله وأعتصم به في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال: ﴿ومن وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران: 101].

وإياك والشك والشرك والطمع والإعتراض على الله في شيء، واعبد الله على القرب الأعظم، تحظ بالمحبة والإصطفائية والتخصيص والتولية من الله ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: 19].

ثم قال لي: والذي قطع نفس هذا المسكين عن الوصلة بطاعته، وحجب قلبه عن تحقيق معرفته، وشغل عقله عن شواهد توحيده، أمران: دخوله في عمل دنياه بتدبيره وفي عمل أخراه على الريب في مواهب محبوبه، فعاقبه الله بالحجاب وترادف الإرتياب ونسيان الحساب، وأغرقه في بحر التدبير والتقدير، ودلى فيه بورع التكدير ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 74].

فارجعوا إلى الله في أوائل التدبير والتقدير، تحظوا منه بمدد التيسير، ويحول بينكم وبين التعسير، وكل ورع لا يثمر لك العلم والنور فلا تعد له أجرا، وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب إلى الله تعالى فلا تعد لها وزرا، ثم أشار وقال: خذ رزقك من حيث آثر لك الله باستعمال العلم ومتابعة السنة، ولا ترقى قبل أن يرقى بك قلبك، فتزل بك قدمك.

- رأيت في النوم طائفة من الغزلان يصطادونها أناس، لم ار أقبح منهم صورة، فتمكن الصبيان منها وجعلوا يلعبون بها، فاستيقظت وتعجبت منها، ثم نمت فرأيت رجلا جميل الصورة يقول لي: أجرى الحيوانات وأمنعها الغزلان، ولقد رأيتها تصطاد ويلعب بها الصبيان، فكذلك أسبق الرجال جريا أهل العلم والعرفان، ولقد رأيت النساء والدنيا تأخذ بعقولهم فيلعب بهم الشيطان. فاحذروا النساء والدنيا، والتزموا الصدق والتقوى، واهجروا مواطن السوء والشر تحظوا بالدرجات العلا.

- رأيت كأني في الملكوت الأعلى تحت العرش في أرض وفيها خلق كثير فأرسل كلب إلى صيد هناك فأخذ الصيد، وتقدم رجل فأخذ الصيد من الكلب، فقال: أجمع علماء الأمة على إباحة هذا الصيد وأنه حلال، وإنما ذلك لسبب إمساكه على سيده، ثم نمت

فرأيت كأنا اجتمعنا في موضع آخر ورأيت كأني خصصت بالدخول على الملك الحق وكأني بين يدي بلا مكان فقلت: يا رب هذا الرجل لا يأتيني بشيء نراه إلا وأجد فيه تعقيدا، وإذا على هذا الباب عبد يتطلب الفقه عن الله بالفطنة ويتعرف إليه بالكياسة ولم يعلم أن ذلك طرف من الرياسة، وآخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة.

ورياسة الصديقين من أربعة أوجه: من العلم، والعمل، والفقر، والتبري من الحول والقوة، علموا أن العلم أفضل الدرجات وأن الجهل أقبح الصفات فعلموا وعملوا بما تعلمون، بل علموا أن ذلك لا يتم أيضا إلا بالفقر إلى الله تعالى في كل شيء فعلموا وعملوا ولو فقهوا لعلموا لما يعلم الله منهم، فالكلب أفقه منهم لأنه نهض لمراد سيده لا لمراد نفسه، فأجمعت الأمة على أن صيده حلال، فأخطئوا بذلك طريق القصد إلى الله تعالى وأصابوا طريق العمل الصالح، ثم همت فقلت: ما طريق القصد إلى الله تعالى؟ فنادى علي: انظر إلى وجودك أكنت لنفسك بشيء قبل وجودك؟ بل الله تعالى كان لك بفضله، فلم عرفت فضل الله عليك في حركة واحدة من حركاتك وأنت تعلم أنها من فضل الله تعالى عليك، فإذا إعترضك شيء من عملك وكسبك فغرقه في فضل الله عليك قبل أن يغرقك.

- رأيت ليلة في منامي سيدي أبي محمد عبد السلام بن مشيش وهو واقف مع قائمة من قوائم العرش فأتيت إليه فقلت له: يا سيدي، رأيتك البارحة وأنت واقف مع قائمة من قوائم العرش، فقال لي: يا علي، لم ترني وإنما رأيت مقامك الذي ورثته مني، يا علي، من يكن مع الله بلا أين، كيف يرى؟.

- رأيته ﷺ في المنام، فقال لي: «إذا كانت لك حاجة وأردت قضاءها فقدم بين يديك ولو فلسا صدقة وصل علي فإنها تقضى إن شاء الله».

- رأيته ﷺ في المنام، فقلت له يا رسول الله قد وهبت لك ثواب صلاتي عليك وثواب كذا وكذا من أعمالي، وأردت بذلك قولك للسائل الذي قال لك: أفأجعل لك ثواب صلاتي كلها؟، فقلت له: إذا تكفى همك ويغفر ذنبك، فقال عليه السلام: «نعم ذلك أردت، ولكن أبق لنفسك ثواب كذا وكذا، فإني غني عن ذلك».

- رأيته ﷺ في المنام، فقال لي: «قل في النوم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسا، بسم الله الرحمن الرحيم خمسا، ثم قل: اللهم بحق محمد أرني وجه محمد حالا ومآلا، فإذا قلتها فإني آتيك ولا أتخلف عنك أبدا».

- رأيته ﷺ في المنام، فقلت له: يا رسول الله لا تدعني، فقال: «لا ندعك حتى ترد علي الكوثر وتشرب منه، لأنك تقرأ سورة الكوثر وتصلي علي»، فقلت له: أما ثواب الصلاة فقد وهبتها لك، وأما ثواب الكوثر فابقه لي ولك.

- رأيته ﷺ في المنام، فقال لي: «أنت تشفع في مائة ألف»، فقلت له: بم استوجبت ذلك يا رسول الله؟، قال لي: «بإعطائك لي ثواب الصلاة علي».

- رأيته ﷺ في المنام، وقد استعجلت مرة في صلاتي عليه ﷺ لأكمل وردي، وكان ألفا، فقال لي عليه الصلاة والسلام: «أما علمت أن العجلة من الشيطان»، ثم قال لي: «قل اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد بتمهل وترتيل إلا إذا ضاق الوقت، فما عليك إذا عجلت»، ثم قال: «وهذا الذي ذكرته لك على جهة الأفضل، وإلا فكيفما صليت فهي صلاة».

- رأيته ﷺ في المنام، فقال لي: «إن شيخك أبا سعيد الصغروي يصلي علي الصلاة التامة ويكثر منها، فقل له إذا ختم الصلاة علي يحمد الله عز وجل».

- رأيته ﷺ في المنام فقال لي: «الأحسن إذا أردت الصلاة علي أن تبتدئ بالصلاة العامة أول صلاتك ولو مرة واحدة، وكذلك في آخرها تختم بها، والصلاة العامة هي:

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

- رأيته ﷺ في المنام، فقلت له: يا رسول الله صلاة الله تعالى عشرا على من صلى عليك مرة واحدة، هل ذلك لمن كان حاضر القلب؟ قال: «لا، بل هو لكل مصل علي غافلا، ويعطيه الله تعالى من الملائكة مثل أمثال الجبال تدعوله وتستغفر له، وأما إذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ذلك إلا الله».

- رأيته في المنام، فقبل فمي وقال: «أقبل هذا الفم الذي يصلي علي ألفا بالليل وألفا بالنهار»، ثم قال لي: «وما أحسن إنا أعطيناك الكوثر، وكانت وردي بالليل»، ثم قال لي: «ويكون دعاؤك: اللهم فرج كرباتنا، اللهم أقل عثراتنا، اللهم اغفر زلاتنا، وتصلي علي وتقول: وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين».

- فتح الله علي مرة بشيء من الدنيا ففرحت بها لأستعين أو أعين بها، فجعلت أحمد الله وأشكره؛ والشكر معرفة قائمة بالقلب، والحمد كلمة قائمة باللسان، فكنت أجمع بينهما فواظبت على ذلك وقتا من الليل، فنمت فرأيت أستاذي رحمه الله تعالى يقول: استعذ بالله تعالى من شر الدنيا إذا أقبلت، ومن شرها إذا أدبرت، ومن شرها إذا أنفقت، ومن شرها إذا أمسكت، فجعلت أقول: أعوذ بالله من شر الدنيا إذا أقبلت، وأعوذ من شرها إذا أدبرت، فجعلت أقول كذلك فوصل الشيخ كلامي فقال: ومن المصائب والرزايا، والأمراض البدنية والقلبية والنفسية، جملة وتفصيلا بالكلية، وإن قدرت شيئا فاكسني حلل الرضى والمحبة، والتسليم، وأثواب المغفرة والتوبة، والإنابة المرضية.

- قرأت ليلة في وردي: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26- 27]، فرأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه في المنام، فقال لي: صل من يبقى، واهجر من يفنى، تجل وتكرم، تجل عن الفناء، وتكرم بالبقاء.

- كنت أقول مرة في مجلسي:

محمد بشر لا كالبشر بل هو كالياقوت بين الحجر

فرأيته ﷺ في المنام، فقال لي: «قد غفر الله لك ولمن قالها معك، وكان لم يزل يقولها إلى أن مات».

- كنت بمصر عام نزول العدو الفرنسي بدمياط، فنمت بموضع يقال له المنصورة، فرأيت فارسا على فرس عظيم متدرعا متقلدا سيفا وبيده ترس وهو يجاهد في سبيل الله تعالى. فقلت: لو كانت سلاحي مثل هذا لجاهدت معه في سبيل الله تعالى، وإذا به قد أقبل إلي، وقال: يا علي، اركب اليقين، وتدرع بالتوكل، وتقلد الرضى، وعليك بترس الصدق، وسهام العلم، وقد أرهبت عدو الله وعدوك، وأنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

- كنت ذات ليلة متفكرا بالفكرة الغيبية الذاهبة عن العلمية فأفادني الله علما جليلا وسعيت في الغيوب سعيا جميلا، فقلت في نفسي: أليس هذا خير من الدخول في الحوائج للخلق مع الخلق والكون مع الله أتم من الحاجات للناس وإن كان مأذونا فيها بالشرع؟ فبينما أنا كذلك إذ نمت فرأيت كأن السيل قد أحاط بي من كل جهة يحمل الغثاء عن يميني وعن شمالي فجعلت أخوض لأخرج منه فلم أر بدا أنفذ إليه من الجهات الأربع فاستسلمت نفسي ووقفت في السيل كالسارية أو النخلة الثابتة، فقلت في نفسي: هذا من فضل الله إذ ثبت لهذا السيل ولا يصيبني شيء من الغثاء، فخرج إلي شخص جميل الصورة فقال لي: إن من أجل التصرف التعرض في الحوائج للخلق واستقضاؤها من الملك الحق، فما قضاه الله شكرت، وما لم يقضه رضيت وليس قضاؤها الموجب للشكر

بأتم من عدم قضائها الموجب للرضى، فاستيقظت وقد علمني الله علما قائما بذات نفسي لا يفارقها بل هو الملازم لها كالأبيض في الأبيض والأسود في الأسود، وهو علم لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار، فانظر الإلهية والفردانية والوحدانية والقهارية والربوبية والعز والمغفرة وكيف له هذا كله في كلمة واحدة، وأن المعرفة لتتنزل على العارف بالله كالسيل الحامل للغثاء ويثبت الله فيها وبها من يشاء ولا يصيبه شيء من الغثاء فانتبهت من نومي وقد وعيت السر العظيم والحمد لله رب العالمين.

– كنت ليلة في وردي فقرأت حتى انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ [الجاثية: 18– 19]، فنمت، فرأيت رسول الله ﷺ فقال لي: «يا علي أنا ممن يعلم و لا أغني عنك من الله شيئا، له فضل المريد والمراد، لم يسبق إليه و لا نبه عليه لا يفهمه إلا من دخل بلاده، و بلغ من الله رشاده».

– كنت متنسكا ببعض الجبال، فألقي في سري الحديث المروي عن رسول الله ﷺ: «من سكن خوف الفقر قلبه، قلما يرفع له عمل». فضقت بذلك ذرعا، فمكثت سنة أظن أنه لا يرفع لي عمل، أقول: ومن يسلم من هذا؟! فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي: «يا مبارك.. يا مبارك أهلكت نفسك، فرق بين خطر وسكن، فالمؤمن يخطر بقلبه، ولا يسكن». فسكن ما بي.

– لما أزمعت على التحول من طيبة على من بها الصلاة والسلام، أوقفت فعله على إذن رسول الله ﷺ لي، فرأيته ﷺ في المنام فقال: «توحشنا يا علي» فأخذ يعتل. فأذن لي، وقال: «إذا جئت مصر فاقرأ عز الدين بن عبد السلام مني السلام». فلما التقينا بلغته المألكة سرا، فلم تظهر نفسه لذلك، فلما قام المزمزم قال: صدق المحدث الحديث كما

جرى وحديث أهل الحب ما لا يفترى. فاستغفر الشيخ، ثم كذب نفسه، ثم حط للتسليم رأسه.

- لما مكث أتعبد لله متخليا عن كل ما سواه، رأيت الصديق في المنام وألبسني تاجا وقال لي: أخرج إلى الناس ينتفعون بك فمكث، فرأيت الخضر عليه السلام وألبسني كذلك، وقال لي: يا مبارك أخرج إلى الناس ينتفعون بك فعند ذلك تجلى علي المولى عز وجل. وقال لي: يا عبدي إني خلقتك من صفوتي، وجعلتك رحمة في خلقي، فاخرج إليهم وعلمهم مما علمتك من حكمتي. فقلت: إلهي وسيدي، أقلني من الناس، فإنه لا طاقة لي بمخالطتهم. فقال لي: قد أصحبناك السلامة، ورفعنا عنك الملامة، فقلت: إلهي، تكلني إلى الناس، آكل من دريهماتهم؟. فقال لي: أنفق يا علي، وأنا الملي، إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب، فخرجت فسعى إلي الناس من كل فج. وقلت: إلهي طلبتك وطلبت الخلق إليك فأعني على الوصول والتوصيل إليك، واجمعني واجمع بي من تشاء عليك.

[النفس]

مراكز النفس أربعة: مركز للشهوة في المخالفات، ومركز للشهوة في الطاعات، ومركز في الميل إلى الراحات والمباحات، ومركز في العجز عن أداء المفروضات: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:5].

وإن أردت جهاد النفس فاحكم عليها بالعلم في كل حركة، واضربها بالخوف عند كل خطرة، واسجنها في قبضة الله أينما كنت، واشك عجزك إلى الله كلما غفلت، فهي التي ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: 21] فإن

سخرت لك في قضية ما فجدير بأن تذكروا نعمة ربكم وتقولوا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف 13].

ورأس النفس إرادتها، ويداها وعينها ولسانها وسواسها ويعتمد تسويفها علمها وعقلها، ورجلاها تدبيرها واختيارها. وموت النفس بالعلم والمعرفة والاقتداء بالكتاب والسنة.

وإن من أعظم القربات عند الله تعالى مفارقة النفس بقطع إرادتها، وطلب الخلاص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها، وإن من أشقى الناس من يحب أن يعامله الناس بكل ما يريد، وهو لا يجد في نفسه بعض ما يريد، وطالب نفسك بإكرامك لهم، ولا تطالبهم بإكرامهم لك، قال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: 84].

وليس من شيء أشد وأشق في العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ المعاني وإعطاء الحروف حقها مع إرادة وجه الله عز وجل، وهو موضع الإخلاص والعزيمة على العمل بها، بما به يرجى وهو موضع الصدق، ونهوض السر عن الدنيا وعن كل شيء سوى المولى عز وجل، وهو موضع النية.

وقال لي أستاذي رحمه الله تعالى: الأنفس ثلاث: نفس لم يقع عليها البيع لحريتها، ونفس وقع عليها البيع لشرفها، ونفس لم يقع عليها البيع لخستها، فالتي لم يقع عليها البيع لحريتها، أنفس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والتي وقع عليها البيع لشرفها أنفس المؤمنين، والتي لم يقع عليها البيع لخستها أنفس الكفار.

وقلت لأستاذي رحمه الله: فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تقدم منهما الشرك، قال: هما على الحرية وإنما هما كمن أسر وهما أحرار.

ورأيت رجلا من أصحابي يحرضني على أن أكتب كتابا للقاهرة في أمر يوجب البراءة للنفس، فرأيت صورة جميلة دخلت علينا لا نشك أنها من قبل الحق تعالى فقال: من قدس برحمته الرحمانية في أزل الأزلية لا يتغير بالأحوال ولا ينتقض ولا ينقص بالأقوال

ولا يتزيد بالأفعال، فالنفس مع الروح كالجسد مع الظل والظل يميل والأصل لا يميل، والروح سر والسر برقة وهو شعاع الحقيقة الصغرى، والسر نور من نور السر الأعلى، وكل هذا مخلوق بقدرة الله تعالى موثوق، لا يستفزنك غير هذا فتشقى وفي جهنم من نار البعد تلقى، والعقل الأصلي ميدان التجلي، فإن أردت ذلك فعليك بالتجلي، واقتد بمن هو مصلي الصلاة والصلاة صلة بين العبد وربه، فانظر أي عبد هذا فمن لم تكن صلاته له مواصلة كانت له مفاصلة.

وقد يئست من منفعة نفسي لنفسي، فكيف لا أيأس من منفعة غيري لنفسي؟ ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي؟ يا عبد الله انتزع عن محادثة النفس وإرادة الشيطان وطاعة الهوى وحب الدنيا تكن صالحا، واتق في الخطرة والهمة والكفرة والحركة والسر تكن صديقا، وإن تكرر عليك شيء من ذلك فاهجر الأسباب والأوطان والإخوان ومواقع الفتن تكن مهاجرا، وإن واقعت شيئا من ذلك فتب إلى الله واستغفره والجأ إليه واستغث به تكن مؤمنا، واتخذ الطهارة والصوم والصلاة والصبر والذكر والتلاوة والتبري من الحول والقوة سلاحا تكن سالما، وإن غلبت فاتخذ الإيمان حصنا، وإن دخل عليك فسلم الأمر لله، وعليك بالتوحيد والإيمان والمعرفة والمحبة لله تعالى، وغرق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تغرقك.

ورأيت كأني بين يدي العرش، فقلت: يا رب يا رب، فقال تعالى: لبيك لبيك، فقلت: يا رب، فاهتز العرش، فقلت: يا رب، فاهتز اللوح والقلم، فقلت: يا رب أسألك العصمة، وأعوذ بك من دعاوي النفس والهوى، والشهوة والشيطان والدنيا، فإنهن يهوين بالمرء من أعلى عليين إلى أسفل سافلين في أسرع من لمح البصر، وأنت أعلم بذلك، ولا حول ولا قوة إلا بك، فقيل لي: لك ذلك.

ورأيت كأني في الملكوت الأعلى تحت العرش في أرض وفيها خلق كثير فأرسل كلب إلى صيد هناك فأخذ الصيد، وتقدم رجل فأخذ الصيد من الكلب، فقال: أجمع علماء الأمة على إباحة هذا الصيد وأنه حلال، وإنما ذلك لسبب إمساكه على سيده، ثم نمت فرأيت كأنا اجتمعنا في موضع آخر ورأيت كأني خصصت بالدخول على الملك الحق وكأني بين يدي بلا مكان فقلت: يا رب هذا الرجل لا يأتيني بشيء نراه إلا وأجد فيه تعقيدا، وإذا على هذا الباب عبد يتطلب الفقه عن الله بالفطنة ويتعرف إليه بالكياسة ولم يعلم أن ذلك طرف من الرياسة، وآخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة.

ورياسة الصديقين من أربعة أوجه: من العلم، والعمل، والفقر، والتبري من الحول والقوة، علموا أن العلم أفضل الدرجات وأن الجهل أقبح الصفات فعلموا وعملوا بما تعلمون، بل علموا أن ذلك لا يتم أيضا إلا بالفقر إلى الله تعالى في كل شيء فعلموا وعملوا ولو فقهوا لعلموا لما يعلم الله منهم، فالكلب أفقه منهم لأنه نهض لمراد سيده لا لمراد نفسه، فأجمعت الأمة على أن صيده حلال، فأخطئوا بذلك طريق القصد إلى الله تعالى وأصابوا طريق العمل الصالح، ثم همت فقلت: ما طريق القصد إلى الله تعالى؟ فنادى علي: انظر إلى وجودك أكنت لنفسك بشيء قبل وجودك؟ بل الله تعالى كان لك بفضله، فلم عرفت فضل الله عليك في حركة واحدة من حركاتك وأنت تعلم أنها من فضل الله تعالى عليك، فإذا إعترضك شيء من عملك وكسبك فغرقه في فضل الله عليك قبل أن يغرقك.

وسألت أستاذي رحمه الله عن قول النبي ﷺ: «المؤمن لا يذل نفسه»، فقال لي: لهواه. ويوصف بالذم والبخل من تمنع لأجل شيء من هذه الأوصاف: خوف الفقر وسوء الظن والإحتقار لحرمة المؤمنين وإيثار النفس والهوى. وأرحم الناس بالناس عبد يرحم من لا يرحم نفسه.

وهل تدري ما علاج من انقطع عن المعاملات، ولم يتحقق بحقائق المشاهدات؟. علاجه أربع: طرح النفس على الله تعالى طرحا لا يصحبه الحول والقوة، والتسليم لأمر الله تسليما لا يصحبه الاختيار مع الله تعالى، هذان علاجان باطنان، وفي الظاهر: منع الجوارح عن المخالفات، والقيام بالحقوق والواجبات. ثم يقعد على بساط الذكر بالانقطاع إلى الله تعالى عن كل شيء سواه لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 8].

ومن طلب الحمد من الناس بترك الأخذ من الناس، فإنما يعبد نفسه والناس وليس من الله في شيء من عمله، سبحان الله العلي العظيم في جهاد النفس وأخذ الطريقة إبدأ وتوكل على الله ولا تحتاج أن تستأذن من أحد، بل تأخذ طبعا الإذن في قراءة الأوراد من شيخك.

وحقيقة النفس: هي مظلمة مودعة في هذا القلب وهي محل الأخلاق المذمومة أمارة بالسوء، جاحدة ظالمة عن الهدى، ذات أجزاء. فإذا ما ارتقت من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة، ومن لوامة إلى ملهمة، ومن ملهمة إلى مطمئنة، ومن نفس مطمئنة إلى نفس راضية، ومن نفس راضية إلى نفس مرضية، دخلت في حيز النفس الكاملة، وحينئذ تكون قد تخلصت من ران الطباع وكثافة ذميم الخصال وتحكم سجن الجسد فيها، فيكون لها الشفافية والإطلاق، فتتحكم هي في الجسد ولا يتحكم الجسد فيها، ويكون صاحبها روحانيا، وهذه المرتبة هي التي تسمى فيها النفس: روحا.

ومن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ومن عرق نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ومن عرف نفسه بالذلة عرف ربه بالعزة. وإذا أهان الله عبدا كشف له حظوظ نفسه، وستر عنه عيوب دينه، فهو يتقلب في شهواته حتى يهلك، ولا يشعر. وقوة النفس بالعلم والمعرفة والاقتداء بالكتاب والسنة. وإن أردت أن تكون مرتبطا بالحق فتبرأ من نفسك، واخرج عن حولك وقوتك.

وأول قدم هذا المحجوب الفرد طرح النفس طرحا لا علة فيه وهو إستقبال العدم بسقوط الأولية والأخروية والظاهرية والباطنية ثم طرحه في الأبحر بحرا بعد بحر، ثم طرحه في بحر الإحاطة وهو بحر السر فغرق هناك غرقا لا خروج له منه أبد الآباد فإن شاء بعثه عوضا من النبي ﷺ يحيي به عباده وإن شاء سترهم يفعل في ملكه ما يشاء.

وإذا كانت النفس غالبة والروح مغلوبة فقد حصل القحط والجدب وانقلب الأمر، وجاء الشر كله. فعليك بكتاب الله الهادي، وسنة رسوله الشافي، فلن تزل بخير ما آثرتهما، وقد أصاب الشر من عدل عنهما، وأهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا.

[النية]

حقيقة النية: هي عدم غير المنوي عند الدخول فيه، وكمالها استصحاب ذلك إلى التمام. وحسن النية في ما بينك وبين الله: هو توجيه القلب بالتعظيم لله، والتعظيم لأمر الله، والتعظيم لما به أمر.

وأدب السنة: هو الأخذ بالعلم على سبيل القصد وحسن النية لله. وما سألت الله شيئا إلا قدمت إساءتي بين يدي لأكون طالبا لفضله بفضله لا باستحقاق وهو موضع النية.

وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» (البخاري: 6/ 2657 ومسلم: 1907) إن للنية محلا، وتوقيتا، وكيفية ومعنى، فنسألك الصفاء لمحلاتها، والتوفيق في أوقاتها، والعصمة في كيفياتها، والتحقيق لمعانيها، ونسألك صحة العقد وحسن القصد، وإرادة لوجه الله تعظيما لحق الربوبية، وإلزاما للنفس وصفة العبودية في محل نية القلب. ووقتها عند افتتاح الأعمال، وكيفياتها: ارتباط القلب مع الجوارح، ومعنى النية أربعة أشياء: القصد، والعزم، والإرادة، والمشيئة، وكل ذلك بمعنى واحد. والنية لها صورتان: توجه العمل بحسن

التيقظ فيه، والصورة الثانية: الإخلاص في العمل لله تعالى، وابتغاء ما عنده من الأجر وإرادة وجه الله تعالى.

وقال ﷺ: «من حسنت نيته صلح عمله»، فحسن النية فيما بينك وبين الله بتوجيه القلب بالتعظيم لله، أو التعظيم لأمر الله، أو التعظيم لما به أمر الله، وفيما بينك وبين العباد بتوجيه النفوس بالنصيحة لهم مع القيام بالحقوق، وترك الحظوظ والعقوق، ونبذ العوارض مع الصبر لله، والتوكل على الله تعالى.

[الهدية]

قيل لي أن الرسول ﷺ كان يقبل الهدية، وقال: ما أتاك من غير مسألة فخذه، فقلت له: النبي ﷺ قال الله في حقه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: 45]، ومتى أوحى الله إليك؟ إن كنت مقتديا به في الأخذ فكن مقتديا به كيف يأخذ، وكان النبي ﷺ لا يأخذ شيئا إلا ليثيب من يعطيه ويعوضه عليه، فإن نظرت نفسك وتقدست هكذا فاقبل وإلا فلا. فإن أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل أحدا شيئا وإن أتاك شيء من غير مسألة فلا تقبله.

[الوجود]

من تحقق الوجود فنى كل موجود، ومن كان بالموجود ثبت به كل موجود. وكيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف، أم كيف يعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء، وكيف يؤمن مع الفضل من عرف عدله، أم كيف ييأس مع الشر من عرف فضله، أم كيف يجهل من يرى تقلب الليل والنهار، والقلوب والأبصار، والشدة والرخاء والمنع والعطاء.

[الورع]

الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأخر ثوابه، فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله، والقول بالله، والعمل لله، وبالله على البينة الواضحة، والبصيرة الفائقة، وهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون، ولا يريدون ولا يتفكرون، ولا ينظرون ولا ينطقون، ولا ينبسطون ولا يمشون، ولا يتحركون إلا بالله ولله، من حيث لا يعلمون، هجم بهم العلم عن حقيقة الأمر، فهم مجموعون في عين الجمع، ولا يفترقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى، وأما أدنى الأدنى فالله يوزعهم في ذلك ثوابا لورعهم، مع الحفظ لمنازعات الشرع عليهم، ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث من الذل والافتقار والتواضع واتهام النفس وعدم الرضى عنها والالتجاء إلى الله، فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى، وميراثه التنفر لخلقه، والاستكبار على مثله، والصولة بعلمه، والدلالة على الله بعمله، فهذا هو الخسران المبين، والعياذ بالله العظيم من ذلك، والأكياس يتورعون عن هذا الورع، ويستعيذون بالله منه، ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا إلى ربه وتواضعا لخلقه فهو هالك، فسبحان من قطع كثيرا من أهل الصلاح بصلاحهم عن مصالحهم، كما قطع المفسدين بفسادهم عن مواجدهم، قال تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 36].

وهذا الثغر ثغر كريم لرجل كريم فيه خمس خصال: الصبر والتقوى والورع، واليقين، والمعرفة، الصبر إذا أوذي، والتقوى ألا يؤذي، والورع فيما يدخل وفيما يخرج من هاهنا وأشار إلى فيه، وفي القلب ألا يلج فيه غير ما يحب الله ورسوله، واليقين في الرزق، والمعرفة بالحق التي لا يذل معها لأحد من الخلق، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49] ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 127- 128]. وليس

يدلك على فهم العبد كثرة عمله ومداومة ورده، و إنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الأعمال وتصلح الأحوال.

ودخلت الإسكندرية فلقيت فيها الشيخ العبادي وكان معروفا بالورع مشددا فيه على طريق الاحتياط حتى كان لا يبايع المسلمين خشية استغراق ذممهم، وإنما كان يبايع أهل الذمة. فسألت الله تعالى في طريقه، فقيل لي: ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة، ولا ببقبقة الصناعة، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين والهداية؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: 24- 25]. ثم قيل لي: يا علي الزم جماعة المؤمنين، وإن كانوا عصاة فاسقين، وأقم عليهم الحدود، واهجرهم لهم رحمة بهم لا تعززا عليهم، ولا تقريعا لهم. ولا تقتدي بمن يتورع بما تناولته أيدي المؤمنين، ولم يتورع مما مسته أيدي الكافرين، وقد علم ما نال الحجر من مس أيدي المشركين فأسود لذلك. وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

ودخلت على شيخي سيدي عبد السلام فقال لي: يا أبا الحسن بما تريد أن تلقى الله تعالى؟ فقلت له: بفقري. فقال: والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الأعظم هلا لقيته به، وإنما يلقى الله به سبحانه، لا بشيء سواه. ولا تصح حقيقة الفقر إلا بالغيبة عن الفقر وإلا كنت غنيا بفقرك.

[الوسائل]

الوسائل كلها في أربعة: في الأبدان والأموال والعقول والقلوب، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ. وَكُنَّا نُكَذِّبُ

بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: 43- 44] فالصلاة للأبدان، والإطعام للأموال، والخوض للعقول، والتكذيب للقلوب.

[وصية]

اجتمعت برجل في سياحتي، فأوصاني وقال لي: ليس شيء في الأقوال أعون على الأحوال وحمل الأثقال من: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وليس شيء في الأفعال أعون من الفرار إلى الله والإعتصام بالله، ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ [الذاريات: 50]، واعتصموا بالله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 11]، ثم قل: بسم الله، فررت إلى الله، واعتصمت بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أستغفر الله، ومن يغفر الذنوب إلا الله، بسم الله قول باللسان وصدور عن القلب ففروا إلى الله، وصف الروح والسر، ومن يعتصم بالله: وصف العقل والنفس. ولا حول ولا قوة إلا بالله: وصف للملك والأمر. ومن يغفر الذنوب إلا الله، ربي إني أعوذ بك من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين. ففروا إلى الله ثم تقول للشيطان: هذا علم الله فيك، وبالله آمنت، وعليه توكلت، أعوذ بالله منك، ولولا ما أمرني ربي، ما استعذت منك، ومن أنت حتى اعتصم بالله منك.

[وصية]

أوصاني أستاذي: أن خف من الله خوفا تأمن به من كل شيء، واحذر قلبك أن يأمن من الله تعالى في كل شيء، فلا معنى للخوف من شيء ولا للأمن من الله تعالى في شيء، وحدد بصر الإيمان، تجد الله تعالى في كل شيء، وعند كل شيء، ومع كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، وقريبا من كل شيء، ومحيطا بكل شيء، وقبل كل شيء،

وبعد كل شيء، بقرب هو وصفه، وبإحاطة هي نعته، وعد عن الظرفية والحدود، وعن الأماكن والجهات، وعن الصحبة والقرب في المسافات، وعن الدور بالمخلوقات، وامحق الكل بوصفه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]، وهو هو هو، «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان».

[وصية]

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين، انتزع عن الدنيا بالإيثار، ومن المعصية بالأسرار، وداوم على سؤال الرحمة اللدنية، واستعن بها على الفعلية، ولا تعلق نفسك بشيء تكن من الراسخين في العلم الذين لا يغيب عنهم لا سر ولا علم.

فإن خطرت بقلبك خطرات الدنيا والمعصية، فألقها تحت قدميك حقارة وزهدا واملأ قلبك علما ورشدا ولا تسرف فتغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها، ثم لابد من معانقتها إما بالهمة والفكرة أو بالإرادة والحركة. فعند ذلك تجبر اللب ويكون العبد كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا. وقل إن هدى الله هو الهدي، ولا هدي إلا لمن اتقى، ولا تقوى إلا لمن أعرض عن الدنيا، ولا يعرض عن الدنيا إلا من هانت عليه نفسه، ولا تهون النفس إلا عند من عرفها، ولا يعرفها إلا من عرف الله، ولا يعرف الله إلا من أحبه، ولا يحب الله إلا من اصطفاه الله واجتباه وحال بينه وبين نفسه.

وقل: يا الله، يا قدير، يا مريد، يا عزيز، يا حكيم، يا حميد، يا رب، يا مالك، يا موجود، يا هادي، يا منعم هب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وأنعم على عبدك بنعمة الدين و بنعمة الهداية إلى الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض إلا إلى الله تصير الأمور بحرمة هذا الإسم الأعظم آمين.

[وصية]

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين، أربعة أشياء كن متمسكا بها وادخل متى شئت بهذه الصفات الحميدة تفز بسعادة الدارين: لا تتخذ من الكافرين وليا، ولا من المؤمنين عدوا، وارتحل بزادك من التقوى في الدنيا، وعد نفسك من الموتى، واشهد لله تعالى بالوحدانية، ولرسوله ﷺ بالرسالة، وقل سمعنا وأطعنا وحسبك عمل صالح وإن قل، وقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالقدر خيره وشره وبكلماته المقترنة عن كلماته: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

فمن كان متمسكا بهذه الصفات الأربعة الحميدة ضمن الله عز وجل له أربعة في الدنيا: الصدق في القول، والإخلاص في العمل، والرزق كالمطر، والوقاية من الشر. وأربعة في الآخرة: المغفرة العظمى، والقربة الزلفى، ودخول جنة المأوى، واللحوق بالدرجة العليا. وأربعة في الدخول على الله: المجالسة معه، والسلام من الله، ورضوان من الله أكبر.

وإن أردت الصدق في القول، فداوم على قراءة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:1].

وإن أردت الرزق كالمطر، فداوم على قراءة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: 1].

وإن أردت السلامة من شر الناس، فداوم على قراءة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:1].

وإن أردت جلب الخير والرزق والبركة، فداوم على قراءة: بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين، نعم المولى ونعم النصير. واقرأ سورة الواقعة، وسورة يس، فإنه يأتيك الرزق كالمطر.

وإن أردت أن يجعل الله لك من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ويرزقك من حيث لا تحتسب، فالزم الاستغفار.

وإن أردت أن تأمن مما يروعك ويفزعك، فقل: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن شر همزات الشياطين وأن يحضرون» (الترمذي: السنن: 3528).

وإن أردت أن تعرف أي وقت تفتح فيه أبواب السماء، ويستجاب به الدعاء فاشهد وقت نداء المنادي فأجبه، ففي الحديث: «فمن نزل به كربٌ أو شدة فليتحين المنادي» (المتقي الهندي: كنز العمال: 3411). والمنادي هو المؤذن.

وإن أردت أن تسلم من أمر يكربك، فقل: توكلت على الحي الذي لا يموت أبدا، والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا. ففي الحديث: «ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل، فقال: يا محمد، قل: توكلت على الحي الذي لا يموت أبدا، وقل: والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا» (الحاكم: المستدرك: 1/ 509).

وإن أردت أن تنجو من هم أو غم أو خوف يصيبك، فقل: «اللهم، إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي» (أحمد: المسند: 1/ 391، 452). فيذهب عنك همك وغمك وحزنك.

وإن أردت أن يداويك الله تعالى من تسعة وتسعين داء، أيسرها الهم، فقل ما ورد في الحديث: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» (الطبراني: المعجم الكبير: 12/ 364 والبخاري: الصحيح: 1/ 159) فإنها دواء مما ذكر.

وإن أردت أن تؤجر مما يصيبك من مصيبة، فقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم، عندك أحتسب مصيبتي، فأجرني فيها، وأبدلني خيرا منها ومنه حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله، وعلى الله توكلنا.

وإن أردت أن يذهب همك، ويقضى دينك، فقل ما ورد عنه ﷺ حين سأله السائل فقال: «ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله تعالى همك وقضى عنك دينك؟»، قال: بلى يا رسول الله. قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت؛ اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل؛ وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» (البخاري: الصحيح: 4/ 23).

وإن أردت أن توفق للخشوع: فاترك فضول النظر.

وإن أردت أن توفق للحكمة: فاترك فضول الكلام.

وإن أردت أن توفق لحلاوة العبادة: فاترك فضول الطعام وعليك بالصوم وقيام الليل والتهجد فيه.

وإن أردت أن توفق للهيبة: فاترك المزاح والضحك، فإنهما يسقطان الهيبة.

وإن أردت أن توفق للمحبة: فاترك فضول الرغبة في الدنيا.

وإن أردت أن توفق لإصلاح عيب نفسك: فاترك التجسس على عيوب الناس؛ فإن التجسس من شعب النفاق، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان.

وإن أردت أن توفق للخشية: فاترك التوهم في كيفيات ذات الله تعالى، تسلم من الشك والنفاق.

وإن أردت أن توفق للسلامة من كل سوء: فاترك الظن السيء بكل الناس.

وإن أردت العزلة: فاترك الاعتماد على الناس وتوكل على الله.

وإن أردت ألا يموت قلبك: فقل كل يوم أربعين مرة: يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت.

وإن أردت أن ترى النبي ﷺ يوم القيامة يوم الحسرة والندامة: فأكثر من قراءة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1] و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: 1] و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: 1].

وإن أردت أن ينور وجهك: فداوم على قيام الليل.

وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة: فلازم الصوم.

وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر: فاحترز من النجاسات، واترك أكل المحرمات، وارفض الشهوات.

وإن أردت أن تكون أغنى الناس: فلازم القناعة.

وإن أردت أن تكون خير الناس: فكن نافعا للناس.

وإن أردت أن تكون أعبد الناس: فكن متمسكا بقوله ﷺ: «من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن، أو يعلم من يعمل بهن؟». قال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعد خمسا، وقال: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب» (التبريزي: مشكاة المصابيح: 5171).

وإن أردت أن تكون من المحسنين الخالصين: فاعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وإن أردت أن يكمل إيمانك: فحسن خلقك.

وإن أردت أن يحبك الله: فاقض حوائج إخوانك المسلمين ففي الحديث: «إذا أراد الله بعبد خيرا صير حوائج الناس إليه» (المتقي الهندي: كنز العمال: 14594).

وإن أردت أن تكون من المطيعين: فأد ما فرض الله عليك.

وإن أردت أن تلقى الله تعالى نقيا من الذنوب: فاغتسل من الجنابة، ولازم غسل الجمعة تلق الله تعالى يوم القيامة وما عليك ذنب.

وإن أردت أن تحشر يوم القيامة في النور الهادي، وتسلم من الظلمات: لا تظلمن أحدا من خلق الله تعالى.

وإن أردت أن تقل ذنوبك: فالزم دوام الاستغفار.

وإن أردت أن تكون أقوى الناس: فتوكل على الله.

وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق كالمطر فلازم الطهارة الكاملة.

وإن أردت أن تكون آمنا من سخط الله تعالى فلا تغضب على أحد من خلق الله تعالى.

وإن أردت أن يستجاب دعاؤك فاجتنب الربا وأكل الحرام، وأكل السحت.

وإن أردت ألا يفضحك الله على رءوس الأشهاد فاحفظ فرجك ولسانك.

وإن أردت أن يستر الله عليك عيبك: فاستر عيوب الناس؛ فإن الله ستار ويحب من عباده الستارين.

وإن أردت أن تمحى خطاياك: فأكثر من الاستغفار، والخشوع، والخضوع، والحسنات في الخلوات.

وإن أردت الحسنات العظام: فعليك بحسن الخلق، والتواضع، والتصبر على البلية.

وإن أردت السلامة من السيئات العظام: فاجتنب سوء الخلق والشح المطاع.

وإن أردت أن يسكن عنك غضب الجبار: فعليك بإخفاء الصدقة، وصلة الرحم.

وإن أردت أن يقضي الله عنك الدين: فقل ما قاله النبي ﷺ للأعرابي حين سأله، وقال عليه الصلاة والسلام له: «لو كان عليك مثل جبل صير دينا أداه الله عنك؟»، قال: «قل: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك» (الترمذي: الدعوات: 110). وفي الحديث: «لو كان على أحدكم جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه» (البيهقي: دلائل النبوة: 6/ 172). وهو: «اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة، ورحيمهما، أنت ترحمني، فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك» (الحاكم: المستدرك: 1/ 515).

وإن أردت أن تنجو إذا وقعت في هلكة: فالزم ما في الحديث: «إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» (المتقي الهندي: كنز العمال: 3416). فإن الله تعالى يصرف عنك ما شاء من أنواع البلاء. والورطة: بفتح الواو، وإسكان الراء الهلاك.

وإن أردت أن تأمن من قوم خفت شرهم: فقل ما ورد في الحديث: اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم. أو تقول: اللهم، اكفنيهم بما شئت، وكيف شئت، إنك على كل شيء قدير» (البيهقي: دلائل النبوة: 2/ 217).

وإن أردت أن تأمن إن خفت من سلطان: فقل ما ورد في الحديث: «لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض، ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت، عز جارك، وجل ثناؤك، لا إله إلا أنت (أحمد: المسند: 1/ 206، 456). ويستحب أن تقول بعد ما تقدم: اللهم، إنا نجعلك فى نحورهم إلخ. وفي الحديث: إذا أتيت سلطانا مهيبا تخاف أن يسطو بك، فقل: الله أكبر، الله أكبر من خلقه جميعا، الله أعز مما أخاف وأحذر، والحمد لله رب العالمين (الهيتمي: مجمع الزوائد: 10/ 137).

وإن أردت ثبات القلب على الدين: فادع بما أسند مرفوعا أنه كان من دعائه ﷺ: «اللهم ثبت قلبي على دينك» (ابن ماجة: 3834). وفي رواية: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» (الترمذي: 214)، والسلام.

[وصية]

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله، قيل لي: يا عبد الله انتزع عن محادثة النفس ومناداة الشيطان وطاعة الهوى وحركة الزمناء تكن صالحا، واتق الله في الخطرة والهمة والفكرة وحركة السر تكن صديقا؛ إن تكدر عليك شيء من ذلك فاهجر الأسباب والأوطان والأخدان ومواقع النفس تكن مهاجرا، وإن وقعت شيء من ذلك فتب إلى الله واستغفره والجأ إليه واستغثت به تكن مؤمنا، واتخذ الطهارة والصوم والصلاة والصبر والذكر والتلاوة للقرآن والتبري من الحول والقوة سرحا تكن سالما، وإن غلبت فاتخذ الإيمان حصنا، وإن دخل عليك فسلم الأمر لله، وعليك بالتوحيد والإيمان والمحبة لله وغرق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تغرقك. وصلى الله سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

[وصية]

يا بني، الزم بابا واحدا تفتح لك الأبواب، واخضع لسيد واحد تخضع لك الرقاب، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: 21] وقال الله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ﴾ ولا تغفل عن الله ولا تأمن من مكر ولاحظ غير الله تحظ بعلوم ومواهب وفهوم وتنل من الله أجرا غير ممنون، قال تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: 26].

ولا تتهم الله في شيء، وعليك بحسن الظن به في كل شيء، ولا تؤثر نفسك على الله في شيء. والزم، فأين تذهبون؟ واهرب من خير الناس، أكثر مما تهرب من شرهم، فإن خيرهم يصيبك في قلبك، وشرهم يصيبك في بدنك، ولأن تصاب في بدنك، خير لك من أن تصاب في قلبك، ولعدو تصل به إلى ربك، خير من حبيب يقطعك عن ربك.

واعلم أنه لو طبقت السماء طبقا واشتعلت الدنيا بالفتن ثم أطاع العبد ربه في نفس واحد يصدق اللجأ نجاه الله نجاة بقدر ما أخلص. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

[وصية]

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين، يا عبد الله، انتزع من محادثة النفس، وإرادة الشيطان، وطاعة الهوى، وحركة الأمناء، تكن صالحا. واتق الله في الخطوة والهمة والفكرة وحركة السر تكن صديقا. وإن تكدر عليك شيء من ذلك فاهجر الأسباب والأوطان والإخوان ومواقع الفتن تكن مهاجرا، وإن وافقت شيئا من ذلك فتب إلى الله واستغفره والجأ إليه واستغث به تكن مؤمنا.

واتخذ الطهارة والصوم والصلاة والصبر والذكر وتلاوة القرآن والتبريء من الحول والقوة سلاحا تكن سالما، وإن غلبت فاتخذ الإيمان حصنا، وإن دخل عليك فسلم الأمر كله لله، وعليك بالإيمان والتوحيد، والمحبة لله، وأغرق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تغرقك. وسر الأسرار سدد العلم والمعرفة، وروح القربة والمحبة والاصطفانية والتخليص والتولية.

ومن فارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا من باطنه، ولزم حفظ جوارحه ومراعاة سره، أتته الزوائد من ربه، ووكل به حارسا يحرسه من عنده، وجمعه الله في سره، وأخذ الله بيده في جميع أموره، وخفض ورفع في جميع أموره، وأتته الزوائد من العلم واليقين والمعرفة.

وكل شهوة تدعوك إلى الرغبة في مثلها فهي عدة الشيطان وسلاحه، وكل شهوة تدعوك إلى طاعة الله والرغبة في سبيل الخيرات فهي محمودة. وكل حسنة لا تثمر نورا فلا تعد لها أجرا، وكل سيئة أثمرت خوفا وهربا فلا تعد لها وزرا.

اللهم إني تبت إليك فقيدني وأعني وأقرني وانصرني وثبتني واعصمني، واسترني بين خلقك، ولا تفضحني عند رسولك. فقيل لي: إنك مشرك فقلت: وكيف؟ فقيل لي: إن خفت الفضيحة عند الناس فيكون قلبك متعلقا بالناس لا بالله. وتعلم أن أحدا منهم لا ينفعك ولا يضرك فما دام قلبك متعلقا بعلمك واجتهادك فلست برائح إلى الله حتى تيأس من الكل وتكوم متعلقا بالرجاء في الله. وفي كل نفس تستنجد الروح والمدد من الله. وإن لم تنل حاجتك وحينئذ بقطعك بذلك النور إلى غيره، يضيق عليك حتى لا ترى غيره، والسلام.

[وصية]

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين، أيها الحريص على سبيل نجاته، والشائق إلى حضرة حياته، أقلل النظر إلى ظاهرك إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك، واجتنب الاستكثار مما أباحه الله لك، ودع مالا يدخل تحت علمك مما أحله الله لك، وبادر إلى فرائضك واترك ما اشتغل الناس به شغلا بمراعاة سرك، ففي ترك الاستكثار الزهد، وفي بذل ما لا يدخل تحت علمك الورع بقوله عليه السلام: البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما جال في النفس وتردد في الصدر وان أفتاك الناس بغير ذلك، فافهم.

وفي الاشتغال بمراعاة السر للاشراف على حقائق الايمان، فإن كنت تاجرا كسبا فدع ما تريد لما يريد بشرط الرضى لجميع أحكامه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

و«الدنيا حرامها عقاب وحلالها حساب» حسب الحديث، والدنيا التي لا حساب عليها الآجل ولا حجاب معها في العاجل هي التي لا إرادة لصاحبها فيها قبل وجودها ولا معها له مع وجودها، ولا أسف عليها عند فقدها، والحر الكريم من يأخذها منه على المواجهة، ويدعها به على المواجهة لا أثر للأغيار في قلبه فتفكر.

وسمعت قائلا يقول: ما صبر من أحسن، ما سلم من تكلف، ولا رضى من سأل، ولا فوض من دبر، ولا توكل من دعا، وهي خمس وما أحوجك لهذه الخمس إن ثابرت عليها. وقل: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير فزدني من فضلك واجعلني من الشاكرين لنعمائك.

ورأيت في النوم صائحا يصيح من جو السماء: وإنما تساق إلى رزقك، أو لأجلك، أو لما يقضي الله به عليك، أو بك، أو لك، وهي خمسة لا سادس لها. فاتق الله أينما كنت،

ولا تعدل بالتقوى شيئا، فإن العاقبة للمتقين، والحق يحبهم ويحبونه. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54]، أعوذ بالله من سوء القضاء، ومن جزع النفس عند ورود البلاء، ومن الفرح والحزن، والهم والغم في الشدة والرخاء.

[وصية]

استوصيت أستاذي رضي الله عنه لما أردت الانفصال عنه، فقلت له: يا سيدي، أوصني، فقال لي: يا علي، الله الله، والناس الناس، نزه لسانك عن ذكرهم، وقلبك عن التماثل من قبلهم، وعليك بحفظ الجوارح، وأداء الفرائض واجتناب المحارم، وقد تمت ولاية الله تعالى عندك، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله تعالى عليك؛ وقد تم ورعك، وقل: اللهم ارحمني من ذكرهم، ومن العوارض التي تعرض من قبلهم، ونجني من شرهم، واغنني بخيرك عن خيرهم، وتولني بالخصوصية من بينهم، إنك على كل شيء قدير.

[وصية]

الحمد لله، هذه نصيحتي للسالكين في بداية أمرهم: من لم يصلي الصبح الحاضر لا يقل أقضيه، بل ليسأل نفسه ماذا فعلت حتى حرمني الله شرف الوقوف بين يديه مع أحبابه. وعنوان الطريق الأدب ومن لا أدب له لا سير له، وما نال من نال إلا بالأدب وما حرم من حرم إلا بترك الأدب. ولا يمكن أن تتعرف على الله إلا من باب رسول الله ﷺ، ولا يمكن أن تتعرف على رسول الله ﷺ إلا من باب الأدب مع وارثه.

وأصعب شيء على النفس الفضيحة. وللنفس حق وحظ فاعطها حقها ولا تعطها حظها. وأكبر خسارة هي خسارة العمر، وأن العمر أقصر من أن يكون تجارب. والقناعة من الله حرمان. ومن لم يستيقظ للتجهد لم يسلك بعد في طريق أهل الله.

والمحروم من حرم خير الزمان وخير الزمان في رجال الزمان. وليس المحروم من لم يعط، ولكن المحروم من أعطي ولم يأخذ. والكذاب ثلاثة، كاذب على الله وكاذب على الناس وكاذب على نفسه وأسوءهم الكاذب على نفسه.

والفرق بين الصوفي والمتمصوف كالفرق بين المريض والمتمارض. ونحن طلاب حق أينما وجدناه التقطناه. وأتقاكم إلى الله أبعدكم عن محارمه، أي ليس أكثركم طاعات بل أقلكم معاصي.

والنفاق آفة الآفات. واستبرئ لدينك وابتعد عن الشبهات. ونسبة النفاق فيك على قدر كسلك عن الصلاة. ومقياس الاستفادة في سيرك إلى الله عز وجل مقدار خشوعك وحضورك في الصلاة.

ولم يسم القلب قلبا إلا لكثرة تقلبه. والصدق أقوى سيف، ما وضع على شيء إلا وقطعه. ومن الكرامة أن تعرف نفسك. والحسن ما حسنه الشرع، والقبح ما قبحه الشرع.

وبيني وبين المريد نظرة أغنيه بها. وانتقل من العادة إلى العبادة فالنيات تصير العادات عبادات ومن العبادة إلى المعبود ومن المعبود إلى الشهود.

فهذه وصيتي فخذها واعمل بها لأن العلم ينادى بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل، والسلام.

[وصية مرتبة على حروف الهجاء]

حرف الألف: إياك والعجز، فإنه شين الدين، وبئس القرين. إياك والعجز، فأوله جنون، وآخره ندم. إياك والبطنة، فمن لزمها كثرت أسقامه، وفسدت أحلامه. إياك وطاعة الهوى، فإنه يقودك إلى كل محنة. إياك والمن بالمعروف، فإن الامتنان بالمعروف يفسد الإحسان. إنما العقل التخوف من الإثم، والنظر في العواقب، والأخذ بالحزم. إنما الناس عالم ومتعلم ومستمع، وما سواهم همج. إنما العالم من قاده علمه إلى الورع، والزهد في عالم الفناء، والرغبة في عالم البقاء. إنما يعرف الفضل لأولي الفضل أولو الفضل.

حرف الباء: بحسن الموافقة تدوم الصحبة. بالإحسان يستبعد الإنسان. بالتواضع تعرف الرفعة. بالتوفيق تكون السعادة. بالصدق يكون النجاة. بالرفق تدرك المقاصد. بالإخلاص ترفع الأعمال. بالتواني يكون الفوات. بقدر اللذات يكون التنغيص.

حرف التاء: تكاد ضمائر القلوب تطلع على سرائر الغيوب. تجرع غصص التحكم يطفي الغضب. تكثرك بما يبقى لك ولا تبقى له، من أعظم الجهل. تتبع العيوب من أعظم الذنوب. تناس مساوي الناس تستدم ودهم.

حرف الثاء: ثمرة العلم معرفة الله تعالى. ثمرة الإيمان الفوز بالله تعالى. ثمرة الوعظ الانتباه. ثمرة العقل الاستقامة. ثمرة الحزم السلامة. ثمرة اللجاج العطب. ثمرة العجز فقط الطلب. ثمرة الزهد الراحة. ثمرة الحياة السقم والهرم. ثمرة المجاهدة قهر النفس.

حرف الجيم: جميل الفعال يوجب حسن الجزاء. جود الإنسان يوجب له الإحسان. وجميلته يعطيها السخاء. جميع السيئات تمحوها الحسنات.

حرف الحاء: حكمة الحكمة الإعراض عن دار الفناء، والوله بدار البقاء. حد العقل النظر في العواقب والرضى بما يجري به القضاء. حرام على كل ذي عقل مغلوب بالشهوات أن ينتفع بالحكمة. حرام على كل قلب متوله بالدنيا تسكنه التقوى.

حرف الخاء: خير العلوم ما أصلحك. خير العمل ما صحبه الإخلاص. خير إخوانك من واساك، وخير منه من كفاك. خير من صاحبته ذو العلم والحلم. خير من شاورت ذو النهى والعقل، وأولو التجارب والحزم. خير الاجتهاد ما قارنه التوفيق. خير الناس من أخرج الحرص من قلبه، وخالف هواه في طاعة ربه.

حرف الدال: دار عدوك وأخلص له ودك تحظ بالآخرة وتحز المروءة. دع الانتقام فإنه من سوء أفعال المقتدر، ولقد أخذ بجوامع الفضل من ردع نفسه عن سوء المجازات. داو الغضب بالصمت. داو الشهرة بالعقل.

حرف الذال: ذل في نفسك وعز في دينك. ذل الرجال في المطامع.

حرف الراء: رأس الإيمان الصدق. رأس الإسلام الأمانة. رأس النفاق الخيانة.

حرف الزاي: زين المصاحبة الاحتمال. زهدك في الدنيا ينجيك، ورغبتك فيها توذيك. زخارف الدنيا تفسد العقول الضعيفة. زينة البواطن أجمل من زينة الظواهر. زينة الإيمان طهارة السرائر وحسن العوامل في البواطن لا الظواهر. زيادة الشهوة تزري بالمروءة. زهد المرء فيما يفنى على قدر رغبته فيما يبقى.

حرف الطاء: طوبى لمن راقب قلبه وأقلع عن ذنبه. طوبى لمن غلب نفسه ولم تغلبه. طوبى لمن ملك هواه ولم يملكه. طوبى لمن كابد هواه وكذب مناه.

حرف الظاء: ظن المرء ميزان عقله، وفعله أصدق شاهد على أهله. ظن العاقل خير من يقين الجاهل. ظالم الحق من نصر الباطل. ظفر الكريم ينجي، وظفر اللئيم يردي. ظلم

المرء في الدنيا عنوان شقاء الآخرة. ظلم المعروف من وضعه في غير أهله. ظلم الحكمة من وضعها في غير أهلها. ظل الكرام رعاني، وظل اللئام رداني. ظن أولي النهى والألباب أقرب شيء إلى الصواب.

حرف الكاف: كل عارف خائف. كل قانع غني. كل عاقل مغبون. كل طامع أسير. كل حريص فقير. كل فان يسير. كل راض مستريح. كل برء صحيح. كل جمع إلى شتات. كل داء يتداوى منه إلا سوء الخلق. كل شيء يميل إلا طرائف الحكمة. كل شيء يستطاع إلا تغير الطباع. كم من غني يستغنى عنه، وكم من فقير يفتقر إليه. كم من أكلة منعت أكلات. كم من طالب خائب، وكم من مرزوق غير طالب. كم من مغرور بالستر عليه. كم من مستدرج بالإحسان إليه. كم من مبتلى بالنعماء ومنع عليه بالبلاء. كم من غني فقير. كم من فقير غني. كفى بالغفلة ضلالا. كفى بالشيب نذيرا. كفى بالتكبر تلافا. كفى بالاغترار جهلا. كفى بالمرء عثرة أن يبصر من عيوب الناس ما يخفى عليه من عيوب نفسه. كفى بالمرء جهلا أن ينكر على الناس ما يأتي بمثله. كفى توبيخا على الكذب علمك بأنك كاذب. كثرة الأماني من فساد العقل. كثرة الغضب تزري بصاحبها وتبدي معايبه. كثرة الأكل من الشره. كثرة الدنيا قلة، وعزها ذلة. كن بالوحدة أنيسا يفر منك قرناء السوء. كن من الكريم على حذر إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن الحليم إذا أحرجته. كل ما ارتفعت رتبة اللئيم نقص الناس عنده، والكرم ضد ذلك. كلما قوت الحكمة ضعفت الشهوة.

حرف اللام: للأحمق في كل قول يمين. للإنسان فضيلتان النطق والعقل، فبالعقل يستفيد، وبالنطق يفيد. لينهك من معايب الناس ما تعرفه من معايب نفسك. لن يهلك العبد حتى يؤثر شهوته على دينه. ليس التملق من خلق الأتقياء. ليس لمتكبر صديق. ليس مع الاختلاف إيتلاف. ليس مع الشهوة عفاف. لو عقل أهل الدنيا لخربت. لو كنا نأتي لما

يأتوا ما قام للدين عمود ولا اخضر للإيمان عود. لسان المرائي جميل، وفي قلبه داء دخيل. لسان الحال أصدق من لسان المقال.

حرف الميم: من جهل قل اعتذاره. من حذرك كمن بشرك. ما تواضع إلا رفيع، ولا تكبر إلا وضيع. ما أحسن العفو مع الاقتدار، وما أقبح العقوبة مع الاعتذار. من أكرم بحدثه حسن مشهده. من خبث عنصره ساء منظره. من احتاج إلى الدنيا صحب الأدنياء. من احتاج إلى الآخرة صحب الأتقياء. من اعترف بالجريرة فقد استخفت عليه العقوبة. من لم تؤدبه الكرامة أدبته العلامة. من لم ينصت لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك.

حرف النون: نعم الله أكثر من أن يشكر عليها إلا ما أعان الله عليه، وذنوب بني آدم أكثر من أن تغفر إلا ما عفا الله تعالى عنه. نعم الزين حسن الخلق. نعم الملبوس العافية. نعم العبد من خالف هواه، وأقبل على طاعة مولاه.

حرف الصاد: صلاح السرائر من صحة البصائر، وحسن العمل بالبواطن لا بالظواهر. صن عرضك تكف أذاك. صل من وصلك ولا تفصل من فصلك.

حرف الضاد: ضلال الدليل هلاك المستدل. ضل من اهتدى بغير هدى الله. ضاع من كان قصده غير الله. ضادد الجزع بالصبر، وضادد التكبر بالتواضع، وضادد الهوى بالعقل.

حرف العين: عليك بالآخرة تأتيك الدنيا جامعة صاغرة. عليك بالحكمة فإنها الخليلة الفاخرة. عليك بالسكينة فإنها أحسن وأفضل زينة. عليك بالمواصلة والموافقة، وإياك والمقاطعة والمفارقة. على قدر شرف النفس تكون المروءة. على قدر الدين يكون اليقين. عند حضور اللذات والشهوات يتورع الاتقياء. عجبت لمن يظلم نفسه كيف ينصف غيره. عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه.

حرف الغين: غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه. غاية الإنصاف أن ينصف الإنسان من نفسه. غاية الإيمان الموالات والمعادات لله. غناء العاقل بقلبه. غناء الجاهل بماله. غض

الطرف من المروءة. غيروا العادات تسهل عليهم الطاعات. غير منتفع بالموعظة قلب معلق بالشهوات. غلبة الهزل تبطل عزيمة الجد.

حرف الفاء: في تصاريف الدنيا اعتبار. في السكون إلى الغفلة اغترار. في كل نظرة عبرة. في حسن المصاحبة ترغب الرفاق. في خلاف النفس رشدها، وفي طاعتها غيها. فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر منه. فاز من ملك هواه، وملك دواعي نفسه. فاز من كابد هواه وكذب مناه. فروا إلى الله تعالى، ولا تفروا منه، فإنه مدرككم ولن تعجزوه. فوت الحاجة أهون من طلبها من غير أهلها. فاز من استبصر بنور الهدى وخالف دعاو الهوى.

حرف القاف: قليل من الأدب خير من كثير من النسب. قول لا أعلم نصف العلم. قل من صبر إلا ظفر. قلة الأكل تمنع من إعلال الجسد. قلة الخلطة تصون الدين، وتريح من مقارنة الأشرار. قلوب الرجال وحشية، من ألفها أقبلت عليه. قدرتك على نفسك من أعظم القدرة، وأمارتك عليها خير الإمارة. قاربوا الناس بأخلاقهم تأمنوا غوائلهم. قدموا بعضا يكون لكم، ولا تحلفوا كلا يكون عليكم. قبول عذر المذنب، من تواجب الكرم ومحاسن الشيم.

حرف السين: سبب فساد العقل الهوى. سبب الشقاء حب الدنيا. سبب الفتنة الحقد. سبب الفرقة الاختلاف. سبب السلامة الصمت.

حرف الشين: شر إخوانك المواصل عند الرخاء والمنقطع عند البلاء. شر الخلائق المتكبرون. شر الشيم الكذب. شر النوال ما تقدمه العطل وأعقبه المن. شر الناس من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره. شر إخوانك من أغرك بالعاجلة عن الآجلة. شر الأصحاب سريع الانقلاب. شر الأمور التسخط بالمقدور.

حرف الهاء: هدى الله نور في القلب يفرق به العاقل بين الحق والباطل. اهرقوا دموعكم من خشية الله تنجوا من عذاب النار.

حرف الواو: ويل لمن نسي آخرته بدنياه. ويح من خالف مولاه واتبع هواه. ويل لكل ظالم بغي، وفاجر غوي. واروا عوراتكم بالإحسان.

حرف لام ألف: لا تأمن من نم لك أن ينم عليك. لا تأمن من المكر ولا تنسوا الفضل.

حرف الياء: يستدل على عقل المرء بحسن مقاله، وعلى طاهر أصله بجميل فعاله. يسير الرياء شرك. ويسير الظن شك. يسير الهوى يفسد العقل. يسير الحق يدمر كثير الباطل. يد الله أبدا عالية. يوم العدل على الظالم أشد من يوم الظلم على المظلوم.

كملت الوصية المباركة بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، على يد أفقر الورى إلى الله محمد بن محمد الصباغ الأندلسي غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له ولجميع المسلمين، ووافق الفراغ سنة 1093 هـ.

[الولاية]

الأولياء أهل الله وخاصته، فهم قوم قد جذبهم عن الشر وأصوله، واستعملهم بالخير وفروعه، وحبب إليهم الخلوات، وفتح لهم سبيل المناجاة، فتعرف إليهم فعرفوه، وتحبب إليهم فأحبوه، وهداهم السبيل إليه فسلكوه، فهم به وله لا يدعهم لغيره، ولا يحجبون عنه، بل هم محجوبون به عن غيره، لا يعرفون سواه، ولا يحبون إلا إياه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب.

وكل وارث في المنزلة المورثة لا يكون إلا بقدر مورثه فقط، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: 55] كما فضل بعضهم على بعض كذلك فضل ورثتهم على بعض؛ إذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعين للحق، وكل عين يشهد منها على قدرها، وكل ولي له مادة مخصوصة. ولكل ولي حجاب، وحجابي الأسباب، فمنهم من كان حجابه ظهوره بالسطوة والعزة، والنفوس لا تحمل صحبة من هذا وصفه،

وسبب ظهور ذلك الولي بذلك، تجلى الحق عليه بصفة ظهر بها، فإذا غلبت عليه شهودا غلبت عليه ظهورا، فلا يصحبه ولا يثبت معه إلا من محق الله نفسه وهواه.

ويكون الولي أولا يجد كلفة التعب فإذا وصل وجد بالتكليف الراحة والطرب من باب قوله ﷺ: «أرحنا بها يا بلال». ولن يصل الولي إلى حضرة الله تعالى ومعه شهوة من شهواته، أو تدبير من تدبيراته، أو اختيار من اختياراته، ومتى بقي معه اختيار أو تدبير فهو كالمنازع لأوصاف الربوبية.

ويبلغ الولي مبلغا يقال له: أصحبناك السلامة، وأسقطنا عنك الملامة، فاصنع ما شئت فإن الله قد تولاك. ولا يشترط للشيخ في الطريق سوى ترك المعاصي كلها، والمحافظة على الواجبات وما تيسر من المندوبات، وذكر الجلالة الشريفة مهما أمكن، وأقل ذلك ألف مرة في كل يوم، والاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي مائة مرة.

والولي لا يعرف صفاته إلا الأولياء، ولكن إذا أراد الله أن يعرف أحدا من عباده بولي لينتفع به طوى عنه شهود بشريته وأشهده وجه خصوصيته. وإن الله يتفضل على وليه بالحفظ كما يتفضل على نبيه بالعصمة، والفرق بين الحفظ والعصمة، فسيح الأبعاد. والولي يكون مشحونا بالعلم والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة كان كالإذن من الله تعالى له.

ولكل ولي ستر أو أستار، نظير السبعين حجابا التي وردت في حق الحق تعالى، حيث إنه تعالى لم يعرف إلا من ورائها فكذلك الولي، فمنهم من يكون ستره بالأسباب، ومنهم من يكون ستره بظهور العزة، والسطوة والقهر على حسب ما يتجلى الحق تعالى لقلبه، فيقول الناس: حاشا أن يكون هذا وليا لله تعالى، وهو في هذه النفس أو التعاظم، وذلك لأن الحق تعالى إذا تجلى على قلب العبد بصفة القهر كان قهارا، أو بصفة الانتقام كان

منتقما، أو بصفة الرحمة والشفقة كان مشفقا رحيما وهكذا. ثم لا يصحب ذلك الولي الذي ظهر بمظهر العز، والسطوة، والانتقام من المريدين، إلا من محق الله نفسه وهواه.

ولم يزل في كل عصر، وأوان أولياء، وعلماء تذل لهم ملوك الزمان، ويعاملونه بالسمع، والطاعة، والإذعان، ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر، والخمول على ظاهر النقول، حتى لا تكاد تخرجه عن آحاد طلبة العلم القاصرين، ومنهم من يكون ستره بالمزاحمة على الدنيا، وتظاهره بحب الرياسة، والملابس الفاخرة، وهو على قدم عظيم في الباطن.

ومنهم من يكون ستره كثرة التردد إلى الملوك، والأمراء، والأغنياء، وسؤالهم الدنيا وغير ذلك، وطلبه الوظائف من تدريس، وخطابة، وعمامة، وعمالة، ونحو ذلك، فيقوم فيها بالعدل، ويتصرف في ذلك بالمعروف على الوجه الذي لا يهتدي إلى معرفته غيره من الأمراء والعمال، وآحاد الفقهاء، ثم لا يأكل هو من معلومها شيئا، أو يأكل منه سد الرمق لا غير.

فيقول القاصر في الفهم والإدراك، لو كان هذا وليا لله عز وجل ما تردد إلى هؤلاء الأمراء والأغنياء أو لأي شيء، ولجلس في زاويته، أو بيته يشتغل بالعلم، وبعبادة ربه عز وجل، ورحم الله تعالى الأولياء الذين كانوا في الزمن الماضي ونحو ذلك من ألفاظ الجور، ولو استبرأ هذا القائل لدينه وعرضه لتوقف وتبصر في أمر هؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن ينتقد عليهم فربما كان يتردد إليهم لكشف ضر أو خلاص مظلوم من سجن، أو قضاء حاجة لأحد من عباد الله العاجزين الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم إلى تلك الأمراء فيسألون في ذلك من يعتقد فيه من الأولياء والعلماء، فيجب عليهم الدخول لتلك المصالح، ويحرم عليهم التخلف عنهم لاسيما إن رأينا ذلك المتردد من الأولياء والعلماء زاهدا فيما في أيديهم متعززا بعز الإيمان وقت مجالستهم، آمرا لهم بالمعروف ناهيا لهم

عن المنكر، لا يقبل هدية ممن شفع له عندهم فإن هذا من المحسنين، ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه بسبب ذلك.

والعامة إذا رأوا إنسانا ينسب إلى طريق الله جاء من البراري والقفار أقبلوا عليه بالتعظيم، وكم من بدل وولي بين أظهرهم فلا يلتفتون إليه بالا وهو الذي يحمل أثقالهم، ويدافع الأغيار عنهم، فمثلهم في ذلك كمثل حمار الوحش يدخل به البلد فيطيف الناس به متعجبين بخطاطيط جلده وحسن صورته، والحمر التي بين أظهرهم وهي التي يحمل أثقالهم لا يلتفتون إليها.

[اليقين]

اليقين إسم لدرك الحقائق بلا ريب ولا حجاب، والمعرفة كشف العلوم مع الحجاب، فإذا رفع الحجاب سميناه يقينا. وإن من علم اليقين بالله تعالى، وبما لك عند الله تعالى أن تتعاطى من الخلق ما لا تصغر به عند الحق تعالى مما تكرهه النفوس الغوية كحمل متاعك من السوق، وجمع الحطب للطعام، وجعله على رأسك، والمشي مع زوجتك إلى السوق في حاجة من حوائجها، وركوبك خلفها على الحمار، وغيره، وأما ما تصغر به في أعين الخلق مما عليه اعتراض فليس من علم اليقين فلا ينبغي لك ارتكابه، ولا منازعة من الطبع، بل من عين اليقين نسيان الخلق عند هجوم الشدائد، وتتابع الفوائد بسواطع الشواهد، بل من حق اليقين الغرق في الشيء كأنك نفس الشيء، كمن اضطر إلى ركوب البحر فركب السفينة فانكسرت وتلاطمت عليه الأمواج، فمنهم بعد من يفنى ويذهب مع الذاهبين، وينقل إلى درجات عليين، ومنهم من يحيا ويبقى مع الباقين، ولا حظ للمقتدي فيه، بل هو مستور عن الخلق أجمعين. ومنهم من يبقى برزخا بين الحق والخلق، ظاهرا بالنعتين، كاملا بالوصفين قدوة للثقلين، ومنهم الإمام الأكبر الفرد والقطب الغوث الجامع المختص بالأسماء والصفات والأنوار والأسرار والأخلاق وما لا يسع أن يسمعه

سامع. ومن دون هؤلاء من لا درجة له من الأولياء والأتقياء والعباد والزهاد، ومن أهل النظر بالدليل والبرهان ولم يبلغ بعد إلى الكشف والعيان. ومن دونهم أهل الوسائل بالأعمال والأحوال، وأهل التخليط في الأقوال والأفعال، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: 18].

ومما تكرهه النفوس الغوية كحمل متاعك من السوق، وجمع الحطب للطعام، وجعله على رأسك، والمشي مع زوجتك إلى السوق في حاجة من حوائجها، وركوبك خلفها على الحمار، وغيره، وأما ما تصغر به في أعين الخلق مما للشرع عليه اعتراض فليس من علم اليقين فلا ينبغي لك ارتكابه.

وإن كنت مؤمنا موقنا فاتخذ الكل عدوا، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 77] وان كنت بصيرا محمديا فاتل هذه الآية: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 94] وإخراج الفعل بشيئين: الماضي والمستقبل تحقيقا لرسوله وللمؤمنين، وأما الباري سبحانه وتعالى فلا ماضي عنده ولا استقبال عنده، إذ لا يتجدد عنده شيء. والصادق الموقن لو كذبه أهل الارض لم يزدد بذلك إلا يقينا، ولو صدقه أهل الأرض لم يزدد بذلك إلا تمكينا.

وكل يقين إيمان، وليس كل إيمان إيقانا، فالإيمان ربما تدخله الغفلة والإيقان لا تدخله الغفلة، المؤمن فان عن كل شيء فلم يشهد مع الله شيئا، والموقن باق في كل شيء، فهو يشهد الله في كل شيء.

وقال لي أستاذي: أربعة من كن فيه احتاج الخلق إليه، وهو غني عن كل شيء: المحبه لله، والغنى بالله، والصدق، الصدق في العبودية، واليقين بأحكام الربوبية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

ومن لم يتغلغل في علمنا هذا؛ مات مصرا على الكبائر؛ وهو لا يشعر، لأن القوم رضي الله عنهم لما رزقهم الله من نور اليقين، عرفوا معايب النفس وغرورها فاحترزوا من ذلك، وأخذوا أنفسهم بالجد والإخلاص في الطاعة، ففازوا بما فازوا به نفع الله بهم.

المصادر والمراجع

- أبو الحسن الشاذلي: محمد بوذينة، القاهرة؛ 1989.

- أجوبة الشيخ الحوات: تحقيق: محمد رحماني، الأردن؛ 2021 .

- الأخلاق المتبولية المفاضة من الحضرة المحمدية للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: تقديم وتحقيق وتعليق: منيع عبد الحليم محمود، القاهرة؛ 1976.

- الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: القاهرة؛ 2013.

- الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية للبوصيري للعلامة أبي العباس أحمد بن عجيبة الحسني: تحقيق: عبد السلام العمراني الخالدي، بيروت؛ 2010.

- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: تحقيق: طه عبد الباقي سرور والسيد محمد عيد الشافعي. بيروت؛ 1988.

- الأنوار اللائحة في أسرار الفاتحة لمحمد بن بنت المليق الشاذلي: خ م الأزهر، القاهرة: 4261.

- الإتقان في علوم القرآن للجلال السيوطي: القاهرة؛ 1974.

- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين ومعه عقيدة أكابر أهل السنة والجماعة للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: تحقيق: د. محمد عبد القادر نصار وأحمد فريد المزيدي، القاهرة؛ 2006.

- إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء ومختصره للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني، القاهرة؛ 2016.

- الإشارات السنية في معاني المباحث الأصلية لمحمد بن علي الشطيبي الزروالي، خ م بلدية الإسكندرية: 6114.

- إيقاظ الهمم بشرح الحكم للعلامة أبي العباس أحمد بن عجيبة الحسني، تحقيق: محمد أحمد حسب الله. القاهرة؛ 1985.

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبو العباس أحمد بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ) تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة/ بيروت؛ 1419- 1423 هـ.

- البحر المورود في المواثيق والعهود للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: تحقيق: محمد أديب الجادر بيروت؛ 2003.

- البرهان في علوم القرآن لأبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي (المتوفى: 794هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت؛ 1376 هـ.

- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك) لأبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (المتوفى: 1241هـ): القاهرة؛ دون تاريخ.

- تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس للأمام أحمد بن عطاء الله السكندري، اعتنى به: أحمد فريد المزيدي. بيروت؛ 2008.

- تبصرة الغافل وتذكرة العاقل لمحمد الطيب بن مسعود المريني الفاسي، تحقيق: بسام محمد بارد، أبوظبي؛ 1999.

- تحفة الأحوذي لعبد الرحمن المباركفوري: تحقيق: عبد الرحمان محمد عثمان، بيروت؛ 1424هـ 2003م.

- تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان لحمدون بن محمد الشريف الطاهري الحسني الجوطي الفاسي: دراسة وتحقيق: محمد العمراني، فاس؛ 2011.

- تسبيح ومناجاة وثناء على ملك الأرض والسماء لمحمد بن موسى الشريف: 1421 هـ/ 2000 م.

- تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: تحقيق: أحمد فريد المزيدي. القاهرة؛ 2012.

- تعطير الأنفاس في ذكر مناقب أبي الحسن الشاذلي وسيدي أحمد أبي العباس لعلي بن أحمد الرميلي: تحقيق: تحقيق هشام عبد الرحمان الجندي والشيخ وليد السيد الحنفي. القاهرة؛ 2022.

- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للعلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، بيروت؛ 1421 هـ/ 2001 م.

- تقييد في ترجمة وأحوال الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشهير بالشاذلي لعبد النور بن أحمد العمراني، تحقيق: كنيت عبد الهادي هنر كمب، بيروت؛ 2012.

- تنوير الصدر على حزب البحر لعمر الشبراوي الخلوتي الشاذلي: القاهرة؛ 1320 هـ.

- جامع الأصول في الأولياء لأحمد النقشبندي الخالدي: تحقيق: أديب نصر الدين. بيروت 1997.

- جريدة الشمال: طنجة؛ ع 1147، 2022.

- جوامع الكلم في المواعظ والحكم لعلي بن قاضي خان الهندي، خ التيمورية، القاهرة: 2562.

- الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم لمحمد بن المشري التجاني، تحقيق: محمد الراضي كنون الحسني: الرباط؛ 2012.

- الجواهر المصونة واللآلئ المكنونة أو السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل لسيدي أبي الحسن الشاذلي. بيروت؛ 1992.

- الجواهر والدرر للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: بيروت؛ 2005.

- الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: تحقيق وتعليق: شريف مصطفى الحنفي. القاهرة؛ 2007.

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للعلامة جلال السيوطي: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة؛ 1967.

- حكم الإمام أبي الحسن الشاذلي، جمع وترتيب: نزار حمادي. تونس؛ 2020.

- حياة الحيوان الكبرى المؤلف: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: 808هـ) الناشر: بيروت؛ 1424 هـ.

- خاتم النبوة لأبي الحسن علي الشاذلي، خ م الوطنية بتونس: (11)00194.

- الدائرة المباركة لأبي الحسن علي الشاذلي، خ م الظاهرية، دمشق: 4377.

- الدر النظيم في خواص القرآن العظيم لعبد الله بن أسعد اليافعي اليمني. القاهرة؛ 1920.

- درة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال وأحوال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبو الحسن الشاذلي لمحمد بن الصباغ الحميري. القاهرة؛ 2001.

- درة عقد النحر في أسرار حزب البحر لعبد الرحمان بن محمد الحنفي البسطامي الشاذلي. خ م الأزهر، القاهرة: الأزهرية: 41531.

- الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: تحقيق: أحمد فريد المزيدي ومحمد عبد القادر نصار. القاهرة؛ 2005.

- دروس الشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي: المكتبة الشاملة.

- الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران. الرياض؛ 1429 هـ.

- رسالة الأمين في الوصول لرب العالمين يليه الوصايا للقطب الفرد العارف لأبي الحسن الشاذلي، تحقيق وتخريج وتعليق: أحمد فريد المزيدي، القاهرة؛ 2008.

- رسالة في فضل أهل البيت لمجهول، خ م الأزهر، القاهرة: 97609.

- رسالة في مدح النبي ﷺ لأبي الحسن الشاذلي، خ م ج الملك سعود، الرياض: 6614.

- زاد المريد لطريق الآخرة: من نفحات سيدنا أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه التي حققها ودرسها سيدنا الشيخ عبد الناصر رضي الله عنه بقلم: مسكين محمود مرغلاني. كوالالمبور؛ 2015.

- سبك المقال لفك العقال لعبد الواحد بن الطواح التونسي، تحقيق ودراسة: محمد مسعود جبران. طرابلس؛ 1994.

- شرح حكم ابن عطاء الله للعلامة أبي العباس أحمد بن أحمد زروق الفاسي البرنسي: تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف. القاهرة؛ 1969.

- شرح رائية وشرح تائية سيدي محمد البوزيدي للعلامة أحمد بن عجيبة الحسني، تحقيق: د. محمد بن محمد المهدي التمسماني. بيروت؛ 2018.

- شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني المؤلف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (المتوفى: 899هـ) أعتنى به: أحمد فريد المزيدي: بيروت؛ 2006.

- شرح الحكم العطائية لعبد المجيد الشرنوبي. تحقيق: عبد الفتاح البزم. دمشق؛ 1989.

- شرح حزب البر للشيخ العلامة العارف عبد الرحمان بن محمد الفاسي. تحقيق: محمد عطية خميس. القاهرة؛ 2002.

- شرح توحيد الرسالة لمحمد بن قاسم جسوس، تحقيق: ذ. إحسان النقوطي، الرباط؛ 2008.

- شرح قصيدة: من ذاق طعم شراب القوم يدريه لمحمد بن بنت الميلق الشاذلي، خ م الحرم المكي، المدينة المنورة: 3238.

- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني. الأثري الرياض؛ 1996.

- الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية: تحقيق ودراسة لكتابه "عدة المريد الصادق" إعداد: إدريس عزوزي. الرباط؛ 1998.

- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلي لفضيلة الأستاذ فوزي محمد أبوزيد: القاهرة؛ 2010.

- طبقات الشاذلية الكبرى المسمى جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية لعبد القادر الكوهن الفاسي: تحقيق: مرسي محمد علي، بيروت؛ 2005.

- الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني. تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة. القاهرة؛ 2005.

- الطبقات الكبرى المسمى الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية لعبد الرؤوف المناوي. تحقيق: محمد أدبل الجادر. بيروت؛ 1990.

- العمدة في شرح البردة للعلامة أحمد بن عجيبة الحسني، تحقيق: اعتنى بجمعه وتقديمه: ذ. عبد السلام العمراني الخالدي العرائشي. بيروت؛ 2013.

- عنوان التوفيق في آداب الطريق للعارف تاج الدين بن عطاء الله ثم يليه شرح الصلاة المشيشية لسيدي عبد الغني النابلسي ثم يليه شرح حزب البحر لسيدي أحمد بن عمر الإزميري. جمعها وعلق عليها: عماد الدين عبد القادر عيسى. حلب؛ 2012.

- عيون الحقائق لداود بن ماخلا السكندري. تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي. بيروت؛ 1915.

- فتاوي البرزلي (جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام) للإمام الفقيه أبو القاسم بن أحمد البلوي المعروف بالبرزلي القيرواني، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة. بيروت؛ 2002.
- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية لمحمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (المتوفى: 1057 هـ): تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم. بيروت؛ 2004.
- فضائل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ لأبي الحسن الشاذلي، خ م الأزهر، القاهرة: 134949.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي. تحقيق: أحمد عبد السلام. بيروت؛ 2001.
- القرآن الكريم.
- قطب المشرق والمغرب سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لأحمد فريد المزيدي. بيروت؛ 2017.
- القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: تحقيق: أحمد محمود درويش. دمشق؛ 2012.
- كتاب القصد إلى الله تعالى لأبي الحسن الشاذلي، خ م ج كمبريدج: 5/ 17.
- كتاب النصائح للعلامة أبي العباس أحمد بن أحمد زروق الفاسي البرنسي: تحقيق: السيد يوسف أحمد. بيروت؛ 2010.
- كتاب شرح صلاة القطب بن مشيش: سلسلات نورانية فريدة للعلامة أبي العباس أحمد بن عجيبة الحسني، تحقيق: عبد السلام الخالدي. الدار البيضاء؛ 1417 هـ..

- كشف الأسرار لتنوير الأفكار لمصطفى بن محي الدين نجا اليشرطي الشاذلي. بيروت؛ 1309 هـ.

- كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ) تحقيق: عادل عبد المنعم أبو العباس. القاهرة؛ 1989.

- الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة ﷺ لعبد القادر بن مغيزل الشاذلي. القاهرة؛ 2016.

- الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: تحقيق وتعليق ودراسة: حسن محمد الشرقاوي. القاهرة؛ 1991.

- اللطائف الإيمانية الملكوتية والحقائق الإحسانية الجبروتية في رسائل العارف بالله الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني، ضبطها وصححها وعلق عليها الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي. بيروت؛ 2006.

- لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن لأحمد بن عطاء الله السكندري: تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، القاهرة؛ 2006.

- لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق المعروف ب: المنن الكبرى للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: اعتنى به: أحمد عزو عناية. دمشق؛ 2004.

- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني. حلب؛ 1993.

- مجموع، خ م الأزهر، القاهرة: 87268.

- مجموع، خ م الظاهرية، دمشق: 4020.

- مجموع، خ م الظاهرية، دمشق: 5016.

- مجموع، خ م الوطنية التونسية: 194.

- مجموع من كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي، خ م حاجي محمود أفندي، اسطنبول: 1607.

- المجموعة السنية من أوراد السادة الشاذلية: اعتنى به: الشيخ أحمد العلي. الأردن؛ 1441 هـ.

- المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي للعلامة عبد الحليم محمود. القاهرة؛ 1968.

- مسائل من كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي، خ م المسجد النبوي، المدينة المنورة: 132/ 80.

- المسامع: واردات إلاهية فيضية لعلي بن علي بن وفا القاهري: تحقيق: أحمد فريد المزيدي. بيروت؛ 2007.

- مطالع الأنوار ومظاهر الأسرار من كلام سيدي علي أبي الحسن الشاذلي: خ م ج لايبزيك: 236.

- المطرب بمشاهير أولياء المغرب لعبد الله بن عبد القادر التليدي. الرباط؛ 2000.

- مظهر السرور في الجواب عن قول السيد أبي الحسن الشاذلي في حزبه حزب النور محمد بن علي بن أحمد بن علي بن طولون خمارويه الدمشقي. خ م شستربيتي: 3847.

- معراج التشوف إلى حقائق التصوف للعلامة أبي العباس أحمد بن عجيبة الحسني. تحقيق: محمود البيروتي. بيروت؛ 2004.

- المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لأحمد بن محمد بن عياد المحلي الشافعي. القاهرة؛ 2004.

- مقامات أهل اليقين لأبي الحسن الشاذلي، جمع وترتيب: نزار حمادي. تونس؛ 2022.

- مقدمة التصوف وحقيقته ونتيجته للعلامة أبي العباس أحمد بن أحمد زروق الفاسي البرنسي، تحقيق: نزار حمادي. تونس؛ 2020.

- من أنوار تجليات الملك الخلاق في تأليف سيدي محمد الحراق لسيدي محمد بن العربي الرباطي الدلائي، اعتنى له: ذ. عبد السلام العمراني الخالدي العرائشي. بيروت؛ 2007.

- مناقب المغارة الشاذلية، تحقيق: كنيت عبد الهادي هنر كمب. نسخة مرقونة.

- منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللحجي الحضرمي الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (المتوفى: 1410هـ): جدة؛ 1426 هـ/ 2005 م.

-المنتقى من كلام أهل التقى للعارف بالله ابي الحسن الشاذلي: خ م برلين: 1568

- المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية لأحمد بن مصطفى العلاوي المستنغانمي. الجزائر؛ 1989.

- موازين القاصرين من شيوخ ومريدين ويليه المنح السنية على الوصية المتبولية للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني. تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي. بيروت؛ 2007.

- ميزان الذرية المبنية لعقائد الفرق العلية للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني: تحقيق: جودة محمد أبو اليزيد المهدي. القاهرة؛ 2007.

- نزهة القلوب وبغية المطلوب من كلام أبي الحسن علي الشاذلي قدس الله روحه، خ م تشستربيتي، دبلن: 3168/ 6، خ م جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي: 240054.

- نسق الخطاب على تحفة الأحباب هذا الشاذلي أبو الحسن جوهرة الألباب لسعيد أبو الإسعاد. القاهرة؛ 2016.

- نفحات الأنس من حضرات القدس لأبو البركات عبد الرحمان الجامي. القاهرة؛ 1989.

- نفحات الطريق، للدكتور حسن بن أحمد القادري بودشيش. نسخة مرقونة.

- وصايا ونصائح محمد بن علي الخروبي وأبو الحسن علي الحرالي وأبو الحسن علي الشاذلي، خ م الملك عبد العزيز، الدار البيضاء: 1/ 296.

- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني. بيروت؛ 2012.

الفهرس